



العددان التاسع عشر و العشرون • السنة الخامسة • رجب-ذى الحجة ١٤١٧ هـ ق ١٩٩٧ م

المراسلات والاتصالات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:

❖ الجمهورية الإسلامية في إيران - قم . ص.ب: (٨٩٤ — ٣٧١٨٥)

❖ هاتف: ٧٤٠٢٩٤ فاكس: ٧٣٥١٧٩

رسالة الثقلين

مجلة اسلامية جامعة

- تعنى باحياء المعارف الاسلامية من منبع الثقلين والدفاع عن حريم القرآن الكريم و السنة الرسول الشريفة و خط اهل البيت الاطهار عليهم السلام .
- تستقبل نتائج العلماء والمفكرين و الكتاب الاسلاميين التى تصب فى رسالة الثقلين لتكريس وحدة الامة الاسلامية و تثبيت شوكتها فى ارجاء العالم.
- الاراء الواردة فى الموضوعات لاتعبر بالضرورة عن راي المجمع او المجلة.
- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية.
- يرجى ممن يرقد المجلة بنتاجاته الاحتفاظ بصورة منها، فانها لا تعاد نشرت ام لم تنشر.

محتويات العدد (٢٠١٩ و ٢٠٢٠)

كلمة التحرير

مدرسة اهل البيت (ع) رائدة الواحدة الاسلامية..... بقلم رئيس التحرير ٤

من آفاق القيادة الاسلامية

اهداف بعثة الانبياء..... ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي (دام ظله) ١٢

دراسات

نظام العلاقات الاجتماعية العامة في مدرسة أهل البيت (ع)

القسم الثالث..... السيد محمد باقر الحكيم ٢١

الامام علي (ع) ومصلحة الاسلام العليا..... الشيخ فواد كاظم المقدادي ٧٠

المرأة التي زوجها الله تعالى «دراسة وثائقية»..... عز الدين سليم (العراق) ١١٤

ثورة ام وثورة شعاع (٢)..... الشيخ عيسى أحمد قاسم (البحرين) ١٥٢

العبد/ المولى/ نقاط التماس «الدعاء نموذجاً»..... محمد كاظم الكرمانى ١٨٧

التعايش السلمي في الاسلام..... السيد محمد شفيعي المازندراني

ترجمة: عباس الاسدي ٢٢٢

الشيعية رواد في تدوين التاريخ..... محمد علي جناراني

ترجمة: عباس الاسدي ٢٣٦

من فقه مدرسة أهل البيت (ع)

الامام الخميني (قدس سره) والفقاهة القائمة على عنصر الزمان والمكان (١).

..... كاظم قاضي زادة ٥١

ترجمة: عباس الاسدي

شبهة ورد

وقفه مع شبهات الدكتور محمد عماره حول التشيع..... الشيخ عبد الكريم آل نجف ٩٠

مقارنات

توحيد الافعال بين الاشاعرة والعرفاء..... قاسم كاكائي

ترجمة: عباس الاسدي ١٣٦

تحقيقات

الفاطحيث «فاطمة بضعة مني» وموارد نقله عن النبي (ص) (٢)

..... الشيخ محمد جعفر الطليسي ١٨٢

رأي

..... الشيخ محمد علي التسخيري ٢٢٩ المرأة والتنمية الاجتماعية من وجهة نظر الاسلام

فنون وآداب

..... ابو كرار الاسدي (العراق) ٢٧٦ خاطرة: رغبة تحت الرماد

..... جواد جميل (العراق) ٢٢٠ قصيدة: البعد الثابت

..... الشيخ محمد علي الاوردبادي الغروي ٢٨٣ قصيدة: مثل البحر

تقرير

..... الشيخ محمد صادق الابراهيمي ٢٦٠ ندوة حقوق الانسان في الاسلام

أهل البيت (ع) في روايات الصحابة

..... ناصر البيدهندي ٢٨٦ روايات أبي سعيد الخدري

استطلاع

..... مهدي بخت آور أتباع آل البيت (ع) في قرقيزيا

ترجمة: عباس الاسدي ٢٧٨

من غرر حكم أهل البيت (ع)

..... اعداد: عبد القادر فرح الله ٢٩٢ حب الله تعالى وحب نبيه

من انباء القرى

..... ٢٩٦ انباء و تقارير


مع قراء النقلين

..... ٣٤٣ رسائل القراء

فهرس

فهرست الاعداد من (١٧-٢٠) السنة الخامسة

..... ٣٥٢ محرم الحرام - ذى الحجة ١٤١٧ هـ / مايس ١٩٩٦ - مايس ١٩٩٧ م



المشرف العام:

الشيخ

محمد علي التسخيري

رئيس التحرير:

الشيخ

فواد كاظم المقدادي

العددان التاسع عشر والعشرون

السنة الخامسة

رجب- ذى الحجة

١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م

كلمة التحرير

بقلم رئيس التحرير

إن من أبرز المبادئ التي نادى بها الثورة الإسلامية بقيادة الامام الراحل الخميني الكبير (قدس سره)، وسار عليها خلفه الصالح ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي (دام ظله)، هو مبدأ وحدة الأمة الإسلامية هوية وحركة وموقفاً. وقد تجسد هذا النداء بمنهج علمي وعملی شمل كافة جوانب الحركة الإسلامية، في مجالات الفكر والثقافة والسياسة والاقتصاد، وفي مجال الشعائر والاعلام، وقد تناغمت هذه الحركة الرائدة مع ما تعيشه الأمة الإسلامية بعلمائها وقادتها المجاهدين، من آمال واهداف وتطلعات تؤكد رغبتها الملحة في تحقيق الوحدة بين المسلمين، والتقارب بين مذاهبه وفرقه، وردم الهوة الوهمية بين أتباعها التي خلقها الجهل والهوى، وأحكمها كيد حكام الجور والفساد، وعمل على اتساعها وتكريس أمرها الكفر العالمي ومؤسساته الثقافية والاعلامية الخبيثة، حتى استحكمت وأصبح أمرها يحتاج إلى الهمة العالية للعلماء المخلصين، والحركة الرائدة للقادة المجاهدين، والارادة الماضية للأمة الواعية الراشدة، خصوصاً وأن المشتركات تكاد تجعل - بنظره علمية موضوعية - كل الاختلافات على الهامش، فيما تحتفظ بالاصول والاركان واحدة لا تعدد فيها، متحدة لا خلاف عليها، سواء كانت بمنطق صريح مباشر للثواب والنصوص العقائدية والتشريعية، أو بالملازمة العقلية والعقلانية لها.

وتؤكد هذه الرؤية عند مراجعتنا لثراث السلف الصالح، وأطروحاتهم الحديثية والعلمية لمفردات الاسلام في مختلف أصوله وفروعه؛ ذلك لان يد التحريف والتزوير، ومواكبة مصالح الحكام الفاسدين والسلطين المنحرفين، لم تكن قد توغلت واستقرت بعد في كثير مما وصلنا من بعدهم، وليس أدل على ذلك من معاناة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من اضطهاد وقمع وتشريد وسجن وتعذيب وقتل، منعاً للحق من أن يظهر وتدول دولته، وللأمة من أن تعي وترشد فتتحد وتردع الباطل وتسقط سلطانه، ولن ينهض بهذا العبء الثقيل، ويضطلع بهذه المسؤولية الكبرى إلا أهل العلم المخلصين، ورجال الأمة الواعين، الذين يدركون خطورة الامر وأهميته، ومواطن الصحة من الفساد في المنقول، ومنطق الصواب من الخطأ في المعقول، بروح اسلامية مسؤولة تأمل رضا الله، وبعقول علمية متفتحة تفحص عن الحقيقة وتشد الحق، وبأخلاقية تدعو إلى سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة.

وليس جزافاً أن نقول: إن مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) هي المدرسة الرائدة والمرشحة الاولى لاداء الدور القيادي في هذا السبيل؛ لما تتميز به اطروحاتها العلمية والاجتماعية والسياسية من قدرة محكمة، وسيرة تاريخية متواصلة لتحقيق هذا الهدف المقدس.

ففى اطروحاتها العلمية مثلاً تتميز باعتمادها منهج الدليل والبرهان فى مختلف جوانب المعرفة، والالزام بالحجة البالغة والبيان التام، كما هو القرآن الكريم فى آياته البينات، وكما هو الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) فى السنّة الشريفة. ولا غرابة فى ذلك؛ فمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تأسست على يد الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، على أساس اعلانه الخالد بتلازم الثقلين المباركين كتاب الله وعترته الطاهرة، ووصيته لأمته بهما فى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتى أهل بيتي» (١).

والذى يقلّب صفحات التاريخ الرائد لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، يجدهم مثلاً غالياً فى السير على هذا النهج القرآنى، والسيرة النبوية الشريفة، حتى أذعن لحججهم وبياناتهم أئمة المذاهب الاسلامية الاخرى، ونهلوا ما تيسر لهم من منهلهم القرآنى الحق. ولعل أبرز تلك الحقب المجيدة ما كان على يد الامامين الصادقين الباقر والصادق (عليهما السلام)، حتى غدا أكثر من أربعة الاف عالم ومحدث معاصر للامام الصادق (عليه السلام) يقول: حدثنى جعفر بن محمد الصادق، لذا نجد أن الكثير من رواة الحديث هؤلاء معتمدون عند الفريقين، ويوثقهم أهل المذاهب الاسلامية الاخرى، ويروون عنهم المئات من الاحاديث، من امثال أبان بن تغلب الربعى، وأبى حمزة ثابت بن أبى صفية الثمالى، وهما من تلامذة الأئمة السجاد والباقر والصادق (عليهم السلام)، وأبى أرطاة الكوفى القاضى، وحرب بن شريح (شريح) بن المنذر المنقرى، والحكم بن عتيبة الكندى، وربيعة بن أبى عبد الرحمن، وسليمان بن مهران الاسدى الكاهلى، وشيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومى، وعبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب القريشى الهاشمى العلوى، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى، وعبد الله بن عطاء الطائفى المكى، وعبيد الله بن طلحة بن عبيد الله بن كرز الخزاعى، وعبد الرحمن بن طلحة الخزاعى، وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج، وعبد الملك بن جريج، وعطاء بن أبى رباح، وعلقمة بن مرثد الحضرمى (أبى حارث الكوفى)، وعمرو بن دينار المكى، وأبى اسحق السبيعى، والقاسم بن الفضل الأزدي (أبى مغيرة البصرى)، وقرّة بن خالد الدوسى، (أبى

(١) صحيح الترمذى ٥: ٦٦٢.

محمد البصري)، وأبي كثير النواء، وليث بن أبي سليم القرشي (أبي بكر الكوفي)، ومحمد بن سوقة، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ومخول بن راشد النهدي، ومعمربن يحيى بن سام، وموسى بن سالم مولى آل العباس بن عبد المطلب (أبي يهضم)، ويحيى بن أبي كثير الطائي، ويحيى الكندي الكوفي، وكلهم من تلامذة الامام الباقر (عليه السلام)، وعبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو (أبي عمر الاوزاعي)، وهو من تلامذة الامامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، وحفص بن غياث من اصحاب الامامين الصادق والكاظم (عليهما السلام)، وعشرات غيرهم (٢).

إن ما نجده اليوم من مساحة التوافق الواسعة في الطرح الاصولي والفقهى بين المذاهب الاسلامية المختلفة في محورية مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، هو من بركات هذا النهج وعطاءات هؤلاء الائمة المعصومين (عليهم السلام).

واصلت هذه المدرسة الاسلامية الكبرى نهجها هذا، وتراكت فيها معطيات أجيال متواليه من العلماء والفقهاء والمحدثين، حتى أصبحت اغنى مدرسة في تراثها وعطائها العلمى الاصيل.

ولم يقتصر نهج مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) على الجانب العلمى، رغم أنه الاهم لكونه الاساس فى بناء وحدة اسلامية اصيلة وراسخة، بل إنه تكامل ليشمل عموم هيكل بناء الامة الواحدة، وتوحيدها اخلاقياً واجتماعياً وسياسياً. وبمراجعة واعية وموضوعية لسيرة أهل البيت (عليهم السلام) نجد نهجاً واحداً وخطاً جلياً، يحكى هذه الحقيقة ويهدف إلى ذلك الهدف المقدس، منها ما فى سيرة امير المؤمنين على (عليه السلام) فى زمن الخلفاء الثلاثة الاولين، فحينما وجد أن اصل الاسلام ووحدة الامة الاسلامية مهددة بالخطر، أعلن موقفه الرسالى من الخليفة الاول؛ حفظاً لوحدة المسلمين وتقوية لشوكتهم، رغم وضوح حقه فى الخلافة، وبيعة المسلمين له فى حضور رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى آخر حجة الوداع عند غدير خم، وقد قال فى ذلك: «فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام، يدعون إلى محق دين الله وملة محمد...» (٣).

(٢) راجع تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للمزى، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئى، وطبقات ابن سعد، وميزان الاعتدال للذهبي، والجرح والتعديل للرازي، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، والمعرفة والتاريخ للنسوي، وحلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني، والتاريخ الكبير للبخاري، والضعفاء للعقيلي.

(٣) نهج البلاغة الكتاب ٦٢.

وقال أيضاً: «فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين....».

ولم يثنه عن موقفه هذا ارجاف المرجفين، كأبي سفيان حين قدم المدينة وجاء لعلی (عليه السلام) فقال: «والله إنى لارى عجاجة لا يطفئها إلا دم... أين المستضعفان؟ أين الأذلاء علىّ والعباس؟»، وقال: «أبسط يدك حتى أبایعك» فزجره علیّ وقال: «إنك والله ما أردت إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيت الاسلام شراً لا حاجة لنا فى نصيحتك» (٤).

وحينما اراد الخليفة الاول غزو الروم استشار جماعة فقدّموا وأخروا، ولم يقطعوا برأى، فاستشار علياً فى الامر، فقال: «إن فعلت ظفرت، فقال: بشرت بخير» (٥).

وشاوره الخليفة الثانى فى الخروج إلى غزو الروم فنصحه الامام (عليه السلام) بعدم الخروج بنفسه، وأن يرسل رجلاً شجاعاً وخبيراً بفنون القتال، ويبعث معه أهل الخبرة والنصيحة، وأن يبقى هو فى المدينة، وقال له: «فابعث إليهم رجلاً محرباً واحفز معه اهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الاخرى كنت ردئاً للناس، ومثابةً للمسلمين» (٦).

وعن الطبرى فى تاريخه عن سعيد بن المسيب: قال: «جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أى يوم نكتب التاريخ؟ فقال على (عليه السلام): من يوم هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وترك أرض الشرك، ففعله عمر» (٧). وهكذا وجد التاريخ الهجرى ليؤرخ به المسلمون.

وفى الجانب الاقتصادى شاور الخليفة الثانى الصحابة بعد انتصار المسلمين على الفرس فى سواد الكوفة، فقال بعضهم: «تقسمها بيننا» ثم شاور علياً (عليه السلام) فى الامر، فقال (عليه السلام): «إن قسمتها اليوم لم يكن لمن

(٤) تاريخ الطبري ٢: ٢٣٧.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٣٣.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٤.

(٧) تاريخ الطبري ٢: ٢٥٣.

يجيء بعدنا شيء، ولكن تقرّها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا»، فقال عمر: «وفقك الله. هذا الرأي» (٨).

وفي شؤون الدولة وعمالها استشار الخليفة الثاني علياً (عليه السلام) فيما بلغه من أحد عمّاله، باع ما يحرم بيعه وجعل الثمن في بيت المال، فقال علي (عليه السلام): «إما أن تعزله، وإما أن تكتب إليه ألا يعود» (٩).

ونهج اتباع علي (عليه السلام) وشيعته نهج إمامهم، فلم ينكصوا عن تسنّم مناصب إدارية كبرى في ظل حكومة الخليفة الثاني، فقبل سلمان الفارسي ولاية المدائن، وقبل عمار بن ياسر ولاية الكوفة، وقبل غيرهم من شيعة علي (عليه السلام) وأتباعه مناصب حسّاسة أخرى، كما أخلص إمامهم علي (عليه السلام) في مشورته ونصحه، وذبه عن الاسلام ووحدة المسلمين طيلة فترة الخلفاء الثلاثة الأولين، وفي عهد خلافته حتى سقط شهيداً في محرابه.

وعندما انتهى اجتماع اهل الشورى الستة بقرار ترشيح عثمان للخلافة بعد وفاة الخليفة الثاني، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لهم: «لقد علمتم أنى أحق بها من غيري، والله لاسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين... التماساً لاجر ذلك وفضله» (١٠). وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يتوانى في إعانة الخليفة الثالث، ويشير عليه برأى عندما يطلب منه ذلك ولا سيما في القضاء.

وبذل أمير المؤمنين (عليه السلام) غاية الجهد لمنع وقوع الفتنة في أواخر خلافة عثمان حفظاً لوحدة المسلمين، فحذّر الخليفة من بعض الولاة الذين كانوا وراء إثارة الفتنة بين المسلمين، كما حذره من مروان الذي كان محور المؤامرات التي تحاك لاشعال الفتنة، فقال له: «والله ما مروان بذى رأى في دينه ولا نفسه، وايم الله إنى لاراه سيوردك ثم لا يصدرك»، إلا أن استمرار مروان بدوره التآمرى افشل كل محاولات احتواء الفتنة، وعندما طالبت المعارضة عثمان بتسليم مروان أبى فحدث الحصار (١١) وانتهى بقتل عثمان.

(٨) علي والخلفاء: ٢٣٩.

(٩) انساب الاشراف ٢: ٧٨.

(١٠) شرح نهج البلاغة ٦: ١٦٦.

(١١) تاريخ الطبري، حوادث سنة ٣٥ هـ، الكامل في التاريخ، البداية والنهاية.

واستمر نهج امير المؤمنين (عليه السلام) ايام خلافته فى حفظ وحدة المسلمين، وتقوية شوكتهم، ومحاصرة الفتن التى مزقت صفوفهم، وما حروبه الشهيرة الثلاث (للكاين والمارقين والقاسطين) إلا من أجل القضاء على رؤوس الفتنة والمؤامرة على وحدة الامة ووحدة كيانها السياسى الشرعى.

وعندما تحولت الخلافة الاسلامية إلى ملكية وراثية على عهد معاوية واصبحت حكراً على بنى أمية، بلا ميزان حق ولا عدل، اجتهد أهل البيت (عليهم السلام) فى كشف هذا الانحراف الخطير للامة؛ حفظاً لهويتها الاسلامية، ولوحدتها وهى خير امة أخرجت للناس. وذلك بتعريف هذه الخلافة الباطلة، وبيان مدى بعدها وانحرافها عن الاسلام، فكان هذا الهدف من ابرز اهداف صلح الامام الحسن (عليه السلام) على الصعيد السياسى، وكانت نهضة الامام الحسين (عليه السلام) وشهادته مع أهل بيته وصحابته بتلك الصورة المأساوية، وسبى نساء واطفال العترة الطاهرة، متمماً حاسماً فى تحقيق ذلك الهدف على الصعيد الارادى والعاطفى.

وبعد أن استقرت نتائج هذه المرحلة فى دور أهل البيت (عليهم السلام) فى حماية الامة من الانحراف، وحفظ وحدتها على اصول الاسلام الحق، بدأت مرحلة جديدة بدأها الامام السجاد (عليه السلام)، واتصلت حلقاتها فى حياة الائمة من بعده، ولاسيما فى عهد الصادقين (عليهما السلام). وكان من أبرز ما تصدى إليه أهل البيت (عليهم السلام) فى هذه المرحلة، هو إحباط محاولات الخلافة المنحرفة فى الزميين الاموى والعباسى، من تحكيم سلطانهم على اساس جهل المسلمين بدينهم، وترسيخ حالة التفرق والتشردم فى اطار فرق ومذاهب شتى. من ذلك ما روى عن أبى حنيفة أنه قال: «ما رأيت افقه من جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام). لما أقدمه المنصور بعث إلى فقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد، فهى له من المسائل الشداد، فهيات له أربعين مسألة، ثم بعث إلى ابو جعفر وهو بالحيرة، فأتيته فدخلت عليه، وجعفر بن محمد جالس عن يمينه، فلما أبصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لابي جعفر، فسلمت عليه، وأوما إلى فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله، هذا ابو حنيفة. قال جعفر: نعم. ثم أتبعها: قد أتانا. كأنه كره ما يقول فيه قوم أنه إذا رأى الرجل عرفه، ثم التفت المنصور إلى فقال: يا أبا حنيفة، ألق على أبى عبد الله من مسائلك، فجعلت ألقى عليه فيجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الاربعين مسألة. ثم قال أبو حنيفة: ألسنا رويناً أن اعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس» (١٢).

(١٢) مناقب ابي حنيفة للموثق ١: ١٧٣، جامع اسانيد ابي حنيفة ١: ٢٢٢، تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ١٥٧.

وعلى الصعيد الاخلاقي والاجتماعي رسخ أهل البيت (عليهم السلام) مبادئ ومفاهيم، كانت عاملاً أساسياً في اظهار وحدة الامة شامخة تتصاغر أمامها كل محاولات سلاطين الجور، من النيل منها، والتلاعب بمقدراتها.

من تلك المبادئ والمفاهيم ما عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال لشيعة ومريديه: «خالقوا الناس بأخلاقهم، صلّوا في مساجدهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وإن استطعتم أن تكونوا الائمة والمؤذنين فافعلوا، فإنكم إذا فعلتم ذلك قالوا: هؤلاء الجعفرية، رحم الله جعفرأ ما كان أحسن ما يؤدّب اصحابه، وإذا تركتم ذلك، قالوا: هؤلاء الجعفرية فعل الله بجعفر، ما كان أسوأ ما يؤدّب أصحابه» (١٣).

وعنه (عليه السلام) أنه قال لشيعة مؤكداً ضرورة وحدتهم مع سائر المسلمين: «من صلى معهم في الصف الاول كان كمن صلى خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» (١٤).

ومنها ما عن عبد الله بن سنان قال: «سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: أوصيكم بتقوى الله، ولا تحملوا الناس على اكتافكم فتذلّوا. إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: (وقولوا للناس حسناً)، عودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، واشهدوا لهم وعليهم، وصلّوا معهم في مساجدهم...» (١٥).

ولم يجد طغاة بني العباس سبيلاً إلا محاصرة اهل البيت (عليهم السلام)، ومحاولة عزلهم عن الامة؛ ليخلو لهم الميدان وما يريدون، فسجنوا الامام الكاظم (عليه السلام)، ودسوا له السم في السجن، واستقدموا الائمة (عليهم السلام) من بعده وأخضعوهم لرقابتهم المباشرة.

وقد واصل اتباع اهل البيت (عليهم السلام) السير على نهجهم (عليهم السلام)، من العمل لترسيخ وحدة المسلمين عقائدياً واخلاقياً وسياسياً.

ولولا كيد أعداء الاسلام واعداء اهل البيت (عليهم السلام)، لوجدنا أن مساحة التوافق تصل إلى حد التطابق الشمولي، ولزالت كل هذه الفوارق والخلافات التي سعى سلاطين الجور ووعاظهم إلى تأسيسها، وتعميقها

(١٣) الفقيه ١: ٣٨٣، ح ٣٨.

(١٤) الكافي ٣: ٣٨٠، ح ٦.

(١٥) البحار ٧١: ١٥٩، ح ١٤.

على اسس من الجهل المركب والدعوات الباطلة، فأضرت كثيراً فى بناء الامة الواحدة، ووحدة الكلمة على هدى القرآن الكريم والسنة الشريفة، وأصبحت الشقة الوهمية بين المذاهب الاسلامية تتسع وتتلور، مكوّنة رؤى متعصبة يتبادل اصحابها التهم دون وعى وإدراك.

وهنا نقف لنوجه دعوتنا إلى كل المخلصين، من علماء ومجاهدين على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم الاسلامية، للعودة إلى أوليات الاسلام، وسيرة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، وسلوك منهج العقل والدليل فى تحديد معالم الاسلام المحمدى الاصيل، وتوحيد متبنياته ومقولاته، العقائدية والتشريعية وخلق أجواء الاخوة والحوار والتفاهم البناء بين أبناء الامة الاسلامية، على اختلاف مذاهبهم وفرقهم.

وبالاصرار على هذا النهج سنجد أن الفوارق والاختلافات المخلة بوحدة الاصاله الاسلامية، ستهوى وتتلاشى أمام روح الاخوة والانفتاح الرحب، وأمام الدليل القاطع والبرهان الساطع وفق منطق القرآن الكريم والسنة الصحيحة ونهج مدرسة أهل البيت (عليهم السلام). وبذلك تستحكم الاسس المبدئية لهوية الامة الاسلامية الواحدة عقائدياً وتشريعياً، ويكون الدين كله لله، والحمد لله رب العالمين

من آفاق القيادة الاسلامية

* ولى امر المسلمين آية الله السيد الخامنئى « دام ظله »

أهداف بعثة الأنبياء

مقتطفات من كلمة ولى أمر المسلمين وقائد الامة الاسلامية سماحة آية الله السيد على الخامنئى (حفظه الله) بتاريخ ٢٧ / رجب / ١٤١٧ هـ لدى لقائه كبار مسؤولى الدولة وسفراء الدول الاسلامية فى طهران وذلك بمناسبة البعثة النبوية الشريفة.

حقاً يجب القول - من خلال تقييم واقعى - إنّ ما حصل فى لحظة بعثة نبي الاسلام، كان أكبر حادثة وقعت فى تاريخ الانسانية وتركت تأثيرها عليها.

البعثة قضية عجيبة جداً ومهمة بنفس الوقت، وفيها الكثير، وجديرة بالدراسة والتأمل والدقة.

من الطبيعى أنّ بعثة جميع الانبياء كانت على هذه الشاكلة، فكلهم قد اجتازوا مرحلة مهمة من الاختبار بشأن البعثة. وحصل انجاز عظيم فى بعثة موسى وعيسى وابراهيم، والانبياء الآخرين، لكن لبعثة خاتم الانبياء خصائص لا يمكن العثور على نظير لها.

واليوم، انطلاقاً من المسؤولية الملقاة على عاتقنا تجاه الاسلام وتجاه الانسانية، أودّ الاشارة إلى قضية بشأن البعثة؛ لعلها تدفعنا بعون الله نحو السعى والجهد اللازم فى هذا المجال.

إنّ ينبوع البعثة الذى تفجّر فى قلب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) له مسار بالغ الاهمية. أى انّ القضية ما انتهت عند ذلك الحد، حيث سطع النور الالهى وأشرق فى قلب إنسان ممتاز وبارز واستثنائى؛ فهذه

كانت هي الخطوة الأولى وبداية المهمة. ولا شك أن هذا من أهم جوانب القضية. فأشراقه هذا النور في قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحمله لمسؤولية الوحي يعكسان بشكل صريح ذلك البعد الذي يربط الخلقة وعالم وجود الانسان والعالم المادى بمعدن الغيب. وها هنا حلقة الوصل.

ومع أن البركات الالهية متواترة طوال هذه المسيرة - التي سنعرض لها بالقول - على البشرية وعلى هذا الدرب، لكن حلقة الوصل تتلخص في لحظة البعثه التي انسابت وسرت من عالم الغيب، من منبع الحقائق الالهية، من منبع البعثه - وهذه الكلمه كافيه بحد ذاتها - إلى الروح المقدسه للنبي واتصلت بقلبه الشريف. إذن فالخطوة الاولى هي حصول تلك البعثه.

انفتحت أبواب من الحقائق أمام هذا الانسان الملكوتي، وبدأ هو بما لديه من استعداد لاداء الامتحان والنهوض بهذا الثقل وتحمل مشاقه ومصائبه، حركته الكبرى بدأت منذ تلك اللحظه الاولى. لهذا فقضية البعثه تختلف عن قضيه التعليم، أى أنها أكبر من التعليم. لأن مائدة التعليم والتربية الالهية مبسوطه على الدوام أمام الانبياء والاولياء، وحقيقه (وعلم آدم الاسماء) قائمه حتى الابد.

إن تعلم وتأديب الانبياء بصفته تلاميذ خاصين للوجود الاحدى أمر واقع؛ إلا أن فى البعثه شيئاً آخر إضافه إلى ذلك التعليم، ففى البعثه تعليم، وتهذيب وتزكيه أيضاً، وفيها كذلك إتيان الكتاب والحكمه، لا ينتهى الامر إلى هذا؛ بل هناك شىء آخر؛ ألا وهو الانبعث والبعثه.

هذا الانسان يُبعث من أجل استثمار ما أوتى من طاقة بغية ايصال الانسانيه إلى المنزله المنشوده، أى أن يبدأ بالحركه. وهذا هو معنى البعثه. فبعد أن تبدأ الخطوة الاولى وتشرع هذه الحركه باتصال الوحي الالهى بقلب الرسول، وبتحمّله للوحي الالهى، يبدأ حينذاك تحقق مضمون البعثه على الصعيد الخارجى، وهو مضمون جديد يراد به بناء عالم جديد، وهدم الاسس الباطله القائمه على الظلم والعدوان، وهو ما يتطلب المجابهه والمواجهه.

وعلى هذا فالخطوة التي تلى البعثة هي النهوض والمواجهة والتحرك. فلم يستطع أى نبي طى هذا الطريق وإيصال الحمل إلى غايته، وإبلاغ الرسالة للناس من دون مواجهة، فالناس الذين تنبثق البعثة من بينهم وفى أوساطهم وبين ظهرانيهم لا يقبلون - بسهولة - بالوضع الجديد الذى توجده البعثة. ومن هنا تبدأ محاربة الانبياء. والانبياء بما يحملونه من ثقل الامانة وبما ينطوون عليه من الحق، هم أكثر الناس أعداء. وقد شهدت البعثة هذه الخصومات منذ يومها الاول، وبدأ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جهاده منذ اليوم الاول أيضاً، واستمر حتى لحظة وفاته مدة ثلاث وعشرين سنة. فكم كانت تلك السنوات الثلاثة والعشرون حافلة بالبركة!

ثلاث وعشرون سنة ليس عمراً طويلاً ولا زمناً مديداً. فالملاحظ أن الكثير من الاشخاص لا يُفلحون طوال ٢٠ أو ٢٣ أو ٢٥ سنة فى انجاز عمل يستحق الذكر، والحياة تنقضى عادةً بالانهماك فى الشؤون الشخصية. وإذا نظرنا إلى العظماء، سواء العلماء أو الفلاسفة أو الساسة، ولاحظنا مدى عملهم طوال فترة كهذه - أى ثلاث وعشرين سنة، مع الاخذ بنظر الاعتبار ما بينهم من تفاوت فى القدرة والاستيعاب - لا يبدو من المؤكد أنهم قادرون خلالها على انجاز أعمال كبرى.

ولكن لننظر إلى بركات وعطاء هذه السنوات القلائل، وهى السنوات المباركة الثلاثة والعشرون التى قضاها النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فى عهد بعثته، كم كانت هذه البركات كثيرة! إذ استطاع أن يشيد خلالها فى قلب الجاهلية وذروة عصور الجهل فى العالم - لا فى منطقته وزمنه فحسب، بل فى قرون من جاهلية البشرية، وتراكم ظلمات الجهل - استطاع أن يشيد صرحاً شامخاً، مشرقاً، أضاء للتاريخ سواء السبيل.

كانت بداية هذا الطريق فى السنوات الثلاث عشرة الاولى من حياة الرسول، إلى أن انتهت باقامة الحكومة. إذن فالخطوة اللاحقة هى ايجاد النظام القائم على هذا الفكر وعلى جوهر البعثة.

يُستفاد من هذا، بكل وضوح، خطأ قول القائلين بفصل الدين، وخاصة الدين الاسلامى، عن الحكومة. ولاشك أن جميع الاديان متشابهة مع بعضها فى هذا الجانب. ولكن مثل هذا الادعاء فى شأن الاسلام - فصل الاسلام عن الحياة، وعن السياسة، وعن ادارة البلد، وعن الحكومة - أمر يثير الدهشة. لقد سار الاسلام منذ اليوم الاول

لظهوره، بجهد مريّر، صوب ايجاد نظام واحد ومجتمع واحد. واستطاع الرسول بعد ثلاث عشرة سنة من الجهاد أن يقيم هذا النظام، ولكن ليس في مدينته وفي مركز انبثاق هذه البعثة، بل في موضع آخر من العالم الذي كان فيه.

الخطوة التالية من بعد ذلك الجهاد الطويل هي ايجاد جو ونظام قائم على اساس هذا الفكر. وإذا لم يكن ثمة نظام وثمره قوة تساند الفكر الالهي والاسلامي، لا يمكن بسط الاحكام والمفاهيم الالهية وإشاعتها في حياة الناس. على العكس تماماً من النظرة المنحرفة من أنه إذا توفرت أسباب القوة للدين، فسد الدين.

كلا؛ فالقضية على العكس. والدين إذا اقترن بأسباب القوة فسيتاح له التوسع والانتشار ويتسنى له بلوغ الاهداف والتطلعات الدينية، وانجاز وتحقيق الامال والشعارات التي يدعو إليها. وهذه لا سبيل لبلوغها بدون توفر اسباب القوة، ويتيسر تحقيقها في ضوء وجود عنصر القوة. فهل من الممكن - مثلاً - تحقيق العدالة الاجتماعية بالنصيحة والدعوة والرجاء؟ وهل من الممكن تطبيق العدالة الاجتماعية، والقضاء على التمييز، وتسهيل سيادة القانون على صعيد المجتمع من جهة، وعلى صعيد العالم من جهة أخرى، بدون وجود أسباب القوة؟

إن كلمة الحق إذا قيلت في هذا العالم، لا تتوانى القوى الكبرى عن ضربها وتمزيقها إن وجدت في نفسها القدرة على ذلك. وهكذا كان الوضع على مر الزمن، والقضية لا تختص بوضعنا الحالي؛ إذ نلاحظ أنه حيثما يرتفع صوت الاسلام والفكر الاسلامي، تشرتب أعناق المستكبرين والرأسماليين واصحاب الشركات الكبرى على الفور لمعرفة ما يجري خشية أن يكون ثمة خطر يهدد مصالحهم.

هكذا كان الحال على الدوام، فمتى وأينما نطق لسان بالحق، أو عزم قلب كبير أو روح كبيرة أو انسان عظيم على ايصال كلمة الحق هذه إلى الاسماع، ترتفع بوجهه بغته أسوار وجدران من الظلم والجهل، وتنبى له القبضات الحديدية من الاعداء متراصه أمامه في خندق واحد. ولا شك أنهم سيهزمون؛ فالباطل ينهزم أمام الحق لا محالة. وإذا صمد الحق فالباطل مهزوم لا ريب.

والمقصود هو أنه لا يمكن تطبيق الافكار والتطلعات والامال الدينية، أو اية تطلعات وأهداف أخرى، بدون سند من القوة. نعم بعض القضايا يمكن تحقيقها بالنصح وبالكلام الطيب.

وعلى هذا فالانبياء (عليهم السلام) كانوا يستهدفون إقامة الحكومة. وأوضح الامثلة على ذلك هو رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد سعى وجاهد منذ اليوم الاول وكرّس مساعيه لإقامة النظام الاسلامي، حتّى تسنى له تحقيقه فيما بعد فى يثرب، وظل يذود عنه ويوسّع نطاقه، واستمرت هذه الحركة سنوات طويلة.

إذن فالخطوة اللاحقة هي إقامة الحكومة، لكن إقامة الحكومة ليست هدفاً بحد ذاتها، وهذه هي النقطة الجوهرية، بل الحكومة اداة لتحقيق التطلعات، فإذا ما أقيمت الحكومة ولم تبادر لتحقيق التطلعات فهي حكومة منحرفة. وهذه قاعدة عامة ومعياري واضح.

قد يطول تحقيق الاهداف سنوات متماديّة، وقد تعرقلها الموانع والمعوقات، إلّا أنّ توجهات الحكومة ومسار هذه القوة لابد أن يصبّ في مجرى الاهداف والامال التي رفعت شعاراتها، والتي وردت في نص القرآن والاحكام الاسلامية. وإذا لم تكن في هذا الاتجاه فهي حكومة منحرفة قطعاً. إذن المعيار هو بسط العدالة الاجتماعية وإرساء أسس نظام يستند إلى القانون، وسيادة الاحكام الالهية في كل مكان.

فإذا سادت الاحكام الالهية وظهر نظام قائم على أساس الاسلام وتحققت العدالة الاجتماعية، فقد أنجز - لهذا الحد - هدف متوسط، أو قطع في الحقيقة شوط من الطريق. والمرحلة التالية هي أن يجد الناس - الذين يعيشون في ظل هذا النظام بأمن ورخاء وينعمون بالعدل في حياتهم - فسحةً وفرصةً للتخلق بالاخلاق الحسنة، مشتاقين وساعين إليها.

فهذه النقطة هي الهدف من بعد تشكيل الحكومة. بل هذا هو الهدف من بعد إقامة النظام العادل وسيادة العدالة الاجتماعية والحكومة الاسلامية.

فيجب أن يتخلق الناس بالاخلاق الحسنه. ومن الطبيعي أن التخلق بالاخلاق الحسنه يوجب التسامى والتكامل المعنوى والنفسى والمعرفه الافضل، وهذا من مراحل الانسان الكامل - ونحن غير قادرين على ادراك ذلك بشكل صحيح، وإنما نسمع أشياء من الاكابر وأهل المعرفة - أما المرحله المتعلقه بنا حالياً فهي مرحله الاخلاق. ولقد كان حقاً ما قاله الرسول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق»، وهذا الحديث منقول من طرق الفريقين؛ نقله الشيعة والسنة.

وكلمه «إنما» هذه ذات مغزى كبير. أى ان جوهر بعثتى لهذا الغرض. هذا هو الهدف، وما سواه مقدمه. لاتتم مكارم الاخلاق بين الناس ولدى أبناء المجتمع؛ لتبلغ الامه مرحله الكمال والنضج، ويتحلى الجميع بمكارم الاخلاق لتبلغ مرحله الانسانيه.

يجب أن يكون كل منا إنساناً، ويجب أن نقوى ونكمل الاخلاق الانسانيه فى ذواتنا. وهذه هى الخطوه اللاحقه، وهى ذات أهميه كبرى. فإذا بقينا بعيدين عن الاخلاق فى مجتمع إسلامى وفى نظام يقوم على مبادئ الاسلام، وبقينا نلهث وراء النزوات والانانيه والشهوه، وكل منا يسعى للحصول على مزيد منها ليأكل أكثر ويعيش حياة أكثر رفاهيه، ويتكالب على هذا وذاك، وإذا استدعى الامر يستولى على حق الاخرين، ولم يكن إيثار ولا تضحيه، فايّه حكومه هذه؟! وأى إسلام، وأى مجتمع إسلامى؟!

هذا هو اساس القضية. «بعثت لأتمم مكارم الاخلاق».

ومما يؤسف له أن العالم المادى محروم من هذه الخاصيه مطلقاً.

وأما الاخلاق الالهيه والمكارم الاخلاقيه فقد وضّحتها وفصلتها الشريعه الاسلاميه المقدسه، سواء ما يتعلق منها بالانسان ذاته كالصبر، والشكر، والاخلاص، والقناعه، أو ما يتعلق منها بتعامله مع الاخرين كالتسامح، والتواضع، والايثار، وتكريم الناس، أو ما يتعلق منها بعموم المجتمع الاسلامى.

للاخلاق الاسلاميه مجال واسع، وقد تركزت معظم جهود الانبياء والاولياء والشخصيات الكبرى فى الاديان الالهيه، وكذا فى الاسلام تركزت جهود الرسول والائمة الاطهار عليهم الصلاه والسلام على بنائها. ولاشك أن هذه الامور لا تُنال فى ظل الحكومات الجائره إلا بشق النفس، كما ذكرنا من قبل.

من الطبيعى أن مثل هذه الامور لا يمكن بلوغها بسهولة فى ظل الانظمه التى يقوم اساسها على الباطل والظلم وعلى الماديه - كحكومات الطواغيت فى العالم - ولكن يمكن تحقيقها فى ظل النظام الاسلامى بكل سهوله، وهذا ما يحتاجه العالم اليوم.

فعلى مجتمعنا القيام بحركه اساسيه مكمله للثوره الاسلاميه الكبرى، وهذه الحركه الاساسيه ذات مرحلتين: إحداهما إقرار النظم واشاعه الاخلاق الاسلاميه بين ابناء مجتمعنا، أى أن يكون لها اهميتها وشأنها؛ بعد أن كانت قد سقطت عن درجه القبول فى عهد الحكومات الطاغوتيه التى حكمت بلدنا فالشخص الصادق فى اقواله يُعدّ ساذجاً لدى قصيرى النظر. إنه صادق، فيقول ما يعلم، ولكنهم يعتبرون من لا يقول الصدق، ويقلب الحقائق ويتحايل، يعتبرونه ذكياً فهيماً. هذا هو قلب القيم.

هكذا كان الوضع على مدى حكم الطواغيت وحكومات الملوك الظلمه الجائرين الفاسدين المعادين للاخلاق. ومما يُأسف له أن البنيه الاخلاقيه فى بلدنا قد تلقت ضربات كثيره.

لقد ساعدت الحركه الثوريه على ارساء الاسس الاخلاقيه والركائز الداخليه والروح الاخلاقيه فى مجتمعنا وأعادت لها الحياه، ولكن لا بدّ من بذل الجهود. هذه هى المرحله الاولى.

أمّا المرحله الثانيه فهى أن ننقل هذه القيم إلى العالم؛ فعالم اليوم بحاجة لها. والانسانيه تعانى اليوم على الصعيد العالمى من فقدان الاخلاق، وبإمكان الاسلام والمسلمين تقديم أفضل هديه أخلاقيه للشعوب وللشريه.

مع الاسف إن أكبر جرائم الاستكبار العالمى اليوم هى الكذب، والخداع، والتحايل، واشاعة نزعته الباطل من خلال سلوكهم فى العالم. ونحن نرى اليوم أشخاصاً فى الحكومات المتجبرة فى العالم - وعلى رأسها اميركا - ارتكبوا أبشع حالات الارهاب فى أرجاء العالم.

ونقل فى الاونة الاخيرة أنّ أحد الساسة الاميركيين كشف عن أنّ أعمال القتل وخطف الاشخاص فى غواتيمالا - التى لفتت إليها أنظار العالم - كانت من عمل وكالة المخابرات الاميركية. فهى التى اغتالت المعارضين السياسيين واحداً تلو آخر وقضت عليهم. وقد بدأت هذه القضايا تتكشف اليوم.

لقد ارتكبوا القتل والاعتقال والانقلابات وغيرها من الممارسات البشعة فى كل بقعة من العالم، وبخاصة فى اميركا اللاتينية وفى الكثير من بقاع العالم الاخرى. وفى إيران شاهدنا بأنفسنا ما فعلوه، وهكذا الحال فى المناطق الاخرى.

لقد دافعوا عن ابشع الارهابيين فى العالم، ومنحوهم اللجوء، وبادلوهم علاقات الود، وكرّموهم، وقدموا لهم - ولازالوا - المعونات المادية. وساندوا وقدموا أكبر العون لاسرائيل، وهى دويلة قائمة على الارهاب ومبنية على الغصب والظلم والعدوان، وهم يدعمونها علانية، ولا يدعمون أصدقاءهم العرب بقدر ما يدعمون اسرائيل.

لقد اعتمد هذا الكيان (اسرائيل) منذ أول يوم ظهر إلى الوجود، أساليب الارهاب، واغتيال المعارضين، والكذب، والظلم، وتدمير الانسان، والقتل الجماعى. فهذه هى مساندة اميركا للارهاب، وفى الوقت نفسه نراها اليوم ترفع لواء مكافحة الارهاب.

هذا هو الكذب والخداع، وهذا هو الابتعاد عن الاخلاق، وافتقار البشر للاخلاق. وأشد مرارة وإيلاماً من أى شىء آخر فى العالم هو أن يرى المرء ألد أعداء الفضيلة يدعون القيم والفضائل.

العالم بحاجة إلى الرسالة التي تنادون بها، والحقيقة التي تحملونها، والطريق الذي تسلكونه، وبحاجة إلى القرآن، وإلى بركات البعثة التي تحظون بها، إلا أنه لا يمكنكم أن تنقلوها وتعلموها الآخرين إلا بعد أن تعلموها وتعرفوها أنتم أنفسكم.

يجب أن نبدأ ببركة البعثة حركة جماهيرية عظمى، يهب فيها الخطباء والمثقفون ومن بيدهم وسائل الاعلام، وغيرهم لتعليم واشاعة الاخلاق بين الناس؛ ليكون الله أيضاً عوناً لنا ولكم، ويرضى قلب صاحب الزمان عنكم وعناً، وتكون الهداية الالهية معنا يا ذن الله، ولتحظى روح إمامنا الكبير رحمه الله عليه من هذه الحركة بالفيض والرحمة.

دراسات

نظام العلاقات الاجتماعية العامة فى مدرسة اهل البيت (ع)

* السيد محمد باقر الحكيم

تناول القسم السابق من هذه الدراسة البناء الفوقى لابعاد نظرية العلاقات الاجتماعية فى مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)، ومبادئ تقوية البناء الاجتماعى، وبيان موقع الاخوة والمساواة كبعد ثالث فى نظرية العلاقات الاجتماعية العامة، ومستويات هذه العلاقات وتُعد المعاملة الخاصة فيها، ثم تناول البناء الفوقى للقواعد والاسس فى نظرية العلاقات الاجتماعية.

وفيما يلى القسم الثالث من هذه الدراسة:

(التحرير)

هـ - الكبر والتبوء والاختيال

ومن جملة هذه الانفعالات والمشاعر النفسية المحرمة هو الشعور بالكبر والخيلاء، والتعامل مع الناس على أساس من هذا الشعور.

ففى الحديث الصحيح عن أحد الباقرين(عليهما السلام) قال: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر»(١).

كما ورد أن أول ما عصى الله به الكبر، وهى معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين(٢).

وقد جاء فى تعريف الكبر هو «أن تغمص الناس وتسفه الحق»، وفى بعض الروايات المعتبرة أن هذا النوع من الكبر هو من أعظم أنواعه.

فعن عبد الأعلى بن أعين قال: «قال أبو عبد الله(عليه السلام): قال رسول(صلى الله عليه وآله وسلم): إن أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق. قال: قلت: وما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال: يجهل الحق ويطن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله عز وجل رداءه»(٣).

وفى حديث آخر عن محمد بن عمر بن يزيد، عن أبيه قال: «قلت لابي عبد الله(عليه السلام): إننى أكل الطعام الطيب، وأشم الرائحة الطيبة، وأركب الدابة الفارغة، ويتبعنى الغلام، فترى فى هذا شيئاً من التجبر فلا أفعله؟ فأطرق أبو عبد الله(عليه السلام) ثم قال: إنما

(١) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٦، ب ٦٠، ح ١.

(٢) يراجع وسائل الشيعة ١١: ٣٠٨، ب ٦١، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٦، ب ٦٠، ح ٣.

الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق. قال عمر: فقلت: أما الحق فلا أجهله، والغمص لا أدري ما هو. قال: من حَقَّ الناس وتَجَبَّر عليهم فذلك الجبار»(٤).

وقد فسر أهل البيت(عليهم السلام) سبب التجبر والتكبر - كما ورد في الحديث عنهم - أنه الشعور بالنقص والاحساس بالذلة في النفس.

فعن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: «ما من أحد يتيه إلا لذلَّة يجدها في نفسه»(٥).

وعنه(عليه السلام) في حديث آخر قال: «ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلَّة يجدها في نفسه»(٦).

ومن مصاديق الكبر - كما ورد في الروايات - العناد، ورفض احترام الآخرين.

فقد ورد في حديث معتبر عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: «سمعتة يقول: الكبر قد يكون في شرار الناس من كل جنس، والكبر رداء الله، فمن نازع رداءه لم يزد إلا سفالاً. إن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مرَّ في بعض طرق المدينة وسوداء تلقت السرقين، فقيل لهما: تنحى عن طريق رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت: إن الطريق لمعرض، فهم بها بعض القوم أن يتناولوها، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): دعوها فإنها جبارة»(٧).

و - الطمع والكسل والسفه

كما أن هناك مجموعة من الاحاسيس والمشاعر والعواطف الاجتماعية الاخرى المبغوضة للشارع المقدس، لما فيها من آثار ونتائج سلبية وضارة في حركة الانسان الذاتية والاجتماعية، إذ يصبح فيها الانسان أسيراً لغيره، أو مضيعاً لحقوق الآخرين، أو منفصلاً ومعزولاً عنهم وعن مجتمعهم.

ومن هذه الاحاسيس ذات التأثير السلوكي السيء هو الطمع.

فقد ورد في الحديث عن أبي جعفر(عليه السلام) أنه قال: «بئس العبد عبد يكون له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذله»(٨).

وقال الامام على بن الحسين(عليه السلام): «رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس»(٩).

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٧، ب ٦٠، ح ٥.

(٥) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٣، ب ٥٩، ح ٢.

(٦) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٣، ب ٥٩، ح ٣.

(٧) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٣، ب ٥٩، ح ٤.

(٨) وسائل الشيعة ١١: ٣٢١، ب ٦٧، ح ٢.

ومن هذه المشاعر الكسل الذى يؤدى عادة إلى ضياع الحقوق فى الدنيا والاخرة.

فقد ورد فى وصية النبی(صلى الله عليه وآله وسلم) لعلی(عليه السلام): «وان كسلت لم تؤد حقاً»(١٠).

وجاء فى حديث للنبی(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «لانه إذا كسل فقد ضيع الحقوق»(١١).

يمنعانك حظك من الدنيا والاخرة»(١٢) .

ومن هذه المشاعر أيضاً السفه والجهل، وهما أن توجد فى الانسان حالة نفسية وروحية تجعله يتجاوز الحدود والاداب الاجتماعية فى الكلام والحديث مع الناس عامة، ويبادر الى القول والفعل من دون روية وتعقل، وهذه الصفة من أبرز مصاديق سوء الخلق.

فقد ورد عن الامام الصادق(عليه السلام) قوله: «إن السفه خلق لئيم، يستطيل على من هو دونه، ويخضع لمن هو فوقه»(١٣).

وقال(عليه السلام): «لا تسفهوا، فإن أئمتكم ليسوا بسفهاء»(١٤).

وعنه(عليه السلام) بطريق معتبر: «إن أبغض خلق الله عبد اتقى الناس لسانه»(١٥).

وقال(عليه السلام): «من كافأ السفه بالسفه، فقد رضى بما أتى إليه، حيث احتذى مثاله»(١٦).

٣ - ضبط العواطف والمعاشرة

وفى مجال المعاشرة والعلاقات الاجتماعية نجد نماذج ومفردات تفصيلية، يقدمها الشارع المقدس وأهل البيت(عليهم السلام)، تعبر عن هذه القاعدة المهمة فى النظرية الاسلامية فى العلاقات الاجتماعية:

(٩) وسائل الشيعة ١١: ٣٢١، ب ٦٧، ح ٣.

(١٠) وسائل الشيعة ١١: ٣٢٠، ب ٦٦، ح ٢.

(١١) وسائل الشيعة ١١: ٣٢٠، ب ٦٦، ح ٣.

(١٢) وسائل الشيعة ١١: ٣٢٠، ب ٦٦، ح ٤.

(١٣) الكافي ٢: ٣٢٢، ح ١.

(١٤) الكافي ٢: ٣٢٢، ح ٢.

(١٥) الكافي ٢: ٣٢٢، ح ٤.

(١٦) الكافي ٢: ٣٢٢، ح ٣.

أ - حسن الصحبة

فأولى هذه المفردات هو حسن الصحبة، وتحمل الرفقاء والاصحاب وغيرهم، ممن يبتلى الانسان عادة بإيجاد العلاقات الاجتماعية العامة معهم.

عن أبي الربيع الشامي قال: «دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) والبيت غاص بأهله، فيه الخراساني والشامي ومن أهل الافاق، فلم أجد موضعاً أقعد فيه، فجلس أبو عبد الله (عليه السلام) وكان متكئاً ثم قال: يا شيعة آل محمد، اعلّموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه، ومخالقته من خالقه، ومرافقته من رافقه، ومجاورة من جاوره، وممالحة من مالحه» الحديث (١٧).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «ما يُعبأ بمن سلك هذا الطريق إذا لم يكن فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الصحبة لمن صحبه» (١٨).

وفى هذا المجال يذكر أهل البيت (عليهم السلام) بعض المفردات التي تعبر عن حسن الصحبة هذه، مثل ما ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) في كتاب المحاسن بطريق معتبر: «ليس من المروءة أن يحدث الرجل بما يلقي في السفر من خير أو شر» (١٩).

ومثل تفقد أحوال رفيق السفر بعد الافتراق؛ فعن المفضل بن عمر قال: «دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال لي: من صحبك؟ فقلت له: رجل من إخواني. قال: فما فعل؟ قلت: منذ دخلت لم أعرف مكانه. فقال لي: أما علمت أن من صحب مؤمناً أربعين خطوة سأله الله عنه يوم القيامة؟» (٢٠).

وكذلك سؤال ذي الجليس جليسه عن اسمه وكنيته ونسبه وحاله، وكرهه ترك ذلك، ولكن بدون فضول وإحراج، ولعل في هذا الحديث الشريف الذي يرويه علي بن الحسين (عليهما السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يلقي الضوء على بعض المصايق والامثلة.

فقد روى (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال يوماً لجلسائه: «تدرون ما العجز؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: العجز ثلاثة: أن يبدركم بطعام يصنعه لصاحبه فيخلفه ولا يأتيه، والثانية أن يصحب الرجل منكم الرجل أو يجالسه يحب أن يعلم من هو ومن أين هو، فيفارقه قبل أن يعلم ذلك، والثالثة أمر النساء يدنو أحدكم من أهله فيقضى حاجته وهي لم تقض حاجتها. فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: فكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يتحرش ويمكث حتى يأتي ذلك منهما جميعاً» (٢١).

(١٧) وسائل الشيعة ٨ : ٤٠٢، ح ٣.

(١٨) وسائل الشيعة ٨ : ٤٠٢، ح ٤.

(١٩) المحاسن ٢ : ١٠٣، ووسائل الشيعة ٨ : ٤٠٣، ح ٦.

(٢٠) وسائل الشيعة ٨ : ٤٠٣، ح ٨.

(٢١) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠٠، ح ١.

وقد عُبر عن هذه الافعال الثلاثة بـ «الجفاء» فى حديث آخر يرويه الامام الباقر(عليه السلام) عن جده رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ثلاثة من الجفاء: أن يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته، وأن يدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب، أو يجيب فلا يأكل، ومواقعة الرجل أهله قبل الملاعبة»(٢٢).

كما جاء فى حديث آخر يرويه الصادق(عليه السلام) عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أن السؤال عن الاسم والهوية الشخصية من الحق الواجب وصدق الاخاء: «إذا أحب أحدكم أخاه المسلم، فليسأله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته، فإن من حقه الواجب وصدق الاخاء أن يسأله عن ذلك، وإلا فإنها معرفة حمق»(٢٣).

ب - الضحك والمزاح

ومن هذه المفردات أن الانسان قد يصادف فى حياته الاجتماعية ما يثير عنده الاحساس بالضحك، سواء كان ذلك عن طريق المزاح أم المشاهد المثيرة، وهنا لا بد له من ضبط هذا الانفعال، سواء بحسب الشكل والصورة، بحيث يحسن به أن لا يصل إلى حد القهقهة وارتفاع الصوت، فقد روى عن الامام الصادق بطريق معتبر أنه قال: «القهقهة من الشيطان»(٢٤).

وفى حديث آخر قال(عليه السلام): «ضحك المؤمن تبسم»(٢٥).

وعن أبى جعفر(عليه السلام) قال: «إذا قهقهت فقل حين تفرغ: اللهم لا تمقتنى»(٢٦).

أو ضبط هذا الانفعال من ناحية السبب، فقد ورد عن الامام الصادق(عليه السلام) أنه قال: «إن من الجهل الضحك من غير عجب»(٢٧).

بل دعا أئمة أهل البيت(عليهم السلام) إلى قلة الضحك والمزاح، لما لهما من آثار اجتماعية سيئة، بالاضافة إلى آثاره الذاتية السيئة.

ففى حديث معتبر عن الامام الصادق(عليه السلام) قال: «إياكم والمزاح فإنه يذهب بماء الوجه» وقال أيضاً: «كثرة الضحك تميم القلب» وقال: «كثرة الضحك تميم الدين كما يميم الماء الملح»(٢٨).

(٢٢) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠١ ، ح ٤.

(٢٣) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠١ ، ح ٣.

(٢٤) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٩ ، ح ١.

(٢٥) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٩ ، ح ٣.

(٢٦) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٩ ، ح ٢.

(٢٧) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٩ ، ب ٨٢ ، ح ١.

(٢٨) وسائل الشيعة ٨ : ٤٨٠ - ٤٨١ ، ح ١ ، ٢.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «إياك والمزاح فإنه يجر السخيمه ويورث الضغينه وهو السبّ الاصغر» (٢٩).

وعن الصادق (عليه السلام): «لا تمازح فيجترأ عليك» (٣٠).

ج - الحشمة والاسترسال في الثقة

ومن هذه المفردات الالتزام بالحشمة في الصداقه والمعاشره، وعدم الانسياق مع عواطف الحب والموده في التصرف، وكذلك عدم الاسترسال في الثقة أو الحب والبغض، حيث إنها لا بد أن تخضع للمنطق والصفات الخاصه في الصديق المعاشر، وهذا لا ينافي بطبيعه الحال حسن الظن والانفتاح.

فقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي الحسن موسى الكاظم (عليه السلام) أنه قال: «لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك؛ أبق منها فإن ذهابها ذهاب الحياء» (٣١).

كما روى عن ابن عباس، والامام الرضا (عليه السلام) أنهما قالوا في تفسير قوله تعالى: (وتأتون في ناديكم المنكر) أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء (٣٢).

كما روى عن الامام الصادق (عليه السلام) في موضوع الاسترسال في الثقة أنه قال: «لا تثق بأخيك كل الثقة، فإن صرعه الاسترسال لن تُقال» (٣٣).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «أحب حبيبي هوناً ما فعسى أن يكون بغيبك يوماً ما، وأبغض بغيبك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبي يوماً ما» (٣٤).

وقد مرّ علينا سابقاً الحدود والخصائص المطلوبة في الصديق والصاحب التي تعتبر مقاييس في الثقة والاعتماد (٣٥).

(٢٩) وسائل الشيعة ٨ : ٤٨٢ ، ح ٩ .

(٣٠) وسائل الشيعة ٨ : ٤٨٢ ، ح ١١ .

(٣١) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠١ ، ح ٢ .

(٣٢) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠٣ ، ح ٨ ، عن مجمع البيان .

(٣٣) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠١ ، ح ١ .

(٣٤) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠٢ ، ح ٧ .

(٣٥) راجع وسائل الشيعة ٨ : ٥٠٢ ، ح ٣ .

د - كراهة المراء والخصومة

ومن هذه المفردات عدم الانسياق مع الشعور بالانتصار للنفس في الاحاديث والمناقشات، بحيث يتطور ذلك إلى المراء والخصومة، فقد نهى الشارع المقدس عن ذلك.

ففي الحديث المعتبر عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «قال أمير المؤمنين (عليه السلام): إياكم والمراء والخصومة، فإنهما يمرضان القلوب على الاخوان، وينبت عليهما النفاق» (٣٦).

هـ - حفظ اللسان والسكوت إلا عن الخير

ومن هذه المفردات أيضاً عدم الانسياق مع الرغبة في الحديث والكلام، ولزوم السيطرة على ما يصدر عن لسان الانسان، والمراقبة الدقيقة له، فقد ورد التحذير الكثير من الشارع المقدس في هذا المجال، إدراكاً منه لوجود هذا الشعور في داخل الانسان، والاضرار البالغة التي يمكن أن تترتب على هفوات اللسان وأخطائه، خصوصاً في مجال العلاقات الاجتماعية. وقد ذهبت الحكمة المنقولة عن لقمان الحكيم في هذا الباب مذهب المثل، فقد روى أبو عبد الله (عليه السلام) قال: «قال لقمان لابنه: يا بني، إن كنت زعمت أن الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب» (٣٧).

وفي الحديث المعتبر عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنه قال: «من علامات الفقه العلم والحلم والصمت؛ إن الصمت باب من أبواب الحكمة، إن الصمت يكسب المحبة، إنه دليل على كل خير» (٣٨).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لرجل أتاه: ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أنل مما أنالك الله. قال: فإن كنت أحوج ممن أنيله، قال: فأنصر المظلوم. قال: فإن كنت أضعف ممن أنصره. قال: فاصنع للآخرق، يعنى أشر عليه. قال: فإن كنت أخرق ممن اصنع له. قال: فأصمت لسانك إلا من خير. أما يسرّك أن يكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرّك إلى الجنة؟» (٣٩).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «كلام في حق خير من سكوت على باطل» (٤٠).

وعن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: «القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق، وينسئ في الاجل، ويحبب إلى الاهل، ويدخل الجنة» (٤١).

(٣٦) وسائل الشيعة ٨ : ٥٦٧، ب ١٣٥، ح ١، وينظر كذلك الحديث الثاني.

(٣٧) وسائل الشيعة ٨ : ٥٢٨، ح ٥.

(٣٨) وسائل الشيعة ٨ : ٥٢٧، ح ١.

(٣٩) وسائل الشيعة ٨ : ٥٢٧، ح ٤.

(٤٠) وسائل الشيعة ٨ : ٥٢٩، ح ١٠.

وعن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فى وصيته لآبى ذر أنه قال: «يا أبا ذر، الذاكر فى الغافلين كالمقاتل فى الفارين فى سبيل الله. يا أبا ذر، المجلس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من مجلس السوء، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر. يا أبا ذر، اترك فضول الكلام، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك. يا أبا ذر، كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع. يا أبا ذر، إنه ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان. يا أبا ذر، إن الله عند لسان كل قائل، فليتنق الله امرؤ وليعلم ما يقول»(٤٢).

وعن أبى عبد الله(عليه السلام) أنه قال لرجل وقد كلمه بكلام كثير: «أيها الرجل، تحتقر الكلام وتستصغره؛ إن الله لم يبعث رسله حيث بعثها ومعها فضة ولا ذهب، ولكن بعثها بالكلام، وإنما عرف الله نفسه إلى خلقه بالكلام، والدلالات عليه والاعلام»(٤٣).

و - كظم الغيظ والصبر على الحسد

ومن هذه المفردات السيطرة على المشاعر عند إثارة غيظ الانسان، وحبه للدفاع عن النفس والانتقام، خصوصاً إذا كان الانسان محقاً أو مظلوماً، حيث يصبح من الضروري أن يحكم عقله وحكمته وإرادته فى السيطرة على هذا الشعور القوى، والانفعال الجارف.

فقد ورد بطريق معتبر عن الامام الصادق(عليه السلام) أنه قال: «نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها، فإن عظيم الاجر لمن عظيم البلاء، وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم»(٤٤).

وكذلك ورد بطريق معتبر عن الامام الصادق(عليه السلام) أنه قال: «كان على بن الحسين(عليهما السلام) يقول: ما أحب أن لى بذل نفسى حمر النعم، وما تجرعت جرعة أحب إلى من جرعة لا أكافئ بها صاحبها»(٤٥).

وقد وصف الله سبحانه عباده الصالحين بهذه الصفة فى قوله: (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس).

وفى وصية النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى(عليه السلام) أنه قال: «يا على، أوصيك بوصية فاحفظها، فلا تزال بخير ما حفظت وصيتى، يا على، من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه أعقبه أمناً وإيماناً يجد طعمه...»(٤٦).

ومن هذا الباب الصبر على الحساد ونحوهم من أعداء النعم، الذين يثيرون فى الانسان بتصرفاتهم مختلف الانفعالات والمشاعر؛ لذا كان هذا النوع من البلاء من أشد المحن الاجتماعية التى نذب المؤمن إلى الصبر عليها.

(٤١) وسائل الشيعة ٨ : ٥٣٠، ح ١٦.

(٤٢) وسائل الشيعة ٨ : ٥٣١، ح ١.

(٤٣) وسائل الشيعة ٨ : ٥٣٣، ح ٥. راجع الابواب ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ من ج ٨ من أبواب أحكام العشرة، فإن فيها عشرات الروايات فى هذا الباب.

(٤٤) وسائل الشيعة ٨ : ٥٢٣، ح ١.

(٤٥) وسائل الشيعة ٨ : ٥٢٣، ح ٢.

(٤٦) وسائل الشيعة ٨ : ٥٢٤، ح ١١.

روى بطريق معتبرة عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: «اصبر على أعداء النعم، فإنك لن تكافئ من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه» (٤٧).

وكذا بطريق معتبرة عنه (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله أخذ ميثاق المؤمن على بلایا أربع، أشدها عليه مؤمن يقول بقوله يحسده، أو منافق يقفو أثره، أو شيطان يغويه، أو كافر يرى جهاده، فما بقاء المؤمن بعد هذا؟» (٤٨)

ثالثاً: العدل والانصاف

لقد ذكرنا في توضيح هذا الاساس أنهما ينطلقان من فكرة وجوب العدل وحرمة الظلم، وأن أوضح مصاديق العدل في العلاقات الاجتماعية هو إنصاف الانسان الناس من نفسه.

كما أن حرمة الظلم لا تختص بممارسته شخصياً، بل لابد للانسان أن يكون موقفه بوجه الظلم شمولياً وواسعاً، ويمكن أن نلاحظ هذه الشمولية في الامور التالية:

أ - رد المظالم

إذا ارتكب الانسان ظلماً في حق أحد من الناس، فأخذ منه ماله، أو اغتصب منه حقاً من حقوقه ثم تاب من ذلك وارتدع، فلا بد له أن يرد للمظلوم مظلّمته، وهو ما يسمى بـ «ردّ المظالم».

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأما الظلم الذي لا يغفره فالشرك، وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد» (٤٩).

وعن وهب بن عبد ربه، وعبيد الله الطويل، عن شيخ من النخع قال: «قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إنى لم أزل والياً منذ زمن الحجاج إلى يومى هذا، فهل لى من توبة؟ قال: فسكت، ثم أعدت عليه فقال: لا حتى تؤدى إلى كل ذى حق حقه» (٥٠).

وعن أبى بصير قال: «سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: من أكل من مال أخيه ظلماً ولم يرده إليه، أكل جذوة من النار يوم القيامة» (٥١).

(٤٧) وسائل الشيعة ٨ : ٥٢٦ ، ح ١.

(٤٨) وسائل الشيعة ٨ : ٥٢٦ ، ح ٢.

(٤٩) وسائل الشيعة ١١ : ٣٤٢ ، ح ١.

(٥٠) وسائل الشيعة ١١ : ٣٤٢ ، ح ٣.

(٥١) وسائل الشيعة ١١ : ٣٤٢ ، ح ٤.

ب - الهداية بعد الضلال

وكذلك إذا ارتكب الانسان ظلماً معنوياً في حق أحد، فأصله عن الحق وساقه إلى الباطل، ثم تاب عن ذلك، فيجب عليه أن يسعى إلى هدايته وإرشاده إلى الحق، وإرجاعه إلى طريق الصواب.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان رجل في الزمن الاول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها، وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشيطان فقال له: ألا أدلك على شيء تكثر به دنياك، وتكثر به تبعك؟ فقال: بلى. قال: تبتدع ديناً وتدعو الناس إليه، ففعل فاستجاب له الناس وأطاعوه، فأصاب من الدنيا، ثم إنه فكر فقال: ما صنعت؟! ابتدعت ديناً ودعوت الناس إليه؛ ما أرى لي من توبة إلا أن أتى من دعوته إليه فأرده عنه، فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول: إن الذي دعوتكم إليه باطل، وإنما ابتدعته، فجعلوا يقولون: كذبت، هو الحق، ولكنك شككت في دينك فرجعت عنه، فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتد لها وتدأ ثم جعلها في عنقه، قال: لا أحلها حتى يتوب الله عزوجل عليّ، فأوحى الله عزوجل إلى نبي من الانبياء: قل لفلان: وعزتي لو دعوتني حتى تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتى ترد من مات على ما دعوته إليه فيرجع عنه» (٥٢).

ج - معونة الظالم

وكما يحرم على الانسان أن يباشر الظلم بنفسه، يحرم عليه أن يعين الظالم على ظلمه، أو يكون بحسب الفهم الاجتماعي للعلاقات من أعوان الظالمين.

عن عبد الله بن سنان قال: «سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: من أعان ظالماً على مظلوم لم يزل الله عليه ساخطاً حتى ينزع من معونته» (٥٣).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر القوم الظلمة» (٥٤).

وعن علي بن الحسين (عليهما السلام) في حديث قال: «إياكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين» (٥٥).

وعن جعفر بن محمد عن آبائه (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين أعوان الظلمة، ومن لاق لهم دواء، أو ربط كيساً، أو مد له مدّة قلم؟ فاحشروهم معهم» (٥٦).

(٥٢) وسائل الشيعة ١١: ٣٤٣، ح ١.

(٥٣) وسائل الشيعة ١١: ٣٤٥، ح ٥.

(٥٤) نهج البلاغة، الحكمة: ٣٥٠.

(٥٥) وسائل الشيعة ١٢: ١٢٨، ح ١.

(٥٦) وسائل الشيعة ١٢: ١٣٠، ح ١١. وفي هذا الباب أحاديث كثيرة بهذا المضمون سبقت الإشارة إلى بعضها.

د - الرضا بالظلم والسكوت عنه

وكما يحرم على الانسان أن يباشر الظلم يحرم عليه الرضا والقبول به والسكوت عنه.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «العامل بالظلم والمعين له والراضى به شركاء ثلاثتهم» (٥٧).

وعنه (عليه السلام): «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له، ولم يأجره الله على ظلامته» (٥٨).

وعنه (عليه السلام) في حديث له: «ومن أحب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصى الله» (٥٩).

مصاديق لانصاف الناس من النفس

وفى مجال إنصاف الناس من النفس نلاحظ أن أهل البيت (عليهم السلام) يرشدوننا إلى مجموعة من المصاديق، بالاضافة إلى ما أشرنا إليه من (حب المؤمن لآخيه ما يحبه لنفسه):

أ - رد المعروف

فمن ذلك أن يقابل المعروف الذى يصله من الناس بمثله أو أفضل منه، كما قال الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه الكريم: (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) (٦٠).

وهذا نظير رد السلام بمثله أو بأفضل منه (وإذا حُيِّتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها) (٦١).

وقد ورد فى الحديث الشريف تأكيد رد المعروف.

عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: من صنع بمثل ما صُنِعَ إليه فإنما كافأه، ومن أضعفه كان شكوراً، ومن شكر كان كريماً، ومن علم أن ما صنع إنما صنع إلى نفسه لم يستبطن الناس فى شكرهم، ولم يستزدهم فى مودتهم، ولا تلتبس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك، ووقيت به عرضك، واعلم أن الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فأكرم وجهك عن رده» (٦٢).

(٥٧) وسائل الشيعة ١١: ٣٤٥، ح ١.

(٥٨) وسائل الشيعة ١١: ٣٤٥، ح ٢.

(٥٩) وسائل الشيعة ١٢: ١٣٤، ح ٥.

(٦٠) الرحمن: ٦٠.

(٦١) النساء: ٨٦.

(٦٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٦، ح ١.

وعن علي بن سالم قال: «سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «آية في كتاب مسجلة. قلت: وما هي؟ قال: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) جرت في المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر؛ من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به، وليست المكافأة أن يصنع كما صنع به، بل يرى مع فعله لذاك أن له الفضل المبتدأ» (٦٣).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف! قيل: وما قاطعوا سبيل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره، فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره» (٦٤).

وعنه (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من أتى إليه معروف فليكافئ به، فإن عجز فليئن عليه، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة» (٦٥).

ب - رد الحقوق

ومنه أن يعرف حق أخيه كما يعرف أخوه حقه، فإن الحقوق بين المؤمنين متبادلة، كما نجد ذلك في النصوص التي وردت في حق المؤمن، ومنها النص الذي ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) من قوله: «أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه، ولا يعرف حق جاره» (٦٦).

ج - الاشتغال بعيوب الناس

ومنه أن يشتغل بعيوبه وإصلاحها عن عيوب الناس، فقد ورد في الحديث عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ثلاث خصال من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله: رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجل لم يقدّم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم أن ذلك لله رضا، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه، فإنه لا ينفي منها عيباً إلا بدا له عيب، وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس» (٦٧).

وعنه (عليه السلام) قال: «كفى بالمرء عيباً أن يتعرف من عيوب الناس ما يعمي عليه من أمر نفسه، أو يعيب على الناس أمراً هو فيه لا يستطيع التحول عنه إلى غيره، أو يؤذى جليسه بما لا يعنيه» (٦٨).

(٦٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٧، ح ٣.

(٦٤) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٩، ح ١.

(٦٥) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٩، ح ٢.

(٦٦) وسائل الشيعة ٨: ٣٩٩، ح ٤.

(٦٧) وسائل الشيعة ٨: ٢٢٨، ح ١.

(٦٨) وسائل الشيعة ٨: ٢٢٩، ح ٣.

د - القول الحسن في الناس

ومنه أن يقول في الناس أحسن ما يحب أن يقال فيه، من الظن الحسن وحمل أقواله وأفعاله على أحسن الوجوه، ومدحه والثناء عليه.

فعن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عزوجل: (وقولوا للناس حسناً) قال: «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال فيكم» (٦٩).

مصاديق للظلم والعدوان

وفي مجال ظلم الناس والعدوان عليهم حدد الشارع المقدس، كما ورد في حديث أهل البيت (عليهم السلام)، مصاديق عديدة، وذلك من خلال الفهم الانساني الواسع لموضوع العدل والظلم، بحيث أعطى للمسلم حرمة وصيانته تستلزمان معاملته خاصة في العلاقات الاجتماعية، وتمنعان من سلوكيات وأعمال كثيرة، نشير إلى بعض مصاديقها المهمة:

أ - قتل المسلم وايدأؤه

فمن ذلك قتل المسلم، أو إيذاؤه، أو إخافته حتى لو كان ذلك بكلمة أو نظرة، وكذلك الاعانة على هذه الاعمال. وإليك مجموعة من نماذج الروايات والاحاديث المعتبرة التي تدل على هذا المضمون.

عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «قال الله عزوجل: ليأذن بحرب مني من أذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن» (٧٠).

وعن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله (عليه السلام) أو عن ذكره عنه قال: «يجيء يوم القيامة رجل إلى رجل حتى يلطخه بدمه، والناس في الحساب، فيقول: يا عبد الله، مالي ولك؟ فيقول: أعنت على يوم كذا وكذا فقتلت» (٧١).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن العبد يحشر يوم القيامة وما أدمى دماً، فيدفع إليه شبه المحجّم أو فوق ذلك، فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا رب، إنك تعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً، قال: بلى، وما سمعت من فلان بن فلان كذا وكذا فرويتها عنه فنقلت حتى صار إلى فلان فقتله عليها، فهذا سهمك من دمه» (٧٢).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله عزوجل يوم لا ظلّ إلا ظلّه» (٧٣).

(٦٩) وسائل الشيعة ١١: ٥٦٣، ب ٢١، ح ٣.

(٧٠) وسائل الشيعة ٨: ٥٨٧، ح ١.

(٧١) وسائل الشيعة ٨: ٦١٥، ح ١.

(٧٢) وسائل الشيعة ٨: ٦١٥، ح ٣.

(٧٣) وسائل الشيعة ٨: ٦١٤، ح ١.

ب - إهانة المسلم

ومنه إهانة المؤمن أو خذلانه بأى درجة كانت، فعن أبى جعفر (عليه السلام) قال: «لَمَّا أُسْرَى بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يا رب ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمد، من أهان لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة، وأنا أسرع شىء إلى نصرته أوليائى» (٧٤).

وعن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله فى الدنيا والاخرة» (٧٥).

ج - إذلال المؤمن

ومنه إذلال المؤمن، أو احتقاره، أو الاستخفاف به، فعن معلى بن خنيس، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «سمعتة يقول: قال الله عزوجل: ليأذن بحرب منى من أذل عبدى المؤمن، وليأمن غضبى من أكرم عبدى المؤمن» (٧٦).

وعنه (عليه السلام) قال: «قال رسول الله: لقد أسرى ربه بى فأوحى إلى من وراء الحجاب ما أوحى، وشافهنى أن قال لى: يا محمد، من أذل لى ولياً فقد أرصد لى بالمحاربة، ومن حاربنى حاربتة. قلت: يا رب، ومن وليك هذا؟ فقد علمت أن من حاربك حاربتة، فقال: ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيك ولذريتكما بالولاية» (٧٧).

وعن أبى هارون، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «قال لنفر عنده وأنا حاضر: مالكم تستخفون بنا؟! قال: فقام إليه رجل من خراسان فقال: معاذ لوجه الله أن نستخف بك أو بشىء من أمرك، فقال: بلى، إنك أحد من استخف بى، فقال: معاذ لوجه الله أن أستخف بك، فقال له: ويحك! ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملنى قدر ميل فقد والله عييت؟ والله ما رفعت به رأساً؛ لقد استخففت به، ومن استخف بمؤمن فبنا استخف، وضيع حرمة الله عزوجل» (٧٨).

د - تعيير المؤمن

ومنه تعيير المؤمن بارتكاب الذنب أو عمل السوء، وتأنيبه عليه، وهذا غير نهيه عن المنكر أو نصيحته بقصد ردعه عن الذنوب.

فقد ورد فى الحديث المعتبر عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «من عيّر مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه» (٧٩).

(٧٤) وسائل الشيعة ٨ : ٥٨٨، ح ١.

(٧٥) وسائل الشيعة ٨ : ٥٨٩، ح ٩.

(٧٦) وسائل الشيعة ٨ : ٥٩٠، ح ١.

(٧٧) وسائل الشيعة ٨ : ٥٩٠، ح ٢.

(٧٨) وسائل الشيعة ٨ : ٥٩٢، ح ١.

(٧٩) وسائل الشيعة ٨ : ٥٩٦، ح ١.

وعنه (عليه السلام): «من لقي أخاه بما يؤنبه أنبه الله في الدنيا والآخرة» (٨٠).

هـ - إحصاء عثرات المؤمنين

ومنه إحصاء عثرات المؤمنين بقصد الاساءة إليهم، واستغلالها لهتك حرمتهم، وهدم مروّتهم.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أبعد ما يكون العبد من الله أن يكون الرجل يؤاخى الرجل وهو يحفظ زلاته فيعيّره بها يوماً ما» (٨١).

وعن اسحاق بن عمار قال: «سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان إلى قلبه، لا تذرّوا المسلمين ولا تتبّعوا عوراتهم، فإنه من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته يفضحه ولو في بيته» (٨٢).

و - سبّه والطعن فيه

ومنه سبّ المؤمن أو لعنه أو الطعن عليه، فقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) في رجلين يتسابان قال: «البادى منهما أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم» (٨٣).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن رجلاً من تميم أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أوصنى، فكان فيما أوصاه أن قال: لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوة لهم» (٨٤).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله عزوجل خلق المؤمن من عظمته جلاله وقدرته، فمن طعن عليه أو ردّ عليه قوله فقد ردّ على الله» (٨٥).

وعنه (عليه السلام) قال: «إنّ اللعنة إذا خرجت من صاحبها ترددت بينه وبين الذى يلعن، فان وجدت مساعاً وإلا رجعت إلى صاحبها، وكان أحق بها، فاحذروا أن تلعنوا مؤمناً فيحل بكم» (٨٦).

(٨٠) وسائل الشيعة ٨ : ٥٩٦، ح ٤.

(٨١) وسائل الشيعة ٨ : ٥٩٤، ح ١.

(٨٢) وسائل الشيعة ٨ : ٥٩٤، ح ٣.

(٨٣) وسائل الشيعة ٨ : ٦١٠، ح ١.

(٨٤) وسائل الشيعة ٨ : ٦١٠، ح ٢.

(٨٥) وسائل الشيعة ٨ : ٦١٢، ح ٥.

(٨٦) وسائل الشيعة ٨ : ٦١٣، ب ١٦٠، ح ١.

ز - اغتيابه

ومنه ذكر المؤمن في غيبته بسوء يكرهه، وكشف عيوبه المستورة، وهو ما يعبر عنه بـ (الغيبه) التي صرح القرآن الكريم بتحريمها، ووصفها بأكل لحم الميت (ولا يَغْتَبُ بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) (٨٧).

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعت أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)» (٨٨).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في وصيته لأبي ذر: «يا أبا ذر، إياك والغيبه، فإن الغيبه أشد من الزنى. قلت: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: لأن الرجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه، والغيبه لا تغفر حتى يغفرها صاحبها. يا أبا ذر، سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه. قلت: يا رسول الله، وما الغيبه؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره. قلت: يا رسول الله، فإن كان فيه الذي يذكر به، قال: اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبتته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتته» (٨٩).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم كان ممن حرمت غيبته، وكملت مروته، وظهر عدله، ووجبت أخوته» (٩٠).

وقد استثنى الفقهاء من حرمة الغيبه غيبه الفاسق المتجاهر بفسقه، فعن الصادق (عليه السلام) قال: «إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبه» (٩١).

وعن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهتته» (٩٢).

ح - البهتان

ولا شك أن بهتان المؤمن أعظم ظلماً من الغيبه، فقد ورد في الحديث المعتبر عن الامام الصادق (عليه السلام): «من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال. قلت: وما طينة خبال؟ قال: صديد يخرج من فروج المومسات» (٩٣).

(٨٧) الحجرات: ١٢.

(٨٨) وسائل الشيعة ٨ : ٥٩٨، ح ٦، الآية ١٩: النور.

(٨٩) وسائل الشيعة ٨ : ٥٩٨، ح ٩.

(٩٠) وسائل الشيعة ٨ : ٥٩٧، ح ٢.

(٩١) وسائل الشيعة ٨ : ٦٠٤، ح ٤.

(٩٢) وسائل الشيعة ٨ : ٦٠٤، ح ٣.

ط - النميمة

ومن ذلك النميمة وإفساد العلاقات بين المؤمنين والتفريق بينهم، فقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الاحبة، الباغون للبراء المعاييب» (٩٤).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في وصيته لابى ذرّ قال: «يا أبا ذرّ، لا يدخل الجنة القتات. قلت: يا رسول الله، ما القتات؟ قال: النمّام. يا أبا ذرّ، صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله في الآخرة. يا أبا ذرّ، من كان ذا وجهين ولسانين في الدنيا فهو ذو وجهين في النار. يا أبا ذرّ، المجالس بالامانة، وإفشائك سرّ أخيك خيانة، فاجتنب ذلك واجتنب مجلس العثرة» (٩٥).

ى - التهمة

ومنه اتهام المؤمن، أو إظهار سوء الظن به.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الايمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء» (٩٦).

وعنه (عليه السلام) قال: «قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام له: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً» (٩٧).

نماذج راقية من العدل في العلاقات

لقد بالغ الشارع المقدس في التأكيد عملياً على العدل في العلاقات الاجتماعية والمعاشرة، تعبيراً عن رسوخ هذه القاعدة المهمة في إرساء البناء الفوقى لها.

ويمكن أن نذكر بهذا الصدد بعض المصاديق التي لها دلالتها الخاصة في هذا المجال:

(٩٣) وسائل الشيعة ٨ : ٦٠٣ ، ح ١.

(٩٤) وسائل الشيعة ٨ : ٦١٦ ، ح ١.

(٩٥) وسائل الشيعة ٨ : ٦١٧ ، ح ٤.

(٩٦) وسائل الشيعة ٨ : ٦١٣ ، ب ١٦١ ، ح ١.

(٩٧) وسائل الشيعة ٨ : ٦١٤ ، ح ٣.

أ - التناجى

نهى الشارع المقدس عن التناجى بين شخصين، وهو الخفت والاسرار فى الحديث، فيما إذا كان هناك شخص ثالث معهم، وقد عاب القرآن الكريم هذا العمل على بعض المسلمين عندما نهاهم عنه ثم عادوا إليه (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ) (٩٨).

وقد ورد فى الحديث الصحيح عن الامام الصادق (عليه السلام): «إذا كان القوم ثلاثاً فلا يتناجى» (٩٩) منهم اثنان دون صاحبهما، فإن فى ذلك ما يحزنه ويؤذيه» (١٠٠).

ب - تقسيم اللحظات

يحسن بالانسان إذا تحدّث إلى جماعة من الناس أو جلس إليهم أن يقسم لحظاته بينهم بالسوية، فقد ورد فى الحديث المعتبر عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسوية. قال: ولم يبسط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجله بين أصحابه قط، وإن كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يده من يده حتى يكون هو التارك، فلما فطنوا لذلك كان الرجل إذا صافحه قال بيده فتزعها من يده» (١٠١).

ج - الاعتراض فى الحديث

ينبغى عدم اعتراض المتحدث المسلم فى حديثه، وقطعه أثناء التحدث، فقد روى الكليني بطريق معروف عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من عرض لاختيه المسلم المتكلم فى حديثه فكأنما خدش وجهه» (١٠٢).

رابعاً: حسن الخلق والتودد الى الناس

عرفنا فى استعراض الاسس والقواعد أن حسن الخلق والتودد إلى الناس يمثلان الاساس لمنهج الانفتاح من ناحية، وللمضمون الاخلاقى للعلاقات، وهو الحب، من ناحية أخرى، بل يتكامل هذا الحب ليصبح إيماناً ودينياً وعقيدة إذا كان فى الله، كما هو مطلوب.

وقد أشرنا إلى بعض النصوص ذات العلاقة بتوضيح وتأكيد هذه القاعدة والاساس فى العلاقات الاجتماعية.

(٩٨) المجادلة: ٨ .

(٩٩) هكذا ورد فى المصادر، وقد تكون «لا» نافية، فتكون الجملة خبرية متضمنة معنى النهي.

(١٠٠) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٢، ب ٧٢، ح ١.

(١٠١) وسائل الشيعة ٨ : ٤٩٩، ح ١.

(١٠٢) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٢، ب ٧٣.

ويمكن أن نجد هذه الحقيقة أيضاً في معالم أخرى عامة في العلاقات الاجتماعية تؤكد مضمون هذه القاعدة، مثل ما سبقت الإشارة إليه في منهج الانفتاح من أن الانقباض من الناس مكسبه لعداوتهم، وكذلك ما ورد من النهي عن المراء والخصومة، أو التحذير من شحناء الرجال وعداوتهم.

المؤمن هين لين

بالإضافة إلى ذلك نجد الشارع المقدس يؤكد هذا الاتجاه من الحث على أن يكون المؤمن في مجمل علاقاته بالآخرين هيناً ليناً.

فقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الهين القريب، اللين السهل» (١٠٣).

ويؤيد ذلك أحاديث أخرى، مثل ما روى في الحديث: «المؤمنون هينون لينون، كالجمل الالف إن قيد انقاد، وإن أنيخ على صخرة استناخ» (١٠٤).

وكذلك ما ورد من التأكيد على أن يتصف المؤمن بطلاقة الوجه، وحسن البشر، فقد ورد في الحديث: «صنائع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبة، ويدخلان الجنة، والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله، ويدخلان النار» (١٠٥).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل فقال: يا رسول الله، أوصني، فكان فيما أوصاه أن قال: الق أخاك بوجه منبسط» (١٠٦).

وعن الحسن بن الحسين قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا بني عبد المطلب، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه، وحسن البشر» (١٠٧).

خطوات ومراتب التودد والمدارة

وإذا تجاوزنا التوجه العام الذي وضعه الاسلام نحو حسن الخلق والمدارة والتودد، نأتى لنشير إلى مجموعة الخطوات العامة التي وضعها التشريع الاسلامي لتجسيد حسن الخلق هذا والمدارة، وذلك بالإضافة إلى ما سوف نشير إليه في القاعدة الاتية، وهي الاحسان واليد العليا؛ فإن ذلك يمثل أعلى مستوى لحسن الخلق والمدارة والتودد.

(١٠٣) وسائل الشيعة ٨ : ٥١٠، ب ١٠٦، ح ١.

(١٠٤) الكافي ٢ : ٢٣٤، ح ١٤.

(١٠٥) الكافي ٢ : ١٠٣، ح ٥.

(١٠٦) وسائل الشيعة ٨ : ٥١٢، ح ٢.

(١٠٧) وسائل الشيعة ٨ : ٥١٢، ح ٤.

الزيارة واللقاء

فقد ورد في بُعد تقوية البناء الاجتماعي أهمية التزاور في تحقيق المضمون العاطفي للعلاقة، وهو الحب؛ حيث إن الحث على الزيارة يحقق موضوع اللقاء بين المؤمنين، ويوجد الفرصة لحسن الخلق والمداراة، كما ورد أيضاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في وصيته لعلی (عليه السلام) تأكيد أهمية الزيارة «سِرُّ أربعة أميال زُرُّ أخاً في الله» (١٠٨).

كما سبق عن شعيب العرقوفی أنه روى في حديثه عن الامام الصادق قوله: «تزاوروا وتلاقوا» (١٠٩).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «التواصل بين الاخوان في الحضر التزاور» (١١٠).

وكذلك ورد عنه (عليه السلام) أن من حقوق المسلم على أخيه المسلم أنه «إذا شهد فزره» (١١١).

كما ورد عنه (عليه السلام) أيضاً أنه قال: «لا تملّ من زيارة إخوانك؛ فإن المؤمن إذا لقي أخاه فقال له: مرحباً، كتب له مرحباً إلى يوم القيامة، فإذا صافحه أنزل الله فيما بين إبهامهما مئة رحمة، تسعة وتسعون منها لاشدهما حباً؟ لصاحبه، ثم أقبل الله عليهما بوجهه فكان على أشدهما حباً لصاحبه أشدّ إقبالاً، فإذا تعانقا غمرتاهما الرحمة» (١١٢).

وقد وضع أهل البيت (عليهم السلام) هدفاً عاماً أمام هذه الزيارات واللقاءات والمداراة، وهو إيجاد مرتبة عالية من الحب والود والارتباط الروحي والنفسی، بحيث يعبر عنه الامام علی (عليه السلام) في نهج البلاغة بهذا التعبير «خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم، وإن عشتهم حنوا إليكم» (١١٣).

وباعتبار أن الزيارة والمخالطة لهما ذلك الشأن الخاص في العلاقات الاجتماعية، وذلك الدور في حسن الخلق والمداراة، نجد الشارع المقدس قد اهتم بوضع الاصول والقواعد والضوابط الجميلة لتحقيق أفضل النتائج من هذه الزيارات، وكان ذلك ضمن الخطوات التالية:

الخطوة الاولى: اللقاء بالبشر والسلام

يمثل اللقاء الخطوة الاولى في العلاقات، ولذا كان شكل اللقاء وكيفية هما الخطوة الاولى في التودد، وقد حث الاسلام في هذا المجال على عدة أمور، تأتي في مقدمتها الامور الثلاثة التالية:

(١٠٨) وسائل الشيعة ٨ : ٢٤٨، ح ٣.

(١٠٩) وسائل الشيعة ٨ : ٥٥٢، ح ١.

(١١٠) وسائل الشيعة ٨ : ٤٩٤، ح ٢.

(١١١) وسائل الشيعة ٨ : ٥٤٥، ح ٨.

(١١٢) وسائل الشيعة ٨ : ٥٦٤، ح ٣.

(١١٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٠.

الابتداء بالسلام

الاول: الابتداء بالسلام فى اللقاء والمبادرة إليه أيضاً، فقد ورد فى الحديث المعتبر عن أبى عبد الله الصادق(عليه السلام) قال: «البادى بالسلام أولى بالله ورسوله»(١١٤).

كما ورد فى حديث آخر معتبر عن على بن الحسين(عليهما السلام): «أن من أخلاق المؤمن ابتداؤه المؤمنين بالسلام عليهم»(١١٥).

كما ورد عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بطريق معتبر أنه قال: «ابدأوا بالسلام قبل الكلام، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه»(١١٦).

وقد منح الاسلام السلام شأنًا خاصاً، وجعله شعاراً للمسلمين، ووضع له آداباً وقواعد كثيرة مفصلة ليأخذ موقعه من تعامل المسلمين بعضهم مع بعض؛ وقد ذكر صاحب الوسائل أكثر من عشرين باباً لبيان تفاصيل هذه الاداب والواجبات يحسن مراجعتها(١١٧).

وقد أشرنا إلى بعض التفاصيل فى طيّات أحاديثنا السابقة، ولعلنا نوفق للإشارة إلى بعضها الآخر فى موضوع نظام الشعائر والعبادات.

اللقاء بالبشر

الثانى: لقاء المسلمين بالبشر، فقد ورد فى حديث النوفلى عن السكونى عن أبى عبد الله(عليه السلام) قال: «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ثلاث يصفين ود المرء لآخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له فى المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الاسماء إليه»(١١٨).

ويأتى فى هذا المجال موضوع استحباب التبسم فى وجه المؤمن، فعن أبى جعفر(عليه السلام) قال: «تبسم المؤمن فى وجه أخيه حسنة، وصرفه القذى عنه حسنة؛ وما عبد الله بمثل إدخال السرور على المؤمن»(١١٩).

طيب الكلام

الثالث: إطابة الكلام فى الحديث عند اللقاء، حيث ورد التأكيد على إفشاء السلام وإطابة الكلام.

(١١٤) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٥، ح ١.

(١١٥) راجع الوسائل ٨ : ٤٣٦، ح ٢.

(١١٦) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٦، ح ٤.

(١١٧) راجع الوسائل ٨ : ٤٣٥ - ٤٥٤، و ٤٥٦ - ٤٥٨، وغيرها.

(١١٨) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٤، ب ٣٠، ح ٢.

(١١٩) وسائل الشيعة ٨ : ٤٨٣، ح ٢.

روى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال: «إن الله عزوجل يحب إفشاء السلام» (١٢٠).

وعن أبى عبد الله (عليه السلام) فى حديث قال: «كان على (عليه السلام) يقول: لا تُغضبوا ولا تُغضبوا. أفشوا السلام، وأطيبوا الكلام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام، ثم تلا عليهم قوله عزوجل: (السلام المؤمن المهيمن)» (١٢١).

الخطوة الثانية: المصافحة والمعانقة والتقبيل والاخبار بالحب

وتعدّ طريقة التعامل فى اللقاء الخطوة الثانية، التى يمكن من خلالها أن يتجسد حسن الخلق والمداراة والتودد؛ وهنا نجد الشارع المقدس يؤكد عدة أمور ويحث عليها ويستحسنها، ليكون اللقاء وسيلة للتودد والمداراة، ومعبراً عن حسن الخلق.

المصافحة

الاول: المصافحة للمؤمن عند لقائه، حيث يعتبر ذلك شكلاً من أشكال التعبير عن الود والحب والولاء، فقد روى بطريق معتبر عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال: «إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أقبل الله عليهما بوجهه، وتساقطت عنهما الذنوب كما يتساقط الورق من الشجر» (١٢٢).

وعن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «تصافحوا فإنها تذهب بالسخيمة» (١٢٣).

وفى رواية أخرى معتبرة عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «إن المؤمنين إذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما فتصافح أشدهما حباً لصاحبه» (١٢٤).

كما ورد فى ذلك: «مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة»، وأن الله تعالى أكرم الملائكة بالمصافحة، وأنه «إذا التقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرقتم تفرقوا بالاستغفار»، و «أنتم فى تصافحكم فى مثل أجور المجاهدين» (١٢٥).

وقد وردت النصوص فى بعض آداب ورسوم هذه المصافحة أيضاً، الامر الذى يؤكد شأنيتها ويجعلها شعاراً آخر من شُعر الاسلام (١٢٦).

(١٢٠) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٨ ، ح ١ .

(١٢١) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٨ ، ب ٣٤ ، ح ٣ .

(١٢٢) وسائل الشيعة ٨ : ٥٥٤ ، ح ٢ .

(١٢٣) وسائل الشيعة ٨ : ٥٥٤ ، ح ٥ .

(١٢٤) وسائل الشيعة ٨ : ٥٥٤ ، ح ٦ .

(١٢٥) وسائل الشيعة ٨ : ٥٥٤ ، ب ١٢٦ من أبواب أحكام العشرة .

(١٢٦) راجع أيضاً المصدر السابق، ب ١٢٧ .

المعانقة والتقبيـل

الثاني: معانقة المؤمن وتقبيله عند لقائه تأكيداً للحب والود، وتعبيراً عن حسن الخلق؛ فقد ورد في الحديث عن أبي جعفر الباقر، وأبي عبد الله الصادق (عليهما السلام) أنهما قالا: «أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئته، ورفعت له درجة، فإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه، ثم باهى بهما الملائكة فيقول: انظروا إلى عبدَيّ تزاورا وتحابّا فيّ؛ حقّ علىّ ألاّ أعذبهما بالنار بعد ذلك الموقف...» (١٢٧).

وكذلك ورد في الحديث الصحيح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن المؤمنَ إذا اعتنقا غمرتَهما الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلا وجه الله، ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا قيل لهما: مغفور لكما فاستأنفا، فإذا أقبلا على المساءلة قالت الملائكة بعضها لبعض: تنحّوا عنهما، فإن لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما...» (١٢٨).

وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قصة لقائه (صلى الله عليه وآله وسلم) بآبَن عمه جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما جاء جعفر بن أبي طالب من الحبشة قام إليه واستقبله اثنتي عشرة خطوة، وعانقه وقبل ما بين عينيه، وبكى وقال: لا أدري بأيهما أنا أشد سروراً، بقدمك يا جعفر أم بفتح الله على يد أخيك خبير؟! وبكى فرحاً برويته» (١٢٩).

كما روى بسند صحيح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن من تمام التحية للمقيم المصافحة، وتمام التسليم على المسافرين المعانقة» (١٣٠).

الاخبار بالحـب

الثالث: إخبار المؤمن أخاه المؤمن بحبه ومودته، إذ إن الكشف عن هذه العاطفة، والتعبير عنها تارة يتم من خلال العمل، كالمصافحة والمعانقة والتقبيـل كما مرّ، وأخرى يكون عن طريق الكلام وإخباره بهذه المودة، وقد ورد في هذا المعنى بطريق معتبر عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «إذا أحببت رجلاً فأخبره بذلك، فإنه أثبت للمودة بينكما»، وفي رواية أخرى «فإنه أبقى للمودة وخير في الالفة»، وفي ثالثة «إذا أحببت أحداً من إخوانك فأعلمه ذلك؛ فإن إبراهيم (عليه السلام) قال: (ربّ أرني كيف تُحبي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)» (١٣١).

(١٢٧) وسائل الشيعة ٨ : ٥٦٣، ح ١.

(١٢٨) وسائل الشيعة ٨ : ٥٦٣، ح ٢.

(١٢٩) وسائل الشيعة ٨ : ٥٥٩، ح ١، مع هامشه.

(١٣٠) وسائل الشيعة ٨ : ٤٤٩، ب ٤٤٤، ح ١.

(١٣١) راجع الوسائل ٨ : ٤٣٤، ب ٣١، ح ١ و ٢ و ٣.

الخطوة الثالثة: آداب المجلس والمحادثة

وطريقة التعامل في المجلس والمحادثة تعتبر الخطوة الثالثة في حسن الخلق وال مداراة، ومن هنا نجد التشريع الاسلامي قد أولى هذا الموضوع اهتماماً خاصاً يمكن أن نلاحظه في الامور التالية:

الاول: آداب الجلوس وطريقة التعامل في المجالس والاجتماعات، حيث يأتي في طليعة هذه الاداب التفسح والتوسعة في المجالس، وكذلك الانتشار والنشور والقيام منها عند انتهاء وقت الاجتماع والجلوس العادي، حيث نص القرآن الكريم على ذلك: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (١٣٢).

وقد ورد عن الامام الصادق (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ينبغي للجلساء في الصيف أن يكون بين كل اثنين مقدار عظم الذراع لئلا يشق بعضهم على بعض» (١٣٣).

كما ورد عنه في تفسير قوله تعالى: (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) قال: «كان يوسع المجلس، ويستقرض للمحتاج، ويعين الضعيف» (١٣٤). وبالإضافة إلى ذلك نجد التأكيد من الشارع المقدس لمجموعه من الاداب في هذا المجال، فراجع كتاب الوسائل.

الاستقبال والتوديع

أ - استقبال وتوديع الانسان الذي يقصد المجلس، فقد روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) بطريق مشهور أنه قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من حق الداخل على أهل البيت أن يمشوا معه هنيئاً إذا دخل وإذا خرج» (١٣٥).

صاحب المنزل أمير

ب - الجلوس حيث يأمر صاحب البيت، لأن صاحب البيت هو أعرف بالمواضع المناسبة للجلوس فيه، سواء فيما يتعلق بإكرام الضيف، أو ما يتعلق بصاحب المنزل من شؤون؛ فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: «إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم في بيته فهو أمير عليه حتى يخرج» (١٣٦).

(١٣٢) المجادلة: ١١.

(١٣٣) وسائل الشيعة ٨ : ٤٠٥، ب ٤، ح ٢.

(١٣٤) وسائل الشيعة ٨ : ٤٠٥، ب ٤، ح ١.

(١٣٥) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧١، ب ٧٠.

(١٣٦) المصدر السابق.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه (عليهما السلام) قال: «إذا دخل أحدكم على أخيه في رحله فليقعد حيث يأمره صاحب الرحل، فإن صاحب الرحل أعرف بعورة بيته من الداخل عليه» (١٣٧).

هيئة الجلوس

ج - كيفية الجلوس، فقد روى السيد عبد العظيم الحسني أنه: «كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يجلس ثلاثاً: القرفصاء، وهو أن يقيم ساقيه ويستقبلهما بيديه، ويشد يد في ذراعه، وكان يجثو على ركبتيه، وكان يثنى رجلاً واحدةً ويبسط عليها الأخرى، ولم يُرَ (صلى الله عليه وآله وسلم) متربّعاً قط» (١٣٨).

وقد ورد في جلسة التربع بعض الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) تدل على صحتها إذا كانت للاستراحة المؤقتة، حيث جاء التعبير عنها في حديث عن علي ابن الحسين (عليهما السلام) أنه قال: «إنما جلست هذه الجلسة للملالة» (١٣٩).

ومن الواضح أن هذه الهيئات الثلاثة إنما كانت تمثل منتهى الأدب من ناحية، والاقتصاد في المكان من ناحية أخرى، بما يتلاءم مع الأوضاع الاجتماعية والحيوية لذلك العصر.

التواضع في الجلوس

د - التواضع في الجلوس، وهو أن يجلس الإنسان في أدنى مجلس إليه إذا دخل، فقد ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام) بطريق معتبر قال: «من رضى بدون الشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم» (١٤٠).

وهذا هو المروي أيضاً في أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث روى عن الصادق (عليه السلام) قوله: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل» (١٤١).

ويأتى في هذا الباب استحباب أن يستقبل الجالس القبلة في جلوسه، وعدم استقبال الشمس فيه، لما يترتب على ذلك من آثار معنوية ومادية (١٤٢).

(١٣٧) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٦، ب ٧٨.

(١٣٨) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٢، ب ٧٤، ح ١.

(١٣٩) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٣، ح ٢.

(١٤٠) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٤، ح ١.

(١٤١) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٤، ح ٢.

(١٤٢) راجع الوسائل ٨ : ٤٧٥، ب ٧٦ و ٧٧.

الثاني: تسميت العاطس، وهو أن يقال للرجل حين يعطس: يرحمك الله، فيقول له: «يهديكُم الله ويصلح بالكم» أو غير ذلك من الادعية، مثل: «يغفر الله لكم ويرحمكم» أو «يغفر الله لنا ولك» فإن هذا الادب في الاجتماع مما أكدته أهل البيت (عليهم السلام) تأسيساً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقد روى عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله: «للمسلم على أخيه المسلم من الحق أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمته إذا عطس، يقول: الحمد لله رب العالمين لا شريك له، ويقول: يرحمك الله، فيجيب يقول له: يهديكُم الله ويصلح بالكم، ويجيبه إذا دعاه، ويشيعه إذا مات» (١٤٣).

كما روى عنه (عليه السلام) أيضاً قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا عطس الرجل فسمتوه ولو كان من وراء جزيرة» (١٤٤).

وفى هذا الباب توجد مجموعة من الاداب والتعاليم، مثل أن يقول العاطس: الحمد لله، واستحباب الصلاة على محمد وآله بعد ذلك، وتكرار التسميت عند تكرر العطاس ثلاثاً، وجواز تسميت الذمي، وغير ذلك من الشؤون (١٤٥).

الثالث: المحادثة، والاداب والالتزامات التي يحسن أن تتحكم فيها، وقد سبق أن أشرنا إلى عدة أبعاد في هذا المجال، مثل: لزوم حفظ السر والامانة فيها، لان «المجالس بالامانة»، وليس لاحد أن يحدث بحديث يكتمه صاحبه إلا بإذنه، إلا أن يكون ثقة أو ذكراً له بخير وغير ذلك من الاستثناءات (١٤٦).

وكذلك مثل كراهة أن يتناجى اثنان مع وجود صاحب لهما ثالث.

ومثل كراهة اعتراض حديث المسلم وقطعه، لان «من عرض لآخيه المسلم المتكلم في حديثه فكأنما خدش وجهه» كما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١٤٧).

الرابع: المزاح والضحك، وقد سبق الحديث في ضبط الانفعالات عن أن القهقهة من الضحك شيء مذموم؛ حيث جاء وصفها في الحديث المعتبر أنها من الشيطان، وكذلك دعوة الائمة (عليهم السلام) إلى قلة المزاح، إذ إنه يذهب بماء الوجه، ويجر السخيمة، ويورث الضغينة.

ولكن المزاح والضحك المحدودين بدون إكثار ولا فحش شيء محبوب للشارع، وهو يعبر عن نوع من التودد والتجيب، ومن ثم الانسجام مع الوضع الروحي والنفسى للحادثة والمجلس في حدود الاداب الاجتماعية العامة.

(١٤٣) وسائل الشيعة ٨ : ٤٥٩ ، ح ١ .

(١٤٤) وسائل الشيعة ٨ : ٤٥٩ ، ح ٢ ، وفي الباب روايات أخرى نافعة في المقام.

(١٤٥) راجع الوسائل ج ٨ ، أبواب احكام العشرة ، ب ٥٧ - ٦٦ .

(١٤٦) راجع الوسائل ٨ : ٤٧١ ، ب ٧١ .

(١٤٧) راجع الوسائل ٨ : ٤٧٢ ، ب ٨٢ و ٧٣ .

ورد عن معمر بن خلاد بطريق معتبر قال: «سألت أبا الحسن (عليه السلام) فقلت: جعلت فداك، الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام يمزحون ويضحكون، فقال: لا بأس ما لم يكن، فظننت أنه عنى الفحش، ثم قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يأتيه الاعرابي فيهدى إليه الهدية ثم يقول مكانه: أعطنا ثمن هديتنا، فيضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان إذا اغتم يقول: ما فعل الاعرابي؟ ليته أتاناً!» (١٤٨).

كما روى عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: «إن الله يحب المداعب في الجماعة بلا رفث» (١٤٩).

وعن يونس الشيباني قال: «قال أبو عبد الله (عليه السلام): كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل، قال: فلا تفعلوا، فإن المداعبة من حسن الخلق، وإنك لتدخل بها السرور على أخيك، ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يداعب الرجل يريد أن يسره» (١٥٠).

وعن الفضل بن أبي قره عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما من مؤمن إلا وفيه دعاية. قلت: وما الدعاية؟ قال: المزاح» (١٥١).

الخامس: قبول الاحسان والكرامة عند تقديمهما، فإن هذا القبول من ألوان التودد والتجيب وحسن الخلق، وقد ورد في أحاديث عديدة الحث على قبول الكرامة، وأنه لا يردّها إلا حمار؛ وهي مثل التوسعة في المجلس والوسادة تقدم له، والطيب كذلك، أو أى شيء آخر يقدم للانسان من أجل تكريمه في الاجتماعات واللقاءات.

روى عبد الله بن جعفر في قرب الاسناد بطريق معتبر عن الصادق عن أبيه عن علي (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا عرض على أحدكم الكرامة فلا يردّها، فإنما يرذّ الكرامة الحمار» (١٥٢).

(١٤٨) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٧، ب ٨٠، ح ١.

(١٤٩) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٨، ح ٥.

(١٥٠) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٨، ح ٤.

(١٥١) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٧، ح ٣.

(١٥٢) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧، ح ٧.

وسئل الرضا(عليه السلام) عن معنى الكرامة فقال: «ذلك في الطيب يعرض عليه والتوسعة في المجالس من أباهما كان كما قال»(١٥٣).

وأضيف في بعض الروايات الوسادة وكل ما يكرم به الرجل(١٥٤).

الخطوة الرابعة: الاحترام والتبجيل

لا شك أن جميع موارد الاحسان والمعروف تُعدّ مصاديق لحسن الخلق والتودد والتجيب للناس، كما عرفنا ذلك في القاعدة الخامسة، وسوف نتبين بعض التفاصيل والتوضيحات لذلك عندما نتناول البناء الفوقي للقاعدة الخامسة أيضاً.

والاحترام والتوقير يدخلان في باب المعروف والاحسان، وكل منهما أحد مصاديقه، ولكن لما كان لهذا الموضوع ارتباط بموضوع اللقاءات والاجتماعات، كان من المناسب أن نذكره في هذا الباب (التودد والتجيب)، لأنه جاء مختصاً بهذا الموضوع.

وقد أولى الشارع المقدس هذا الموضوع اهتماماً خاصاً أيضاً من خلال مجموعة من التشريعات والاداب والرسوم نشير إلى بعضها:

التعظيم والتوقير

أ - تعظيم الاصحاب وتوقيرهم، فقد ورد عن الامام الصادق(عليه السلام) أنه قال: «كان أبو جعفر(عليه السلام) يقول: عظموا أصحابكم ووقروهم، ولا يتهجّم بعضكم على بعض...».

وقد تقدم في المعاملة الخاصة الإشارة إلى توقير ذوى الشبهة والكبراء من الناس وإجلالهم، وأنه إجلال لله تعالى.

إكرام المسلم ولاسيما الشريف

ب - إكرام الشرفاء والكرام من القوم، بل عموم الوافدين من الاشخاص الذين يأتون إلى الاجتماعات، وقد عرفنا جانباً من ذلك في موضوع كراهة ردّ الكرامة، ويشير إلى ذلك أيضاً ما فعله رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بعدى بن حاتم من توقيره له، فقد روى

(١٥٣) وسائل الشيعة ٨ : ٤٧٠، ح ٥.

(١٥٤) راجع الحديثين ٣ و ٤ من الباب السابق.

أمير المؤمنين(عليه السلام) قال: «لما قدم عدى بن حاتم إلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أدخله النبي بيته، ولم يكن في البيت غير خصة ووسادة آدم، فطرحها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لعدى بن حاتم»(١٥٥).

وعن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): من أكرم أخاه المؤمن بكلمة يلفه بها، وفرج عنه كربته لم يزل في ظل الله الممدود عليه من الرحمة ما كان في ذلك»(١٥٦).

وعن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إذا أتاكم شريف قوم فأكرموه»(١٥٧).

وعن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»(١٥٨).

وقد فُسر الشريف في الرواية بصاحب المال، والحسب بالافعال الحسنة، والكرم بالتقوى(١٥٩).

بل إن هذا الحكم هو أعم وأشمل، فقد ورد في حديث معتبر عن الامام الصادق(عليه السلام) قال: «من أتاه أخوه المسلم فأكرمه فإنما أكرم الله عز وجل»(١٦٠).

النداء بأحب الاسماء

ج - ذكر الانسان بأحب الاسماء إليه، وكذلك ذكره بكنيته إذا كان حاضراً، فإن في ذلك توقيراً له، وتودداً إليه.

روى الكليني بطريق معتبر عن أبي الحسن(عليه السلام) قال: «إذا كان الرجل حاضراً فكُنّه، وإذا كان غائباً فسمّه».

(١٥٥) وسائل الشيعة ٨ : ٤٦٨ ، ح ٤.

(١٥٦) وسائل الشيعة ١١ : ٥٩١ ، ب ٣١ ، ح ٢.

(١٥٧) وسائل الشيعة ٨ : ٤٦٨ ، ح ١.

(١٥٨) وسائل الشيعة ٨ : ٤٦٩ ، ح ٢.

(١٥٩) راجع الوسائل ٨ : ٤٦٨ ، ب ٦٨ ، ح ١.

(١٦٠) وسائل الشيعة ١١ : ٥٩٠ ، ح ١.

ولعل هذا الفرق باعتبار أن الاسم يعرف الإنسان تعريفاً أقوى، وعندما يكون غائباً يكون أحوج إلى هذا التعريف، بخلاف ما إذا كان حاضراً فإن في حضوره تعريفاً له.

وقد سبق عن الامام الصادق(عليه السلام) أنه قال: «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ثلاث يصفين وذو المرء لآخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الاسماء إليه».

وروى أن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم، واستماله لقلوبهم، ويكنى من ليس له كنية، فكان يدعى بما كناه به.

وكان أيضاً يكنى النساء اللاتي لهن أولاد واللاتي لم يلدن، يبتدئ لهن الكنى، وكان يكنى الصبيان فيستلين قلوبهم.

فقد روى أن عمر قال لصهيب: «ما لك تكنى وليس لك ولد؟ قال: كنانى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بأبى يحيى».

وروى أبو بكره قال: «تدليت ببكرة في الطائف فقال لى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): فأنت أبو بكره».

من فقه مدرسة أهل البيت(ع)

الامام الخميني(قدس سره) والفقاهة القائمة على عنصرى الزمان والمكان(١)

* كاظم قاضى زاده

ترجمة: عباس الاسدى

مدخل

بذل الامام الخميني(رحمه الله) اهتماماً واسعاً لمسألة «تأثير عنصرى الزمان والمكان فى الاجتهاد»، ونبه الحوزات العلمية من خلال خطبه الصريحة على أهمية ذلك.

ورغم أن نقاطاً وضعت على حروف «المعرفة الزمانية والمكانية» وآلية تأثيرها على الاجتهاد، وتوضحت بعض الامور من خلال كلام الامام الخميني(رحمه الله)، إلا أن فهم هذه المسألة بالحجم المطلوب والوعى اللازم يتطلب بذل جهود كبيرة وشاملة فى هذا الاتجاه. ومن الامور التى تعيننا على معرفة المعايير والملاكات الكلية وتلقى المزيد من الضوء عليها، هو استخدام المصاديق وتفصيل هذه الملاكات العامة، وقد اشار سماحة الامام(رحمه الله) فى السنوات الاخيرة من حياته المعطاء إلى مسألة الزمان والمكان ومكانتهما فى العملية الاجتهادية، رغم تضلعه فى الاجتهاد والافتاء منذ امد بعيد باعتباره فقيهاً عارفاً بزمانه، ولا ريب فى أن فقه سماحته لاسيما فقهه الاجتماعى والسياسى تأثر بالزمن ومعرفته به، والمصداق الواضح لذلك هو التباين فى رؤى الامام(رحمه الله) عن آراء غيره من بعض فقهاءنا المعاصرين والسالفين؛ ومن تلك المصاديق التى تكشف عن بصيرة ثاقبة للامام(رحمه الله)، آراؤه حول قيود جواز التقية ومسألة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد الابتدائى ونظرية الدولة لدى الشيعة وصلاحيات الحاكم والعدالة الاجتماعية وحقيقة الربا والشطرنج وتبدل موضوعه والثروات الوطنية والنفط والاهتمام بالعلوم التجريبية والاستعانة بالاساليب التجريبية فى العلوم الاسلامية.

ويهدف هذا المقال إلى تبيان مختصر للتجربة الفقهية للامام(رحمه الله) فى الموضوع الذى نبهته، وتعداد موارد الاختلاف فى رأى مع مشاهير الفقهاء، وتبدل فتواه خلال حياته، ومتابعة سبب تبديل الرأى أو التفرد فى الرأى.

وثمة رسالة معروفة بـ «تعزيز الاخوة» صدرت عن سماحته تحظى بمكانة خاصة من بين مجموع تراثه العظيم؛ يقول فيها:

«... على سبيل المثال فى مسألة الملكية وحدودها، وفى مسألة الارض وتقسيمها، وفى الانفال والثروات العامة، وفى المسائل المالية المعقدة، وفى العملة الصعبة والعمليات المصرفية، وفى الضرائب وفى التجارة الداخلية والخارجية، وفى المزارعة والمضاربة والاجارة والرهن، وفى الحدود والديات، وفى القوانين المدنية، وفى المسائل الثقافية، والتعامل مع الفن بمعناه الشامل، من تصوير ورسم ونحت وموسيقى ومسرح وسينما وخط وغير ذلك، وفى حماية البيئة ومنع قطع الاشجار، وحتى فى المنازل والاملاك الشخصية، وفى مسائل الاطعمة والاشربة، وفى تحديد النسل، وفى حل المعضلات الطبية كزرع اعضاء جسم الانسان وغيره فى جسم انسان آخر، وفى مسألة ذخائر باطن الارض وما فوقها والثروة الوطنية، وتغيير موضوعات الحرام والحلال، وتوسيع بعض الاحكام فى الازمنة والامكنة المختلفة وتضييقها، وفى المسائل الحقوقية والحقوق الدولية، وتطبيقها مع احكام الاسلام، ودور المرأة البناء فى المجتمع الاسلامى ودورها التخريبي فى المجتمعات الفاسدة وغير الاسلاميه، وحدود الحرية الفردية والاجتماعية، والتعامل مع الكفر والشرك والالتقاط والجهة التابعة للكفر والشرك، وكيفية اداء الفرائض فى الجو والحركة خلاف حركة الارض أو معها بسرعة اكثر من سرعتها، أو فى الصعود المباشر وابطال مفعول جاذبية الارض، والاهم من ذلك تحديد وتعيين حاكمية ولاية الفقيه فى الدولة والمجتمع»(١).

فقهياً يبدو أن للامام(رحمه الله) اربعة مواقف حيال الموضوعات اعلاه؛ فهو يصرح بفتوى قاطعة فى بعضها مشيراً إلى البراهين والاستدلالات (كمسألة صلاحيات الولي الفقيه وذخائر باطن الارض والشطرنج)، ويعطى فتاواه فى بعضها دون أن يخوض بتفاصيل استدلالاتها (كتعميم مصاديق السبق والرماية)، ولا يدلى برأى صريح فى بعضها ولكن يحصل من خلال سيرته العملية الظن بفتاواه المتفردة حيالها (من نحو المسائل الثقافية، كنحت التماثيل)، والقسم الاخر هى المسائل التى يظهر أن الامام تناول الابهام فى الفتاوى الموجودة حولها دون أن يبدى رأياً (كالمسائل المالية المعقدة، والعملة الصعبة والعمليات المصرفية).

وما نطمح اليه فى هذا البحث هو الحالات التى تنضوى تحت العناوين الاول والثانى؛ إذ سنحاول طرح التجربة الفقهية للامام فى الحالات التى تندرج تحت العناوين لنبادر إلى تحليلها ودراستها حسب الترتيب التالى:

(١) (صحيفة نور) ٢١: ٤٧.

المباحث المتعلقة بالحكومة الإسلامية (النظرة الشمولية للدين، وولاية الفقيه وحدود صلاحياتها وعنصر المصلحة في النظام الإسلامي)، وتحديد الملكية المشروعة، وكيفية انفاق الخمس (سهم الامام وسهم السادات) والتقنية بنوعيتها (خوفاً ومدارةً)، وحكم الاسماك التي يستخرج منها الكافيار (ازون برون) والاسماك عديمة الفلس، وحرمة الاستفادة من الدم والتعامل به أو جواز ذلك، وحكم الشطرنج، وبيع السلاح للعدو، ومسألة الملكية واستخراج النفط.

وقبل أن نخوض في صلب الموضوع، نشير باختصار إلى مفهوم الزمان والمكان ودورهما في الاجتهاد والفقه

مفهوم الزمان والمكان

يؤخذ في موضوع الاحكام الشرعية الزمان والمكان بالمعنى الفلسفى والشائع لهما، فيكون الزمان شرطاً للوجوب تارة (نحو: حلول شهر رمضان لوجوب الصيام ودخول الوقت لوجوب الصلاة)، وشرطاً للواجب تارة اخرى (نحو: حلول شهر ذى الحجة لاداء فريضة الحج)، وشرطاً للموضوع تارة ثالثة؛ وللمكان ايضاً دور مماثل فى الفقه، إلا أن هذا الشكل من تدخل الزمان والمكان فى الفقه والاحكام الشرعية لا ينكره احد، ولا هو المطلوب لدى الفقهاء الذين كتبوا فى نطاق التطور فى الاسلوب الاجتهادى، فالزمان والمكان بهذا المعنى هما عنصران فى عرض القيود والشروط والمقومات الموضوعية، وليس له دور منفصل، مثال ذلك أن هناك شروطاً عديدة لوجوب الصلاة على المكلف، كالبلوغ والعقل والطهارة وغير ذلك، ومن القيود الاخرى أيضاً دخول الوقت أو بقاء المكلف على قيد الحياة حين دخول الوقت.

وبغض النظر عن المعنى الحقيقى لما ذكر عن دور الزمان والمكان، فإننا نواجه نوعين من التأثير الزمانى والمكانى فى دائرة الفقه، هما تأثير الزمان والمكان فى الاحكام، وتأثيرهما فى الفقه والاجتهاد.

دور الزمان والمكان فى تطور الاحكام

يمكن تقسيم الاحكام الشرعية بشكل عام إلى ثلاثة مجاميع:

الاحكام الاولى والاحكام الثانوية واحكام الدولة، وبطبيعته الحال فان بعض الفقهاء اعتبر النوع الثالث من مصاديق الحكم الثانوى أو ضمن حدوده، بينما اعتبره آخرون من مصاديق الحكم الاولى، ورغم وجود اشتراك بينه وبين الاحكام الاولى والثانوية، يكون الاصح تثليث الاحكام لوجود بعض وجوه الافتراق أيضاً:

فان أحكام الدولة والاحكام الاوليه غير مقيدتين بتحقيق عنوان العسر والحرج والاضطرار ونحو ذلك، ولكن الحكم الاولى هو حكم لموضوعه حكم شرعى ثابت ودائم، ومن ثم فإن ثبوت الحكم دائم فى حال تحقق الموضوع وعدم وجود المعارض، ولا يؤثر الزمان والمكان فى مفهومهما الكنائى فى هذا الحكم، وبالمقابل فان احكام الدولة تطلق على الاحكام التى يصدرها حاكم الشرع (النبي أو الامام أو الولي الفقيه) على اساس المصالح العامه للمجتمع، ورغم ان هذه الاحكام غير مقيدة بالضرورة إلا أنها تستمر باستمرار المصلحة، وحين تتزاحم مع الحكم الاولى فإنها تقدم عليه طالما كانت المصلحة قائمة؛ يقول الامام الخميني(رحمه الله) فى هذا: «تستطيع الحكومة أن تلغى من جانب واحد عقودها الشرعية مع الناس حينما تخالف تلك العقود مصالح الدولة والاسلام، وتستطيع أن تمنع كل امر عبادى أو غير عبادى إذا كان مخالفاً لمصالح الاسلام مادام كذلك، وتستطيع الحكومة أن تعطل الحج وهو من الفرائض الالهية المهمة مؤقتاً فى الحالات التى تعتبره مخالفاً لصالح الدولة الاسلاميه»(٢).

وصرح بعض الفقهاء المعاصرين بالنوع الثالث من الاحكام فيما يتعلق بحصر الزكاة فى تسعة امور، وحصر الاختكار فى بعض انواع البضاعة، ولم ينف امكانية التعميم أو التغيير فى هذه الامور بلحاظ تغير الموضوعات فيما يتعلق بالمواد الاستهلاكية للناس وسبل الكسب بعد وضع تلك الاحكام، بل إن البعض افتي بذلك فعلاً(٣).

وتلتقى احكام الدولة مع الاحكام الثانويه فى نقطة مشتركة، وهى أن كليهما لم يرتكز على موضوع - بما هو هو - ولن تجد أثراً للاحكام والفرائض الالهية المرتكزة على العناوين الذاتية للاشياء والافعال؛ إلا أن الاحكام الثانويه مقيدة بتحقيق احد عناوين هذه الاحكام (من قبيل الضرر والاضطرار والاكراه والحرج)، بينما احكام الدولة غير مقيدة إلا بالمصلحة رغم امكانية وجود العناوين الثانويه فى بعض احكام الدولة.

من خلال هذا البيان المختصر للاحكام الثلاثة، يتضح أن الملاك أو المعيار لوضع احكام الدولة هو المصلحة العامة لا غير؛ ومن الواضح أن المصالح العامة تتغير بتغير العلاقات والتكنولوجيا وغير ذلك(٤).

وقد تكون للامكنة المختلفة (القرية أو المدينة، والمناطق الباردة أو المناطق الحارة ونحو ذلك) مصالح متنوعة، كما أن للدوار الزمنية المختلفة مصالح جديدة تتغير بتغير الزمان؛ وعليه فإن الزمان والمكان يؤثران حسب المصالح التى

(٢) المصدر السابق ٢٠: ١٧١.

(٣) الشيخ حسين علي المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الاسلامية ٢: ٦٤٢ - ٦٤٩.

(٤) راجع : العلامة الطباطبائي، مرجعيت وروحانيت (المرجعية وعلماء الدين)، مقالة الولاية والزعامة: ٩٨.

تطراً على حكم الدولة. ولا شك أن آلية تشخيص المصلحة العامة تحتاج إلى خبرة وتحديد دقيقين وإلى تبين الضوابط الكلية الحاكمة؛ فقد يكون امر ما مصداقاً واضحاً للمصلحة في نظر غير المسلم، في حين يرى العالم المسلم والحاكم الاسلامي أنه لا يحمل معه أية مصلحة، أو أن المفسدة التي يتركها اكبر من المصلحة.

دور الزمان والمكان في الاجتهاد

للزمان والمكان في مفهومهما الكنائى دور اساسى فى الاجتهاد، ورغم أن الاجتهاد يتدخل بشكل من الاشكال فى تحديد مصالح احكام الدولة، إلا أن الذى نطلبه تحت هذا العنوان هو الاجتهاد بمعنى السعى للحصول على الاحكام الشرعية الثابتة واسلوب استنباط الاحكام الذى يتبعه الفقهاء. يقول الامام الخميني(رحمه الله) بهذا الشأن: «الاجتهاد بطريقته التقليدية صحيح، وهذا لا يعنى أن الفقه الاسلامي غير مستفيض، فالزمان والمكان عنصران مصيريان فى الاجتهاد، فالمسألة التى كان لها حكم معين فى القديم قد يظهر لها حكم جديد من خلال العلاقات الحاكمة على السياسة والاجتماع والاقتصاد فى نظام معين، بمعنى أن المعرفة الدقيقة للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للموضوع الاول الذى لا يختلف فى الظاهر عن القديم تجعل منه موضوعاً جديداً يتطلب حكماً جديداً»(٥).

اعتبر الامام(رحمه الله) فى العبارة اعلاه التغيير فى الحكم قائم على اساس التحول الحقيقى فى الموضوع، رغم بقاء الموضوع نفسه فى ظاهر الامر؛ وعليه لابد من القول: مثلما يؤثر فقدان القيود والشروط فى الموضوع فى نفيه، فإن تغيير الظروف الخارجية له(٦)، كالتطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يمكن أن يكون مؤثراً فى تغيير الموضوع.

يتضح من خلال ما مر بنا أن المراد بالزمان والمكان مجموعة التحولات المختلفة التى تعين المجتهد على الفهم الاصح لتدوين الاحكام الشرعية، وليس المفهوم الحقيقى له من الدقائق والساعات، وليس أيضاً مصالح الزمان والمكان.

(٥) صحيفة نور ٢١: ٩٨.

(٦) الكلام مسئل من تصريحات حجة الاسلام السيد احمد الخميني(رحمه الله) فى المؤتمر التاسع للفكر الاسلامي فى طهران.

آلية تأثير الزمان والمكان في الاجتهاد

بعد تعيين آلية التأثير موضوعاً مهماً يتطلب جهداً علمياً كبيراً؛ ولا يشترط في أن يكون هذا التأثير مباشراً، بل ربما تؤثر مجموعة المعارف لدى الفقيه في طريقة استنباطه بصورة لا شعورية؛ ولهذا قد يبدو في نظر مجتهد بعيد عن تطورات الزمان والعلاقات الحاكمة في العالم أن اجتهاد فقيه آخر عارف بزمانه اجتهاد غير صحيح.

ولقد بقي تأثير الزمان والمكان في الاجتهاد مجهولاً حتى الآن، والمؤمل أن يفتح السبيل امام الوصول إلى القواعد العامة من خلال دراسة التفاصيل المطروحة والخوض في لججها، حتى يأتي اليوم الذي يخصص فيه علم الاصول حيزاً للمباحث المتعلقة بتأثير الزمان والمكان في الاجتهاد. ونحن في هذا المقال سنتطرق إلى حالات عديدة من التجربة الفقهية لسماحة الامام(رحمه الله) الذي حمل لواء الطرح الشامل لهذا الموضوع، دون أن نقدم القواعد العامة لذلك، مكتفين بعرض الاسلوب في التأثير، ومن الواضح أن مثل هذا البحث سيساعد على طرق مثل هذا الموضوع بشكله العام:

١ - مباحث الحكومة الإسلامية:

من اهم الاراء الفقهية - السياسية للامام الخميني(رحمه الله) بل اهمها على الاطلاق ما يتعلق بالحكومة الإسلامية وبعض البحوث التي ترتبط بالحكم، ولقد وفرت البصيرة التي كان يتسم بها الامام ومعرفته بالزمان، الارضية اللازمة لطرح استدلالات قوية وتبيين الاهمية المنسية لمثل هذه البحوث، وتسجيل ابداعات متعددة في هذا الحقل، وبامكاننا طرح المباحث المتعلقة بهذا الموضوع تحت العناوين التالية:

أ - النظرة الشاملة للدين:

من المباحث الكلامية المهمة التي تعتبر قاعدة لمباحث الفقه السياسي المختلفة، هو كيفية النظر إلى جوهر الدين وحقيقته، وتنفيذ قوانينه وتعاليمه في المجتمع، فكيف يتم تطبيق الدين؟

وهل يكون اداء العبادات الفردية وتحقيق البحوث الفقهية من الطهارة إلى الحج بصورتها الفردية أو الجماعية، دون أن يترتب عليها أى اثر اجتماعى، هو كل ما يطلبه الدين منّا؟ أم هى لا تمثل إلاّ جزءاً من الدين يتوقف تحققها بالشكل المطلوب والصحيح على تحقيق الجزء الاخر منه؟

وفى حقيقة الامر ثمة رأيان مختلفان يطرقان هذا الموضوع من منطارين متباينين:

الرأى الاول: ويقول: إن اداء هذه الفرائض يمكن أن يوصل إلى الكمال المطلوب للدين، أو إن التكليف الاجتماعى الوحيد الملقى على عاتق الناس فى زمن الغيبة يقتصر على تجنب الظلم واداء الواجبات الكفائية التى يحتاج اليها النظام المعاشى للناس.

هذه الرؤية كانت هى الاكثر شيوعاً فى العهود السابقة، ولهذا نرى أن بعض الفقهاء المعروفين كانوا يتوقعون ظهور الامام الغائب (عج) قريباً ولا يكثرثون بالمباحث المرتبطة بالحكومة الاسلامية فى عصر الغيبة؛ بحيث لا يجيزون تسلّم بعض الشؤون الولائية من باب النيابة أو القدر المتيقن؛ يقول الشيخ الطوسى فى كيفية انفاق الخمس: «وقال قوم: يجب أن يقسم الخمس ستة اقسام: فثلاثة اقسام للامام يدفن أو يودع عند من يوثق بامانته... وهذا مما ينبغى أن يكون العمل عليه»(٧).

ومن الواضح أن مثل هذه النظرة إلى سهم الامام أو الرأى حول سقوط سهم المؤلف قلوبهم والعاملين عليها من مصرف الزكاة يغلق الطريق امام أى تفكير بالحكومة الاسلامية فى عصر الغيبة، وتكشف مثل هذه الفتاوى عن نوع من النظرة الفردية للدين، وبمضى الزمان اعتدلت هذه الرؤية للدين وعدم الاحساس بالحاجة إلى الحكومة أو شعبها فى عصر الغيبة.

(٧) محمد بن الحسن الطوسى، النهاية فى مجرد الفقه والفتوى: ٢٠١.

الرأى الثانى: ويولى هذا الرأى اهمية فائقة للمؤسسة الحكومية، ولا يكتفى اصحاب هذا الرأى بالقول بوجود حكومة فى الاسلام، بل يعتبرون الاسلام هو الحكم، والاحكام الشرعية هى القوانين التى تنفذها الحكومة باعتبارها شأناً من شؤونها ويعتقدون بأن الحكومة الاسلامية وبسط العدالة هى المطلوبة بالذات والاحكام (الفردية) مطلوبات بالعرض وامور آلية لاجرائها(٨).

وبعبارة اخرى: إن الدين يحتوى على مجموعتين من الاحكام: مجموعة ذات طبيعة سياسية كاحكام الجهاد، وأخرى تنطوى على ابعاد سياسية بالاضافة إلى ابعادها العبادية والاخلاقية. وهنا يُقسم الامام الخميني(رحمه الله)ويقول: «والله إن الاسلام كله سياسة»(٩).

ويستند الامام فى رأيه حول الوجود الاجتماعى والسياسى للدين وارتباطه المباشر بالعبادة على سيرة النبى(صلى الله عليه وآله وسلم)، وفلسفة الاحكام(١٠)، وعليه فهو لم يأت بدليل جديد، لكن استلهم مثل هذا التصور يعتبر امراً مستحيلاً فى السابق والحاضر دون الاهتمام بعنصرى الزمان والمكان.

وتوفّر هذه المعرفة الاساسية حول ارتباط الدين والسياسة والحكومة فى رأى الامام الخميني(رحمه الله) الارضية لطرح مباحث اخرى فى الفقه السياسى.

ب - ولاية الفقيه:

إن النظرة الشمولية التى نظر بها الامام(رحمه الله) لاهداف الدين وتماسك اجزائه، وفّر الاطار لاهم دليل لديه على ضرورة الحكومة وولاية الفقيه فى عصر الغيبة، ولا ريب فى أن التمعن فى الملاحظة الكلامية القائلة بان حقيقة الدين لن تبرز إلا بتحقيق الحكومة الدينية، يقدم انجازين مهمين على صعيد ادلة ولاية الفقيه فى رؤية الامام الخميني(رحمه الله):

(٨) الامام الخميني، كتاب البيع ٢ : ٤٧٢ .

(٩) صحيفة نور ١ : ٦٥ .

(١٠) راجع: الامام الخميني، ولاية الفقيه: ١٧ فما بعد.

أولاً: أنها تمثل دليلاً مستقلاً في هذا الباب، بحيث يقول بعد الإشارة إلى الاحكام السياسية والاقتصادية والحقوقية في الاسلام: «لم تُنسخ مجموعة الاحكام الاسلامية - سواء الاحكام السياسية والمالية والحقوقية - وهي باقية إلى يوم القيامة، وبقاء الاحكام هذا يقتضى ضرورة تحقيق الحكومة والولاية التي تتضمن تنفيذ القوانين وحفظ حرمتها، وبالطبع فإنه من غير الممكن تنفيذ الاحكام دون حكومة؛ لانه يؤدي إلى الفوضى، وبصرف النظر عن هذا الدليل، فإن حفظ النظام الاسلامي وحماية الثغور من الهجوم والاعتداء هي من الامور اللازمة التي لا يمكن أن تتحقق بدون تشكيل الحكومة»(١١).

ثانياً: أنها تركت تأثيراً في فكرة الامام عن الروايات التي اعتبرها البعض دليلاً على اثبات نفوذ الفتوى أو قضاء الفقهاء؛ بحيث إنه عدّ مفاهيم معظم هذه الروايات بياناً للنياية الولائية إلى حد واسع، فالامام يستلهم من عبارات: «الفقهاء امناء الرسل» و «اللهم ارحم خلفائي» و «الفقهاء حصون الاسلام» و «انى قد جعلته عليكم حاكماً» و «ان العلماء ورثة الانبياء» فكرة ولاية الفقيه على مستوى ادارة المجتمع والتصدى للحكم، في حين استفاد بعض الفقهاء بل اغلبهم من هذه الروايات أنها تؤكد حجية الفتوى أو القضاء ليس غير؛ يقول الشيخ الانصارى بعد نقل هذه الروايات: «لكن الانصاف بعد ملاحظة سياقها أو صدرها أو ذيلها يقتضى الجزم بأنها في مقام بيان وظيفتهم من حيث الاحكام الشرعية، لا كونهم كالنبي والائمة صلوات الله عليهم في كونهم اولى الناس في اموالهم»(١٢).

لنقارن هذا التصور بما اورده الامام(رحمه الله) من استدلال برواية «الفقهاء حصون الاسلام» حينما يقول: إن الاسلام هو الحكومة، وان الاحكام هي مطلوبة بالعرض، ووسيلة تستخدم لتحقيق الحكومة وبسط العدالة، فالفقيه حصن للاسلام يعنى أنه ولى للاسلام كما أن النبي والائمة كانوا اولياء للاسلام في جميع الامور الحكومية(١٣).

ج - حدود صلاحيات الولي الفقيه:

إن الموقف المبتكر للامام(رحمه الله) في موضوع الحكومة هو تبیین سعة صلاحيات الولي الفقيه وتقدم احكام الدولة على الاحكام الاولية والثانوية عند التزاحم؛ وخلافاً للفقهاء الذين يفكرون من خلال النظرة الجزئية بالقدر المتيقن من

(١١) الامام الخميني، كتاب البيع ٢: ٤٦١.

(١٢) الشيخ مرتضى الانصارى، كتاب المكاسب ٢: ٤٨.

(١٣) راجع: كتاب البيع ٢: ٤٧٣.

الروايات للخروج من أصل «لا ولاية لاحد على احد» (١٤)، دون التوجه إلى الدليل العقلي لولاية الفقيه وتبيين الصلاحيات ضمن اثبات الولاية، اعتبر الامام الخميني (رحمه الله) بادراكه الشامل للدين صلاحيات الولي الفقيه واسعة كصلاحيات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة (عليهم السلام) (رغم علو المرتبة المعنوية للائمة عن تلامذتهم الفقهاء)، وجعل للفقيه كل الصلاحيات إلا في بعض الحالات الاستثنائية يقول سماحته: «إن للفقيه جميع ما للامام (عليه السلام) إلا إذا قام الدليل على أن الثابت له (عليه السلام) ليس من جهة ولايته وسلطنته، بل لجهات شخصية تشريفاً له، أو دل الدليل على أن الشيء الفلاني وإن كان من شؤون الحكومة والسلطنة يختص بالامام (عليه السلام) ولا يتعدى منه، كما اشتهر ذلك في الجهاد غير الدفاع، وإن كان فيه بحث وتأمل» (١٥).

يعتبر سماحة الامام (رحمه الله) التمييز بين الصلاحيات الحكومية للنبي والولي الفقيه امراً غير معقول (١٦)، وعلى هذا الاساس يعتقد بأن الدولة الاسلامية مجازة في وضع القوانين في منطقة المباحات وايجاد الالتزامات الحكومية وتعطيل الاحكام الفرعية المتعارضة مع مصلحة النظام مؤقتاً، ووضع المقررات لكيفية تنفيذ الاحكام الاولى والثانوية وتشخيص موضوعات الاحكام الاولى والثانوية وابلاغ دوائر الدولة بها، والولاية على الاموال والنفوس في حدود مصلحة المجتمع الاسلامي (١٧).

ويرى الامام (رحمه الله) نظرياً أن صلاحيات الولي الفقيه والامام واحدة، ولهذا فإن صلاحيات الولي الفقيه لا تتحدد بقانون وحكم اولى وحكم ثانوي، ويستطيع الحاكم أن يحكم بخلاف الامور المذكورة؛ وعملياً يمكن تقسيم العقد الذي حكم فيه الامام (رحمه الله) إلى ثلاث مراحل، ففي السنوات الاولى بعد انتصار الثورة الاسلامية كان المعلن من هدف اقامة النظام الاسلامي هو تنفيذ الاحكام الاسلامية (الاحكام الاولى) وتطبيق الحكومة كما جاء في الرسائل العملية، لكن شريحة لا بأس بها من علماء الدين كانت تعتقد بذلك، بل إن بعض العلماء احتجوا على فرض الضرائب الحكومية؛ لان الرسائل والاحكام الاولى تحصر الحقوق المالية الواجبة في الخمس والزكاة ونحوهما، اما الحقوق

(١٤) اشارة إلى الاصل الاول المأخوذ من المصادر الدينية، وقد أشار اليه بعض الفقهاء. راجع: الشيخ حسين علي المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه: ٢٧ و ٢٨.

(١٥) كتاب البيع ٢: ٤٩٦.

(١٦) المصدر السابق ٢: ٤٦٧.

(١٧) راجع: مقالات المؤتمر الثامن للوحدة الاسلامية مقالة حجة الاسلام والمسلمين طاهري خرم آبادي: ١٤٠ فما بعد.

المستحبة فإن المكلف مختار في إعطائها، ولدى مواجهته مشاكل عصر قيام الجمهورية الإسلامية فكّر الإمام في استخدام الأحكام الثانوية من قبيل العسر والجرح والضرر، ووجه بهذا الصدد رسالة إلى مجلس الشورى الإسلامى منح فيه المجلس الصلاحية لتحديد موضوع الأحكام الثانوية بشروطها، ومن الحالات التى تحققت فى هذه المرحلة الثانية من خلال استخدام «الضرورة»، وضع قوانين لعدم اخلاء المراكز المستأجرة لاقامة المدارس أو منامات الطلبة (١٨)، ولم يمر وقت طويل حتى واجه سماحته حالات تنسجم مع الاهداف العامة للنظام والاسلام، لكنها لا تندرج تحت عناوين الاحكام الاولى والثانية، حيث حصل تعارض بين مجلس الشورى الإسلامى ومجلس أمناء الدستور، ورُفضت بعض قرارات المجلس لمغايرتها مع الاحكام الاولى وعدم تحقق موضوع الاحكام الثانوية، ومن ابرز هذه الحالات، قانون العمل الذى ظل يتأرجح مدة بين المجلسين، حتى ادلى الامام بفتواه حينما استفتاه وزير العمل قائلاً: هل يمكن للحكومة أن تضع حالياً شروطاً الزامية فى الوحدات الانتاجية والخدمية حتى بالنسبة للعقود السابقة، فأجاب سماحته: «يمكن للحكومة وضع شروط الزامية فى كلتا الحالتين ماضياً وحاضراً» (١٩).

ثم سأل أمين مجلس الأمناء حول حدود هذا رأى، فأجابه سماحة الامام (رحمه الله): «تستطيع الحكومة أن تأخذ ثمن استخدام الامكانيات والخدمات الحكومية فى كل الحالات بالشروط الإسلامية أو بدون شرط وهذا يجرى على جميع الحالات الواقعة تحت سلطة الحكومة ولا يختص بالحالات المذكورة فى رسالة وزير العمل، بل يمكن تنفيذ هذا الامر بدون شرط أو بشرط الزامى فى الانفال فى زمن الحكومة الإسلامية حيث تتولى الحكومة امرها» (٢٠).

وبالطبع فإن الامام كان قد اشار من قبل إلى بعض هذه الاحكام الحكومية (من قبيل تحديد النسل، ووضع اليد على اموال كبار الرأسماليين وتحديد الملكية المشروعة وجواز وضع غرامات للمخالفات) (٢١)، ورغم ذلك لم تستوعب

(١٨) صحيفة نور ١٥: ١٨٨.

(١٩) المصدر السابق ٢٠: ١٦٣.

(٢٠) المصدر السابق ٢٠: ١٦٥.

(٢١) راجع: صحيفة نور ٤: ٣٩، ١٠: ١٣٨، و١٩: ٢٦٣.

اذهان الكثير من اصحاب الامام هذه المسألة الكبيرة؛ فبعد أن اجاب الامام(رحمه الله) على سؤال امين مجلس الامناء، علّق احد كبار مسؤولى الدولة على البحث قائلاً: «إن قيام الدولة الاسلامية بفرض شروط الزامية لا يعنى خلط القوانين والاحكام الاسلامية... فحينما قال الامام بأن الدولة تستطيع وضع اى شرط على رب العمل، فهو ليس كل شرط، انما الشرط الذى يدخل ضمن دائرة الاحكام الاسلامية، يقول السائل: إن البعض يستنبط من كلامكم أنه يمكن نقض قوانين الاجارة والمزارعة والاحكام الشرعية والفتاوى القطعية، وتستطيع الحكومة أن تضع شروطاً خلاف الاحكام الاسلامية، فيقول الامام: إنها شائعة»(٢٢).

ويضع الامام النقاط على الحروف فى الرد على هذا التصور وامكانية معارضة حكومته الولي الفقيه مع بعض الاحكام الفرعية حتى التعطيل الموقت لبعض الاحكام العبادية؛ وهذا يعنى أن حفظ النظام الاسلامي هو من الاحكام الاولية ويتقدم على أى حكم اولى آخر يزاحمه(٢٣). ومن المعتقد أن تعزيز هذه الرؤية يدخل فى عداد المستحيلات ما لم يواجه الحاكم عملياً مسألة ادارة نظام واسع بكل مشكلاته؛ فهناك الكثير ممن يعتبر اخذ الضرائب الجمركية أو منع السلع المهربة الاجنبية امراً غير مشروع، دون ان يدرك حقيقة ولاية الفقيه واطار النظام الاسلامي.

بعد هذه الرسالة، قام سماحة الامام(رحمه الله) بتشكيل مجلس تشخيص مصلحة النظام، وخطط لجعل صلاحيات مقام الولاية ضمن جهاز مؤسساتي بشكل تدريجي، حيث اصبح واحداً من مواد الدستور بعد اعادة النظر فيه.

إن الاستنباط الفقهي لحدود صلاحيات الفقيه يعد بمثابة امر اساسي، وله تفاصيل ومصاديق كثيرة كل منها يذلل الصعاب ويفتح العقد ويحل القضايا الخاصة بالدولة الاسلامية.

(٢٢) صحيفة «جمهوري اسلامي» ١٢ / ١٠ / ٦٦ : ٩.

(٢٣) صحيفة نور ٢٠ : ١٧٠ و ١٧١.

وقد اشار الامام(رحمه الله) فى سيرته العملية وفى خطبه وكلماته الى مصاديق عديدة من مخالفة احكام الدولة
للاحكام الاولية، وتعرض لها احياناً بالاجمال أو بالتفصيل، وفيما يلى استعراض لبعض هذه المصاديق:

جواز تخطيط الشوارع الذى يستلزم التصرف فى منازل الاخرين أو حريمها.

الخدمة العسكرية والارسال الاجبارى إلى الثغور والحرب.

منع تهريب العملة الصعبة والسلع الممنوعة.

منع الاحتكار فى غير الموارد المنصوص عليها.

ايجاد الجمارك ووضع الضرائب وتسعير البضاعة.

منع الغلاء، وبيع المخدرات وتداولها (غير المشروبات الكحولية المحرمة أصلاً) ومنع الاعتياذ عليها.

منع حمل الاسلحة النارية.

جواز تعطيل مراسم الحج العبادية لو تعارضت مع مصلحة النظام(٢٤).

جواز تحديد النسل، ومنع تكاثر السكان تكاثراً عشوائياً(٢٥).

تنفيذ التعزيرات المالية والعقوبات غير المنصوص عليها(٢٦).

(٢٤) المصدر السابق ٢٠: ١٧٠ و ١٧١ (الحالات من ١ - ٨ اقتبست من هذه الرسالة).

(٢٥) المصدر السابق ٤: ٣٩.

(٢٦) المصدر السابق ١٩: ٢٦٣.

وضع شروط الزامية من قبل الحكومة فى التعامل بين افراد المجتمع (مثل : العامل ورب العمل)(٢٧).

وضع شروط ملزمة اثناء الزواج(٢٨).

قضاء غير المجتهد العارف بالاحكام(٢٩).

منع استخدام الانفال دون قيد أو شرط على اساس تحليل الانفال للشيعة، كمنع قطع اشجار الغابات(٣٠).

جواز بيع السلاح لاعداء الدين لو كان فى ذلك تقوية للبنية المالية والمصلحة العامة للمسلمين(٣١).

ومن الضرورى هنا أن نذكر أن تجويز بعض الامور المذكورة اعلاه يمكن أن يحصل من خلال اعادة النظر فى فهم ادلة الاحكام الاولية، من غير طريق ترجيح مصلحة النظام، رغم أن الامام(رحمه الله) لم يتطرق لذكر فهم جديد للموضوع أو الحكم الاولى لتلك الامور، وإنما طرقها من باب حكم الدولة، لكن بعض الفقهاء الاخرين تناولها من منظار الفهم الجديد للموضوع، ولبعض هؤلاء الفقهاء المعاصرين بحوث قيمة حول مسألة التسعيرة وتعميم موارد الاحتكار وتبديل التعزير من الضرب والحبس إلى الغرامات المالية ومنع استمرار الكسب وغيرها؛ إذ اثبتوا فى بحوثهم أن هذه الامور بيد الدولة، ووضع قانون يخصصها لا يتعارض مع الحكم الاولى، وإنما هو استخدام للصلاحيات الحكومية فى المنطقة المفوضة للدولة(٣٢).

(٢٧) المصدر السابق ٢٠ : ١.

(٢٨) المصدر السابق ١ : ٨٧ و ١١ : ٢٥٥.

(٢٩) المصدر السابق ١٨ : ٩٦.

(٣٠) المصدر السابق ٢١ : ٣٤.

(٣١) الامام الخميني، المكاسب المحرمة ١ : ١٥٢.

(٣٢) راجع: الشيخ حسين علي المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه ٢ : ٣٠٥ - ٤١٧ و ٢ : ٦١١ - ٦٦٧.

٢ - تحديد الملكية:

من البحوث التي انتشر تناولها وتداولها مع شيوع الافكار الماركسيه بحث الملكية الفردية وحدودها؛ فقد كانت الفئة الجامعية في ايام الثورة وبعد انتصارها تميل إلى فكرة تحديد الملكية دون نفيها مطلقاً، في حين اعتقد البعض بعدم وجود فرق بين الملكية الخاصة في الاسلام والانظمة الرأسمالية.

يا ترى، هل هناك قيود على الملكية الفردية في الاسلام ام لا؟ وهل يوجب مثل هذه القيود إن وجدت تحديد الملكية عند حد معين؟ معظم الفقهاء المسلمين لا يرسمون حدوداً معينة للملكية، ويرون أن اداء الحقوق الواجبة أو المستحبة هو الذى يكبح جماح الثروة المتضخمة والملكية المطلقة؛ ولكن السؤال هنا: هل يجوز الاثراء الفاحش بعد تسديد الحقوق الواجبة والمستحبة بحيث لا يؤدي ذلك إلى حصول الطبقية ام لا؟

يرد الامام(رحمه الله) على مثل هذا السؤال بجوابين، فيرى في احدهما عدم امكانية الزيادة الفاحشة، وأن القوانين الاسلامية في مجال الزكاة والضرائب وغيرها تجعل الحدود المعاشية للجميع متكافئة؛ يقول سماحته في جواب للدكتور جيم كوككر من اساتذة جامعة أميركا: «الملكية بالشكل المطروح في أميركا غير موجودة في الاسلام بتاتا، فالاسلام يرضى بالملكية، ولكن توجد قوانين في الاسلام تعزل هذه الملكية؛ فإذا عمل بقوانين الاسلام لا تجد من يملك مساحات شاسعة من الاراضى؛ الملكية في الاسلام تجعل الجميع تقريباً في مستوى واحد، فإذا كان الامر كذلك فلم نقحم الدولة في هذه الامور ولا نسلم الاراضى والصناعات للشعب؟»(٣٣).

ومن المعتقد أن ذلك لن يوصل إلى التعديل الكلى لمستويات الثروة والعائدات في المجتمع؛ ولهذا يشير الامام(رحمه الله) في مكان آخر إلى هذا الامر، ويتطرق إلى دور ولاية الفقيه في تحديد الملكية، ويزيل بعض الابهامات من اذهان الطلبة ويقول: «إن الاسلام اقرب إلى الضعفاء منه إلى غيرهم من الاشخاص الاثرياء فهؤلاء الاشخاص

(٣٣) صحيفة نور (الطبعة الجديدة) ٣: ١.

الاثرياء معظم اموالهم جمعوها من طرق لا مشروعة، والاسلام لا يعترف بهذه الاموال، فالاموال المشروعة في الاسلام محدودة بحدود، بل إنه إذا امتلك شخص ما اموالاً بطريق مشروع، ولكن حاكم الشرع أو الفقيه أو ولي الامر شخص أنها يجب أن لا تكون بهذه الكثرة، فإنه يستطيع أخذها والتصرف بها من اجل مصالح المسلمين؛ حيث إن من الامور المترتبة على ولاية الفقيه والتي لا يدركها مثقفونا مع الاسف هي تحديد مثل هذه الامور» (٣٤).

مهما يكن من أمر، فقد اشار الامام (رحمه الله) في بعض الحالات الى سبب عدم مشروعية الثروات الطائلة، ومنها قوله في الخمس: «إن من لا يعطى الخمس يكون فضولياً في معاملته السنه التاليه في سهم اصحاب الخمس، ويصبح العائد منه مشاعاً، وبعد عدة سنوات يشمل سهم اصحاب الخمس كل ماله»، ويقول في مكان آخر: «ظاهر الاية الشريفة أن الفقراء شركاء في اموال الاغنياء (والذين في اموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم)، والمعاملة بمال الشريك تؤدي إلى ازدياد حصته، حتى يصبح الفقراء شيئاً فشيئاً المالكين الحقيقيين لاموال الاغنياء».

٣ - كيفية مصرف الخمس:

توجد ملاحظتان اساسيتان حول الخمس وانفاقه في رأى الامام الخميني، وقد وافق بعد الامام (رحمه الله) بعض المعاصرين في واحدة من هاتين الملاحظتين أو كليهما:

الملاحظة الاولى: ليس من الالزام تقسيم الخمس إلى قسمين متساويين (سهم الامام وسهم السادات)، وإنما يستطيع الحاكم أو ولي امر المسلمين أن يضيف من سهم الامام إلى سهم السادة أو بالعكس (٣٥).

الامر الرئيسى في استدلال الامام (رحمه الله) هو ملاحظة طبيعة الخمس ومقدار نسبة سهم السادات إلى فقرائهم في العصر الحاضر، رغم أنه يستفيد أيضاً من بعض الروايات في هذا المجال.

(٣٤) صحيفة نور ١٠ : ١٣٨.

(٣٥) راجع: الامام الخميني، كتاب البيع ٢ : ٤٩٠.

يقول (رحمه الله): «أما في سهم السادة فلانه لا شبهة في أنهم مصرف له، لا أنهم مالكون لجميع السهام الثلاثة، ضرورة أن الفقر شرط في اخذه، والمراد به عدم واجدية مؤونة سنته حسب المتعارف، وبعبارة أخرى: إنه على الوالى أن يعطى السادة مؤونة سنتهم من السهام الثلاثة، فلو زادت عن مؤونتهم كانت للوالى، ولو نقصت عنها كان عليه جبران النقص من سائر ما في بيت المال، كما دل عليه الدليل، ولا شبهة في أن نصف الخمس يزيد عن حاجة السادة بما لا يحصى» (٣٦).

وبالطبع فإن مثل هذا التصور عن سهم السادات يرتبط بالرؤى الكلامية الخاصة بالامام الخميني (رحمه الله) ارتباطاً تاماً؛ فاهتمامه بشمولية الدين واعتقاده بوجود نظام سياسى ومنهج حكومى فى التعاليم الدينية يولد مثل هذه النظرة والعقيدة.

الملاحظة الثانية: لقد طرح الامام الخميني (رحمه الله) مسألة اخرى حول الخمس، وهى أن سهم الامام ليس من مصاديق الملك الاعتبارى للامام، وفى الحقيقة فإن سهم الامام هو بوجه عام ولاية الامام من جانب الله على اموال بيت المال؛ ولهذا فإن هذه الاموال بعد رحيل الامام توضع بتصرف الامام التالى وليس الورثة؛ لذا يستنتج سماحته فى موضوع طويل كتبه فى هذا المجال ويقول: «وبالجملة من تدبر فى مفاد الاية والروايات يظهر له أن الخمس بجميع سهامه من بيت المال، والوالى ولى التصرف فيه، ونظره متبع بحسب المصالح العامة للمسلمين وعليه ادارة معاش الطوائف الثلاثة من السهم المقرر ارتزاقهم منه حسب ما يرى» (٣٧).

ولهذا يعتبر الامام (رحمه الله) اذن حاكم الشرع (مرجع التقليد) لازماً فى دفع الخمس، وخلافاً لاغلب الفقهاء المعاصرين لا يسمح بالدفع المباشر لسهم السادة من المكلف إلى المستحق.

(٣٦) المصدر نفسه ٢: ٤٩٠.

(٣٧) المصدر السابق ٢: ٤٩٤.

أما سهم الامام فبالرغم من وجود اختلاف بين بقیة الفقهاء أيضاً حول حق التصرف فيه، وأنه هل يختص بالمجتهد الاعلم ومرجع التقليد، ام لبقية المجتهدين الحق فى مثل هذا التصرف، ينحصر هذا الاختلاف فى نطاق فهم القدر المتيقن لجواز التصرف؛ وبالنسبة للامام الخمينی (رحمه الله)، وبناءً على القاعدة الاساسية التى وضعها فى فلسفة الخمس، فإنه قال بمركزية جمع الخمس عند ولى الامر المجتهد الجامع للشرائط، واعتبر اعطاء الخمس للمجتهدین الاخرين منوطاً باذن المرجع والمجتهد الاخر، أو احراز وحدة الاسلوب المتبع فى الانفاق.

ويمكن أن نعدّ الفقرات المهمة فى آراء الامام الراحل حول الخمس كما يلى:

أ - الخمس وضع لمصاريف الحكومة الاسلامية، ومن ثم فإن لولى الامر الولاية فى التصرف به على اساس مصالح الحكومة والمسلمين.

ب - لا يمكن تحديد مصرف نصف الخمس الزاماً للفقراء واليتامى من السادة، لان هذه النسبة من الخمس هى اكثر من الحاجة إلى المصرف المذكور حسب الظروف الزمانية والمكانية.

ج - من التبعات اللازمة للنظرة الحكومية إلى الخمس وعدم استقرار سهم السادات عند النصف هو تمركز جباية الخمس من قبل الحاكم وانفاقه فيما يقرره ولى الامر والحاكم الاسلامى.

وكان الامام (رحمه الله) قد أعلن قبل مرحلة انتصار الثورة وقيام الدولة الاسلامية أن مرجع الافتاء والتقليد هو صاحب الاختيار، ولكن بعد تشكيل الحكم الاسلامى وبسط يد الفقيه الجامع للشرائط، فهل ان رأيه فى اعطاء الخمس لمختلف المراجع بقى صحيحاً؟

رغم أن الامام لم يبد رأياً صريحاً حول هذا الامر(٣٨)، لكن سيرته العملية عشر سنوات أعربت عن قبوله بالاسلوب التقليدي الشائع في استلام وانفاق الخمس بسهميه؛ ويمكن أن نسند هذا الرأي إلى الملاحظتين التاليتين:

أولاً: أن الامام كان على معرفة تامة بالمقدار المحدود للسهمين؛ حيث إنهما لم يكونا كافيين لإدارة الحوزات العلمية فكيف الامر بإدارة دولة؟ كما أن الامام كان يتجنب ادخال المؤسسة الحوزوية ضمن الجهاز الحكومي، ولهذا كان يرغب في أن تكون العلاقة بين الناس والعلماء مباشرة دون وساطة الحاكم والدولة.

ثانياً: فرض أن الامام لم يكن قبل بالاسلوب المذكور، فإنه اعتبر من المصلحة التزام الصمت وعدم التدخل في هذه المسألة في الظروف التي سادت انتصار الثورة والتناقضات المختلفة التي حصل بعضها بين أطراف الكيان العلمائي.

(٣٨) افتى سماحته بعد انتصار الثورة الاسلامية باعطاء الخمس إلى مرجع التقليد، وبما أن هذه المرجعية والولاية - ولا سيما برأي مقلديه - كانت متجلية في شخص الامام، فإن هذه الفتوى لا يمكن أن تعتبر ابداء رأي صريحاً في مسألة اعطاء الخمس إلى المرجع أو ولي الامر فدقق.

الامام على (ع) و مصلحة الاسلام العليا

الشيخ فؤاد كاظم المقدادی

درس الكثيرون سيرة أهل البيت (عليه السلام) وتأريخهم المشرق بالفضائل والفواضل والكمالات والكرامات وأبدعوا في إبراز دورهم الرائد في العلم والبناء والتضحية والفداء، ووقفوا كثيراً أمام حقيقة الأهداف وسرّ التنوع في الأدوار التي اضطلع بها أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، إلا أنّ القليل منهم وضع يده على السرّ الاساسي والحقيقة الجوهرية المعبرة عن قاسم أعظم وخطّ مشترك بين جميع هذه الأدوار، وما زخرت به من مواقف إسلامية كبرى، على اختلاف صورها وأشكالها، سواء أكانت في حرب أم في سلم، وسواء أكانت قولاً أم فعلاً، سلباً أم إيجاباً، صريحة كانت أم تقيّة، ألا وهي مصلحة الاسلام العليا. وهذا القليل لم يتناول من هذا السرّ وتلك الحقيقة سوى مفردات جزئية متفرقة لا تعطي للصورة عظمتها وكمالها، الذي لا يتم إلا بالنظرة الشمولية المترابطة والرؤية العميقة الكاشفة. ولعلّ من أبرز هذه المحاولات النادرة، التي مهّدت وشرّعت منهج الدراسة الشمولية التكاملية، هي مجموعة محاضرات ومقالات الشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) عن أدوار ومواقف أهل البيت (عليهم السلام)، التي لم يكتب لها الدوام حتّى أشواطها الأخيرة وغايتها الكبرى، فقد أبت هذه الشخصية الإسلامية الفذة إلا أن تترجم هذا السرّ المذكور والجوهر المزبور في مسيرة أهل البيت (عليهم السلام) الرائدة، بالصراع مع الطاغوت والنصرة لله عزّ وجلّ، من خلال التضحية بنفسها الزكية، من أجل مصلحة الاسلام العليا، وصلاً بتلك المسيرة العظمى والسيرة الشريفة.

ونريد هنا أن نسلط ضوءاً كلياً عاماً على هذا القاسم الأعظم والخطّ المشترك في مواقف وأدوار أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على مدى التاريخ والعصور التي اكتشفتهم، وذلك هو لحاظهم أولاً وآخراً، وقبل كلّ شيء وبعد كلّ شيء مصلحة الاسلام العليا فدونها أرواحهم الطاهرة وأهل بيتهم الكرام، وأموالهم ما كثرت، وجهادهم وجهودهم ما عظمت، وهجرتهم في سبيل الله في أكناف الارض وتخومها ما وسعت، وكظمهم الغيظ وصبرهم الجميل حتّى يتبين الحق من الباطل.

ومن الأهداف الاساسية والمرامي الرسالية لسير سيرة أهل البيت (عليهم السلام) واستجلاء هذا الاصل الأعظم فيها هو اعطاء مقياس مطلق في واقعه التطبيقى الامثل ليكون نبراساً ونهجاً مستقيماً لكل المسلمين الرساليين علماء وقادة وأمة تستهديه في توحيد مواقفها والتقريب بين مذاهبها ومشاربها في العمل على تقوية شوكة المسلمين واعلاء كلمة الله وبناء أمة الاسلام الواحدة، ويتحقق فيها مصداق قوله تعالى: (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (١).

إن أولى نماذج السيرة الطاهرة لأهل البيت (عليهم السلام) هي سيرة الامام على (عليه السلام) التي تحكى بكل وضوح وجلاء اصل حفظ مصلحة الاسلام العليا في كل مفرداتها واطوارها ومراحلها تناولها منتخبين صوراً معبرة منها تاركيين للمحيين وطلاب المعرفة والسائرين على طريقه الالهى المستقيم النظر في الافاق الواسعة لصورها التفصيلية الاخرى ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وهذه الصور المنتخبة متوزعة على ثلاث مراحل: الاولى في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)، والثانية في زمن الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والثالثة في زمن خلافته وحكومته (عليه السلام).

أولاً: في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله)

أ - فداء نفسه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بمبيته على فراشه:

عندما رأى امير المؤمنين وامام المتقين على بن أبي طالب (عليه السلام) أن مصلحة الاسلام العليا تتجسد بحياة النبي (صلى الله عليه وآله) وإن في سلامته سلامة الرسالة، فداء بنفسه ووضعها في موضع التضحية في سبيل تلك المصلحة العليا، وهو مطمئن برضا الله وقضائه، فبات في فراش الرسول عندما علم أن مشركي قريش قد يتوآقتله (صلى الله عليه وآله).

ومما ورد في ذلك أن جبرئيل (عليه السلام) نزل بالاية الكريمة: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرُجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٢) واخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتفاصيل المؤامرة وأبلغه بأمر الله تعالى له بالهجرة إلى المدينة المنورة وبجعل أخيه وابن عمه على بن أبي طالب (عليه السلام) مكانه، ومبيته على فراشه.

فأرسل (صلى الله عليه وآله) إلى على (عليه السلام) يخبره بتفاصيل المؤامرة، وهبوط الامين جبرائيل بالاية ، قائلاً له: يا على ! انّ الروح الامين هبط على الساعة يخبرني انّ قريشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي، وأوحى إلى عن ربي أن اهجّر دار قومي وأن انطلق إلى غار حراء في جبل ثور، تحت ليلتي هذه، وقد أمرني أن آمرّك بالمبيت على فراشي وفي مضجعي، لتخفي بمبيتك عليهم اثري، فما أنت قائل ؟ فقال على (عليه السلام): أو تسلمن بمبيتي يا رسول الله ؟ قال (صلى الله عليه وآله): نعم، فتبسّم ضاحكاً، واهوى إلى الارض ساجداً شاكرًا لله. وقال: فداك سمعي وبصري، مُرني بما شئت تجدني مطيعاً منفذاً، فقال (صلى الله عليه وآله): فارقد على فراشي، واشتمل ببردي الحضرمي، ثم أني اخبرك يا على، ان الله تبارك وتعالى يمتحن اولياءه على قدر ايمانهم ومنازلهم من دينه، فأشدّ الناس بلاء الانبياء، ثم الامثل فالامثل، وقد امتحنك يا ابن أمّ وامتحنني فيك، بمثل ما امتحن به خليفه ابراهيم (عليه السلام)، والذبيح اسماعيل (عليه السلام)، فصبراً صبراً، فإن رحمة الله قريب من المحسنين.

ثم ضمّه إلى صدره صلوات الله عليه وآله وبكى إليه وجداً به، وفرقاً عليه، وبكى على (عليه السلام) جزعاً على فراقه.

وحين انتشر الظلام، أسرع المتآمرون لتطويق بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) للحيلولة دون خروجه، وخرج الرسول (صلى الله عليه وآله) من بين اعداء الله وهو يتلو قوله تعالى: (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) (٣) فلم يشاهده أحد من المشركين، وعند طلوع الفجر اقتحم المتآمرون دار رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقتله واتجهوا لغرفته، فوثب على (عليه السلام) في وجوههم فقال: ما شأنكم ؟ قالوا: أين محمّد ؟ قال: «اجعلتموني عليه رقيباً ؟ ألستم قاتم نخرجه من بلادنا ؟ فقد خرج عنكم» (٤). وفي

ذلك نزلت الآية الكريمة: (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد)(٥) التي اشتهر بين المفسرين وأصحاب الحديث من مختلف الفرق الإسلامية أنها نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليلة مبيته على فراش الرسول (صلى الله عليه وآله)(٦).

ولم يكتف امير المؤمنين (عليه السلام) بفداء نفسه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في مبيته على فراشه بل صبر على البقاء في مكة لينفذ وصية رسول الله بحفظ ذمته وأداء أمانته، وكانت قریش تدعو محمداً (صلى الله عليه وآله) في الجاهلية الامين وتودعه أموالها، وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم وجاءته النبوة والامر كذلك، فأمر علياً أن يقيم منادياً بالابطح غداة وعشيّة: ألا من كانت له قبل محمد أمانة فليأت لتؤدى اليه أمانته، وقال: انهم لن يصلوا إليك بما تكرهه حتى تقدم عليّ، فأدّ أمانتي على أعين الناس ظاهراً، واني مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربي عليكما. وأمره أن يبتاع رواحله وللنواظم ومن أراد الهجرة معه من بني هاشم وغيرهم، وقال له: «إذا قضيت ما أمرتك فكن علي أهبة الهجرة إلى الله ورسوله، وانتظر قدوم كتابي إليك ولا تلبث بعده».

ثم كتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي (عليه السلام) مع أبي واقد الليثي يأمره بالمسير اليه، وكان قد أدّى أماناته وفعل ما أوصاه به، فلما أتاه الكتاب ابتاع ركائب وتهيأ للخروج، وأمر من كان معه من ضعفاء المؤمنين أن يتسللوا ليلاً إلى ذي طوى، وخرج علي (عليه السلام) بالنواظم؛ فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب وتبعهم أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأبو واقد الليثي، فجعل أبو واقد يسوق الرواحل سوقاً حثيثاً، فقال علي (عليه السلام): ارفق بالنسوة يا أبا واقد، انهن من الضعائف، ثم جعل علي يسوقهن سوقاً رقيقاً.

فلما قارب ضجنان ادركه الطلب؛ وهم ثمانية فرسان ملثمون معهم مولى لحرب بن امية اسمه جناح، فقال علي (عليه السلام) لأيمن وأبي واقد: أنيخا الابل واعقلاها، وتقدم فأنزل النسوة، ودنا القوم، فاستقبلهم علي (عليه السلام) منتصباً سيفه، فقالوا: ظننت انك يا غدار ناج بالنسوة، ارجع لا أباً لك. قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راعماً أو لترجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك، ودنواً من المطايا ليثوروها، فحال علي (عليه السلام) بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه، فراغ عن ضربته، وضرب جناحاً على عاتقه ففقد نصفين حتى وصل السيف إلى كتف فرسه والظاهر ان جناحاً لما أهوى له بالسيف انحنى، لان الفارس لا يمكنه أن يضرب الرجل إلا وهو منحني، فضربه علي وهو منحني على عاتقه، ولو لم يكن منحياً لم تصل ضربته إلى عاتقه، وشدّ علي أصحابه وهو على قدميه شدة ضيغم وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا اعبد غير الواحد

فتفرق القوم عنه، وقالوا: احبس نفسك عنا يابن ابي طالب، قال: فإني منطلق إلى أخي وابن عمي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فمن سره أن أفرى لحمه وأريق دمه فليدن مني، ثم أقبل علي أيمن وأبي واقد وقال لهما: أطلقا مطاياكما، ثم سار ظافراً قاهراً حتى نزل ضجنان، فلبث بها يومه وليلته، والحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين منهم أم أيمن مولاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبات ليلته تلك هو والنواظم طوراً يصلون وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم حتى طلع الفجر، فصلّى بهم صلاة الفجر، ثم سار لا يفتر عن ذكر الله هو ومن معه حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم بقوله تعالى: (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقتنا عذاب النار) (فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل

عامل منكم من ذكر أو أنثى بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب (٧)(٨).

ب - ذبّه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الحروب والمعارك:

كان شأن أمير المؤمنين (عليه السلام) وديدنه حماية الرسول (صلى الله عليه وآله) عند الحروب والمعارك التي خاضها تحت قيادته، فكان ظلّ له لا يفارقه فيها ولا يألو جهداً في القتال دونه والذب عنه مهما كانت العواقب واشتدّت الفتن، حتى قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام) في حقّه: «وبعد أن منى بيهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه (على بن أبي طالب) (عليه السلام) في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهيها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم...».

ففي معركة بدر كان عدد المسلمين يساوي ثلث جيش عدوّهم ولم تكن العدة لدى المسلمين ليست ذات بال، ولم يكن منهم فارس غير المقداد بن الاسود الكندي، وكانت أسلحة بعضهم من جريد النخل ونحوه.

حتى إذا اضطرت نار الفتنة تقدم على (عليه السلام) وكان يحمل لواء الرسول (صلى الله عليه وآله) (٩) فخاض غمار معركة حامية غير متكافئة، كان المسلمون خلالها يستغيثون ربّهم طلباً للنصر، فاستجاب لهم وأمدّهم بالملائكة، وقد انتهت المعركة بمقتل سبعين رجلاً من المشركين كان مقتل نحو نصف عددهم بسيف على (عليه السلام) (١٠).

وفي معركة أحد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أعطى لواء المهاجرين لعلي (عليه السلام) ولما اشتبك الطرفان كان النصر ابتداءً للمسلمين، بيد أن حمأة جبل أحد الذين أمرهم الرسول بعدم مفارقتهم بعد فرار المشركين طمعاً في الغنائم والمتاع، فصعدت إحدى فرق المشركين بقيادة خالد بن الوليد الجبل فتغيّر الموقف لصالح المشركين وسقط الكثير من المسلمين شهداء وأصيب الرسول (صلى الله عليه وآله) بجروح في وجهه الكريم وكسرت ربابيته، وحيث لم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ذلك الموقف الرهيب بعد فرار المسلمين غير على (عليه السلام) وأبى دجانه وسهل بن حنيف، استبسل على (عليه السلام) كعادته في الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وببضه الاسلام، وقتل حملة اللواء من المشركين واحداً بعد آخر، وكانوا تسعة رجال، ثمانية من بني عبد الدار وتاسعهم عبد الله (١١) فرعب الاعداء وولوا هارين.

وفى غزوة الاحزاب طوّقت المدينة بعشرة آلاف من المشركين بشتى فصائلهم، ونقض بنو قريظة صلحهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانضموا إلى صفوف الغزاة، فتغير ميزان القوى لصالح العدو، وبلغ الذعر في نفوس المسلمين أى مبلغ، وقد وصف القرآن الكريم هذه الحالة في قوله: (إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا)(١٢).

وبدأ العدو هجومه بعبور عمرو بن عبد ود العامري - أحد أبطال المشركين - الخندق الذى حفره المسلمون مع بعض رجاله فهددوا المسلمين فى داخل المدينة بل فى داخل تحصيناتهم، وراح ابن عبد ودّ يصول ويجول، ويتوعد المسلمين ويتفاخر عليهم ببطولته، ويستعلى وينادى: هل من مبارز؟ فقام على (عليه السلام) وقال: أنا له يا رسول الله. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اجلس انه عمرو! وكرر ابن عبد ود النداء وجعل يوبّخ المسلمين، ويسخر منهم ويقول: أين جنتكم التى تزعمون أنّ من قتل منكم يدخلها، أفلا تبرزون لى رجلاً؟

ولمّا لم يجبه أحد من المسلمين، كرر على (عليه السلام) طلبه: أنا له يا رسول الله، فقال (صلى الله عليه وآله): اجلس انه عمرو! فأبدى على عدم اكترائه بعمرو وغيره، قائلاً: وإن كان عمراً!! فأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلّى (عليه السلام)، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه، وعممه بعمامته، ثم قال (صلى الله عليه وآله): «اللهم هذا أخى وابن عمى، فلا تذرني فرداً، وأنت خير الوارثين»(١٣).

ومضى على (عليه السلام) إلى الميدان. وخاطب ابن عبد ود بقوله: يا عمرو انك كنت عاهدت الله، أن لا يدعوك رجل من قريش إلى احدى خلتين إلا قبلتها. قال عمرو: أجل. فقال على (عليه السلام): فاني ادعوك إلى الله وإلى رسوله (صلى الله عليه وآله) وإلى الاسلام. فقال: لا حاجة لى بذلك. قال له الامام: فاني ادعوك إلى البراز، فقال عمرو: انى اكره أن اهريق دمك، أن أبأك كان صديقاً لى.

فردّ عليه الامام (عليه السلام) قائلاً: لكنى - والله - أحبّ أن اقتلك، فغضب عمرو، وبدأ الهجوم على على (عليه السلام) فصده الامام برباطة جأشه المعتادة، وأرداه قتيلاً، فعلا التكبير والتهليل فى صفوف المسلمين(١٤). ولما عاد الامام (عليه السلام) ظافراً استقبله رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقول:

«لمبارزة على بن أبى طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق افضل من أعمال أمتى إلى يوم القيامة»(١٥).

وبعد مقتل ابن عبد ود، بادر على (عليه السلام) إلى سد الثغرة التى عبر منها عمرو ورجاله ورابط عندها(١٦) مزمعاً القضاء على كل من تسوّل له نفسه التسلّل من المشركين، ولولا ذلك الموقف البطولى لاقتحم جيش المشركين المدينة على المسلمين، بذلك العدد الهائل.

وهكذا كان على (عليه السلام) فى غزوة الاحزاب أهم عناصر حفظ بيضة الاسلام وتحقيق النصر للمعسكر الاسلامى، وانهزام المشركين.

وفى غزوة خيبر عجز عليّ القوم عن الثبات امام اليهود، ولمّا بان ضعف الجميع عن اقتحام حصون خيبر حتى تأخر فتحها أياماً، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كراماً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» (١٧).

ولمّا كان الغد أعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّاً فاقتحم حصون خيبر ودخلها عليهم عنوة، وقتل بطلهم مرحباً، ثم فتح الحصون جميعاً.

وفى غزوة حنين فرّ المسلمون فلم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) غير علي (عليه السلام) والعباس وبعض بنى هاشم (١٨) فكان النصر، بعد عودة المسلمين إلى ميدان القتال لمّا سمعوا نداء الرسول (صلى الله عليه وآله) ونداء العباس بن عبد المطلب، وكان الظفر.

هذه نماذج من المواقف التي سجّلها الامام علي (عليه السلام) بين يدي قائده رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى أدق الساعات وأكثرها حرجاً (١٩)، كانت تحكى تضحيته وتفانيه بلا حدود فى سبيل حفظ بيضة الاسلام وتحقيق مصلحته العليا. وممّا يؤكد ذلك أن عليّاً (عليه السلام) كان قد اشترك فى حروب رسول الله جميعاً غير تبوك (٢٠)، وكان ذلك بأمر خاص من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمصلحة اسلامية كان يراها تمثلت فى التحرز من خطر كان يخشاه من المنافقين الذين تخلفوا فى المدينة.

وممّا ورد فى ذلك ان الله أوحى إلى نبيه (صلى الله عليه وآله) أن يسير إلى غزوة تبوك بنفسه ويستنفر الناس للخروج معه، ويختبرهم ليتميزوا بذلك، وتظهر به سرائرهم.

فاستنفرهم النبي (صلى الله عليه وآله) إلى بلاد الروم، وقد أينعت ثمارهم، واشتدّ القيظ عليهم، فأبطأ أكثرهم عن طاعته رغبة فى العاجل، وحرصاً على المعيشة وإصلاحها، وخوفاً من شدة القيظ وبُعد المسافة، ولقاء العدو، ثم نهض بعضهم على استئصال للنهوض، وتخلف آخرون.

ولمّا أراد النبي (صلى الله عليه وآله) الخروج استخلف امير المؤمنين فى أهله وولده وأزواجه ومهاجره، وقال له: يا عليّ! انّ المدينة لا تصلح إلاّ بى أو بك.

وذلك أنه (صلى الله عليه وآله) علم خبث نيات الاعراب وكثير من أهل مكّة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم، فأشفق ان يطلبوا المدينة عند نأيه عنها فى بلاد الروم أو نحوها، فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه، لم يؤمن من معرفتهم، وإيقاع الفساد فى دار الهجرة، والتخطى إلى ما يشين أهله ومخلفيه.

وعلم (صلى الله عليه وآله) أنه لا يقوم مقامه فى ارباب العدو، وحراسه دار الهجرة، وحياطه من فيها إلاّ امير المؤمنين (عليه السلام) فاستخلفه استخلاقاً ظاهراً، ونصّ عليه بالامامة من بعده نصّاً جليّاً.

وذلك فيما تأكد من الرواية أنّ أهل النفاق لمّا علموا باستخلاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) على المدينة حسدوه لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، وعلموا أنّها تتحصن به، ولا يكون فيها للعدو مطمع، فساءهم ذلك، وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن المدينة، وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها، وغبطوه (عليه السلام) على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وتكلفت من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر.

فأرجفوا به (عليه السلام) وقالوا: لم يستخلفه رسول الله إكراماً له، وإجلالاً ومودة، وإنّما خلفه استتقلاً له. فبهتوا بهذا الأرجاف كبهت قريش للنبي (صلى الله عليه وآله) بالجنّة تارة، وبالشّعر أخرى، وبالسحر مرّة، وبالكهانة أخرى. وهم يعلمون ضدّ ذلك ونقيضه، كما علم المنافقون ضدّ ما أرجفوا به على أمير المؤمنين (عليه السلام) وخلافه، وأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان أخصّ الناس بأمر المؤمنين (عليه السلام)، وكان هو أحبّ الناس إليه، وأسعدهم عنده، وأفضلهم لديه.

فلما بلغ أمير المؤمنين (عليه السلام) إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، انّ المنافقين يزعمون أنّك خلفتني استتقلاً ومقتاً! فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): ارجع يا أخى إلى مكانك، فإنّ المدينة لا تصلح إلاّ بى أو بك، فأنت خليفتى فى أهل بيتى، ودار هجرتى، وقومى؛ أما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدى (٢١).

ثانياً: فى زمن الخلافة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)

لما توفى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدأت الفتن تظهر كقطع الليل المظلم كما تنبأ بها (صلى الله عليه وآله) فى قوله عند مرضه الذى قضى به: «... أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها...» (٢٢) انشغل على وأهل بيته (عليهم السلام) بتجهيز النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) حيث بقى جثمانه الطاهر ثلاثة أيّام دون دفن ليتسنى للمسلمين توديعه والصلاة عليه (٢٣).

ولقد استجدّت أمور وأحداث خطيرة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) تهدد ببيضة الاسلام وأمته بالفناء؛ فقد ظهر المتنّبون وقوى أمرهم واشتد خطرهم فى الجزيرة العربية من أمثال: مسيلمة الكذاب، وطلحة بن خويلد الأفاك، وسجاح بنت الحرث الدجالة، وغيرهم، وصار وجودهم يشكل خطراً حقيقياً على الدولة الاسلامية.

واشتدّ ساعد المنافقين وقويت شوكتهم فى داخل المدينة وكان الرومان والفرس للمسلمين بالمرصاد (٢٤)، كما ظهرت على السطح الاجتماعى تكتلات وتحزّبات بين المسلمين. وبرغم أن أمير المؤمنين (عليه السلام)، فى ظاهره اعتزل الناس وما هم فيه ستّة شهور، ولم يسمع له صوت فى حروب الردة ولا سواها (٢٥)، إلاّ أنّه (عليه السلام) كان يرقب ما يحدث ويترصّد الاوضاع بكلّ دقّة ويرسم موقفه

الرسالي المطلوب على ضوء ما تقتضيه مصلحة الاسلام العليا، ومن أهم مواقفه التي جسدت ذلك في تلك الفترة العصبية من تاريخ الاسلام وامته الفتية هي:

١ - موقفه من حقه في الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حيث وجد أن مصلحة الاسلام العليا تقتضي تقديم الالهم الممكن على غيره، حفظاً للاسلام وحمايةً لدعوته وأمته من التمزق والضياع أمام قوى الكفر والشرك والنفاق التي علا لها صوت وتربصت الدوائر بالاسلام - كما ذكرنا - في داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ولقد أبلغ الامام علي (عليه السلام) في بيان هذا الموقف قائلاً: «فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام، يدعون إلى محق دين محمد (صلى الله عليه وآله)، فخشيت أن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهت» (٢٦).

٢ - العمل فوراً بوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حفظ القرآن الكريم بجمعه وتدوينه كما أنزله الله تعالى، فما برح عاكفاً على ذلك حتى انتهى من جمع القرآن الكريم وتدوينه في صحائف من الجلد.

ففي أخبار أبي رافع: «ان النبي قال في مرضه الذي توفي فيه لعلّي: يا علي! هذا كتاب الله خذه إليك، فجمعه عليّ في ثوب، فمضى إلى منزله، فلما قبض النبي (صلى الله عليه وآله) جلس عليّ فألفه كما أنزله الله، وكان به عالماً» (٢٧).

وذكر أبو نعيم في الحلية والخطيب في الأربعين بالاسناد عن السدي عن عبد خير عن علي (عليه السلام) قال: «لما قبض رسول الله أقسمت (أو حلفت) ألا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن» (٢٨).

وفي أخبار أهل البيت (عليهم السلام) أن علي (عليه السلام) آلى ألا يضع رداءه على عاتقه إلا للصلاة حتى يؤلف القرآن ويجمعه. فانقطع عنهم مدة إلى أن جمعه، ثم خرج اليهم به في ازار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فأنكروا مصيره بعد انقطاع... فقالوا: الامر ما جاء به أبو الحسن، فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم.

٣ - قيامه بدور المرشد والمشير في مسائل الحكم الاسلامي إبان خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وذلك تحقيقاً لمصلحة الاسلام العليا في تقويم مسيرته ودفعاً للخطر والتحريف عنه وعن أمته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وقد استثمر (عليه السلام) حاجة الخلفاء الثلاثة للمشورة في ملتبسات الأمور.

ومن نماذج هذا الدور الرسالي الكبير الذي اضطلع به امير المؤمنين (عليه السلام) التي نقلتها لنا كتب السيرة والتاريخ ما يلي:

أ - عندما فكر أبو بكر بغزو الروم فاستشار جماعته من الصحابة فقدموا وأخروا، ولم يقطعوا برأى، فاستشار علياً (عليه السلام) في الامر فقال: إن فعلت ظفرت. فقال أبو بكر: بشرت بخير. وأمر أبو بكر الناس بالخروج بعد أن أمر عليهم خالد بن سعيد (٢٩).

ب - وعندما أراد أبو بكر أن يقيم الحد على شارب خمر. فقال الرجل: إني شربتها ولا علم لي بتحريمها، فأرسل إلى الامام يسأله عن ذلك فقال(عليه السلام): «مُر نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به على مجالس المهاجرين والانصار وينشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فان شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه، وإن لم يشهد أحد بذلك، فاستبته وخلّ سبيله». وكان الرجل صادقاً في مقاله فخلّى سبيله(٣٠).

ج - وعندما قدم جاثليق النصارى يصحبه مائة من قومه، فسأل أبا بكر اسئلته، فدعا علياً(عليه السلام) فأجابه عنها، ونكتفى منها نموذجاً بسؤال واحد من اسئلة الجاثليق: أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى.

فدعا علي(عليه السلام) بنار وحطب، واضرمه، فلما اشتعلت قال: أين وجه هذه النار؟ قال الجاثليق: هي وجه من جميع حدودها، فقال علي(عليه السلام): «هذه النار مدبرة مصنوعة، لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها، والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله لا تخفى على ربنا خافية»(٣١).

د - وعندما أرسل ملك الروم رسولاً إلى أبي بكر يسأله عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولا يخاف الله ولا يركع ولا يسجد، ويأكل الميتة والدم، ويشهد بما لا يرى، ويحب الفتنة ويبغض الحق، فأخبر بذلك علياً(عليه السلام) فقال: «هذا رجل من أولياء الله: لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولكن يخاف الله ولا يخاف من ظلمه، وانما يخاف من عدله، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة، ويأكل الجراد والسمك، ويأكل الكبد، ويحب المال والولد (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرهما، ويكره الموت وهو حق»(٣٢).

هـ - وحين أراد عمر بن الخطاب أن يغزو الروم راجع الامام(عليه السلام) في الامر، فنصحه الامام بأن لا يقود الجيش بنفسه مبنياً على ذلك قائلاً:

«فابعث اليهم رجلاً محرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فان اظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الاخرى كنت رداءً للناس، ومثابة للمسلمين»(٣٣).

و - وعندما ورد إلى بيت مال المسلمين مال كثير - من البحرين - فقسمه عمر بين المسلمين، ففضل منه شيء، فجمع عمر المهاجرين والانصار واستفتاهم بأمره قائلاً: «ما ترون في فضل، فضل عندنا من هذا المال؟ قالوا: يا امير المؤمنين انا شغلناك بولاية امورنا من أهلك وتجارتك، وضيعتك، فهو لك. فالتفت عمر إلى علي قائلاً: ما تقول أنت؟ قال الامام(عليه السلام): قد اشاروا عليك. قال الخليفة: فقل أنت. قال(عليه السلام): لِمَ تجعل يقينك ظناً؟ ثم حدثه بواقعة مشابهة في عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله). واخيراً اشار عليه

الامام (عليه السلام) توزيعه على الفقراء، قائلاً: «أشير عليك ألا تأخذ من هذا الفضل وأن تفضّه على فقراء المسلمين». فقال عمر: صدقت والله (٣٤).

ز - وعن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: ان ترك هذا المال في جوف الكعبة لآخذه وأقسمه في سبيل الله وفي سبيل الخير، وعلى بن أبي طالب يسمع ما يقول، فقال عمر: ما تقول يا ابن أبي طالب؟ بالله لئن شجعتني عليه لأفعلن. فقال علي: أتجعله فينا، وصاحبه رجل يأتي في آخر الزمان (٣٥). فافتنع عمر بضرورة عدم التصرف بحلى الكعبة.

ح - وورد أن عمر بن الخطاب رأى ليلة رجلاً وامرأة على فاحشة، فلما أصبح قال للناس: أرايتم ان إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة. فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين؟ قالوا: انما أنت إمام.

فقال علي بن أبي طالب: «ليس ذلك لك، اذن يقام عليك الحد، ان الله لم يأمن على هذا الامر أقل من أربعة شهداء» ثم أن عمر ترك الناس ما شاء الله، ثم سألهم: فقال القوم مثل مقالتهم الاولى، وقال علي (عليه السلام) مثل مقالته: فأخذ عمر بقول الامام (٣٦).

ط - وبعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيدة بن الجراح المسلمين واستشارهم بالمسير إلى بيت المقدس أو إلى قيسارية، فقال له معاذ بن جبل: اكتب إلى امير المؤمنين عمر، فحيث أمرك فامثله، فكتب ابن الجراح إلى عمر بالامر. فلما قرأ الكتاب، استشار المسلمين بالامر.

فقال علي (عليه السلام): مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس، فاذا فتح الله بيت المقدس، صرف وجهه إلى قيسارية، فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى، كذا اخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال عمر: صدق المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وصدقت أنت يا أبا الحسن، ثم كتب إلى أبي عبيدة بالذي أشار به علي (عليه السلام) (٣٧).

ي - وبعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر، شاور ابن الخطاب اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سواد الكوفة. فقال بعضهم: تقسمها بيننا، ثم شاور علياً (عليه السلام) في الامر، فقال (عليه السلام): ان قسّمته اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، ولكن تقرأها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا وللمن بعدنا. فقال عمر لعلي: وفقك الله، هذا الرأي (٣٨).

ك - وعن الطبري في تاريخه عن سعيد بن المسيب: قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أي يوم نكتب التاريخ؟

فقال علي (عليه السلام): من يوم هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وترك أرض الشرك، ففعله عمر (٣٩). وهكذا وجد التاريخ الهجري ليؤرخ به المسلمون.

هذه بعض ملامح دور الامام على (عليه السلام) الرسالي في خلافة عمر بن الخطاب.

ل - وعندما أتى إلى عثمان بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فهمَ برجمها، فقال على (عليه السلام): «إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله تعالى يقول: (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) ثم قال: (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) ; فحولين مدة الرضاع، وستة أشهر مدة الحمل». فقال عثمان: ردّوها - أى لا ترجموها (٤٠) - .

ثالثاً: في مرحلة خلافته وحكومته للمسلمين

تواصل نهج امير المؤمنين (عليه السلام) في حفظ مصلحة الاسلام العليا بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان وتولية خلافة المسلمين، ولم تزد المتغيرات الحادثة في الوضع السياسي والفتن والحروب التي استعر أوارها في زمن خلافته إلا ثباتاً ورسوخاً في التزام هذا الاصل الاسلامي الذي عاهد الله ورسوله على حفظه والدفاع عنه مهما كانت المحن والفتن، ومن ابرز مصاديق هذا النهج النماذج التالية:

أ - عندما اجمعت الامة على بيعه امير المؤمنين (عليه السلام) خليفة للمسلمين، لم يندفع معهم في ذلك وقال لهم: «دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وإن الافاق قد أغامت والمحجة قد تنكّرت... وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلّي اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً» (٤١). لانه رأى ان المصلحة الاسلامية العليا تقتضي أن يجعل بيعه الامة له عن وعي كامل واردة حقيقية لا عن عاطفة وانسياق مع ردود الفعل والجو الجمعي الذي تمثل بالنقمة على عثمان وانتهى بقتله، والذي لا يلبث عادةً أن ينحسر ويتراجع، خصوصاً وأنه (عليه السلام) لا يرى لنفسه غير خلافة رسالية يقيم فيها الحق ويبطل الباطل، ولقد قالها لابن عباس عندما دخل عليه بذي قار وهو يخصف نعله: «ما قيمة هذا النعل؟ فقال له ابن عباس: لا قيمة لها! فقال (عليه السلام): والله لهي أحبّ إليّ من امرتكم، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً» (٤٢). وعند اصرار الامة على بيعته اعلن شرطه لقبول الخلافة في قوله (عليه السلام): «واعلموا أنني ان اجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم اصغ إلى قول القائل وعتب العاتب» (٤٣).

ب - كانت أولى خطوات امير المؤمنين (عليه السلام) على هذا النهج بعد توليه خلافة المسلمين هي ترسيخ مبادئ التنزيل وبيان تأويله وحفظ سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فأعلن ابتداءً عن المواصفات الاسلامية المطلوبة في ولاه الامور والعمال في قوله (عليه السلام): «... أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل، فتكون في اموالهم نهمته، ولا الجاهل يفضلهم بجهله، ولا الجافي يقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الامة» (٤٤).

وبذلك ثبت امير المؤمنين (عليه السلام) الأسس الاسلامية الخالدة في بناء جهاز الحكومة الاسلامية وفق شروط العلم والعدالة والكفاءة، لتكون قانوناً رائداً وشرعاً دائمة للمسلمين، بل لكل الانسانية التواقفة إلى اقامة العدل والقسط في الحياة. ولم يتوان عن تطبيق هذه الاسس

فى تعيين ولاته وعمّاله، فعمد إلى عزل من لا تتوفر فيهم هذه الشروط وإحلال من يتّصف بها محلّهم، ولم تثنه عن عزمه هذا كل محاولات الضغط والصدّ؛ وقد كان من أبرزها ما روى عن ابن عباس أنه قال: «أتيتُ عليّاً بعد قتل عثمان عند عودى من مكّة فوجدتُ المغيرة بن شعبه مستخلياً به، فخرج من عنده، فقلت له: ما قال لك هذا؟ فقال: قال لى قبل مرته هذه: ان لك حقّ الطاعة والنصيحة، وأنت بقيّة الناس، وإن الرأى اليوم تحرز به ما فى غد، وإن الضياع اليوم يضيع به ما فى غد، أقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على أعمالهم حتى تأتيتك بيعتهم ويسكن الناس، ثم اعزل من شئت، فأبيتُ عليه ذلك وقلت: لا أداهن فى دينى ولا اعطى الدنيّة فى أمرى. قال: فان كنت أبيت علىّ فانزع من شئت واترك معاوية، فإن فى معاوية جرأة، وهو فى أهل الشام يُستمع منه، ولك حجة فى اثباته، فقلت: لا والله لا استعمل معاوية يومين! ثم انصرف من عندى وأنا اعرف فيه أنه يؤدّ أنى مخطئ، ثم عاد إلىّ الآن فقال: انى اشرت عليك أول مرة بالذى اشرتُ وخالفنتى فيه، ثم رأيت بعد ذلك أن تصنع الذى رأيت فتعزلهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى اللّه وهم أهون شوكة مما كان...

قال ابن عباس: فقلت لعليّ: يا امير المؤمنين أنت رجل شجاع لست صاحب رأى فى الحرب، أما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: الحرب خدعة؟ فقال: بلى. فقلت: أما والله لئن اطعنى لاصدرنهم بعد ورد، ولا تركنهم ينظرون فى دبر الامور لا يعرفون ما كان وجهها فى غير نقصان عليك ولا إثم لك، فقال: يا ابن عباس لست من هناتك ولا من هنات معاوية فى شىء. قال ابن عباس: فقلت له: اطعنى والحق بما لك بينى واغلق بابك عليك، فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فانك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غداً. فأبى علىّ فقال: تشير علىّ وأرى، فإذا عصيتك فأطعنى. قال: فقلت: افعل، ان أيسر ما لك عندى الطاعة. فقال له علىّ: تسير إلى الشام فقد وليتكها، فقال ابن عباس: ما هذا برأى، معاوية رجل من بنى اميّة... ولست آمن أن يضرب عنقى بعثمان، وان ادنى ما هو صانع أن يحبسنى فيتحكم علىّ لقرايتى منك، وإن كل ما حُمّل عليك حمل علىّ، ولكن اكتب إلى معاوية فمَنّه وعده، فقال: لا والله، لا كان هذا أبداً! (٤٥).

ج - وهكذا كانت مصلحة الاسلام العليا هى المعيار الحاسم فى ادارته لبيت مال المسلمين وتحقيق العدل والمساواة فى العطاء ومراقبة ولاته وعمّاله وتوجيههم فى طريقة ادائهم لوظائفهم الرسالية المناطة بهم، ولم تأخذه فى الله لومة لائم وهو يحق الحق ويدفع الباطل فى ذلك.

ومن أول وابرز خطواته لحفظ مصلحة الاسلام العليا فى بيت مال المسلمين هو اعادة حق الله وحقوق المسلمين التى كانت قد أخذت جوراً أو اغتُصبت ظلماً إلى بيت المال. وقد حاول المتضررون بذلك أن يشنوا امير المؤمنين (عليه السلام) عن خطواته هذه فأرسلوا اليه الوليد بن عقبة بن أبى معيط مندوباً عنهم للتفاوض معه (عليه السلام)، فجاء اليه وقال: «يا أبا الحسن انك قد وترتنا جميعاً... ونحن اخوتك ونظراؤك من بنى عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما اصبناه من المال... وانا ان خفناك تركناك فالتحقنا بالشام.

فردّ عليهم: أما ما ذكرتم من وترى اياكم، فالحق وتركم، وأما وضعى عنكم ما اصبتم، فليس لى أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم» (٤٦).

وعندما بادر امير المؤمنين (عليه السلام) إلى رد ما اقتطع على المسلمين قطع القوم املهم في ابقاء ما كان بحوزتهم من أموال المسلمين خصوصاً عندما أعلن الامام (عليه السلام) قراره الشهير الذي قال فيه: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الاماء، لرددته، فان في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه اضيق» (٤٧).

ومن النماذج الرائعة في تحقيق العدل والمساواة في العطاء ما رواه ابراهيم الثقفي قائلاً: «ان طائفة من اصحاب علي (عليه السلام) مشوا اليه فقالوا: يا امير المؤمنين! اعط هذه الاموال، وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالى والعجم ومن تخاف خلافة من الناس وفراره.

فقال: أتأمروني أن اطلب النصر بالجور؟ والله لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم، والله لو كان مالهم لى لواسيت بينهم، فكيف وأما هي أموالهم» (٤٨).

وقال أيضاً: «إن امرأتين أتتا علياً (عليه السلام) عند القسمة؛ احداهما من العرب والاخرى من الموالى، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهماً وكرراً من الطعام، فقالت العريضة: يا امير المؤمنين، انى امرأة من العرب، وهذه امرأة من العجم! فقال علي (عليه السلام): إني والله لا أجد لبني اسماعيل فى هذا الفى فضلاً على بنى اسحاق» (٤٩).

ولم يستثن (عليه السلام) فى العدل أحداً حتى من كان ذا فاقة من أهل بيته، فقد روى مسلم صاحب الحنا قائلاً: «لما فرغ علي (عليه السلام) من أهل الجمل أتى الكوفة، ودخل بيت المال، ثم قال: يا مال غرّ غبرى. ثم قسمه بيننا، ثم جاءت ابنة للحسن أو للحسين (عليهما السلام) فتناولت منه شيئاً، فسعى وراءها ففك يدها ونزعه منها، فقلنا: يا امير المؤمنين ان لها فيه حقاً، قال (عليه السلام): إذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء» (٥٠).

وروى هارون بن سعيد ان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب قد قال له: يا امير المؤمنين، لو أمرت لى بمعونة أو نفقة، فوالله ما لى نفقة إلا أن أبيع دابتي!! فقال الامام (عليه السلام): «لا والله ما اجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك» (٥١).

وروى أيضاً أن أخاه عقيلاً - وكان ضريباً - جاءه يوماً يطلب صاعاً من القمح من بيت مال المسلمين - زيادة على حقه - وظل يكرر طلبه على علي (عليه السلام)، فما كان من الامام امير المؤمنين إلا وأحمى له حديدة على النار وأدناها منه، ففزع منها عقيل، ثم وعظه: «يا عقيل أتن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرتنى إلى نار سجرها جبارها لغضبه؟ أتن من الاذى ولا أتن من لظى» (٥٢).

أما النماذج الفريدة فى مراقبه ولاته وعماله وقاده جيوشه وردعهم عن الباطل وارشادهم وتوجيههم نحو الحق والعدل والصواب؛ فمنها ما روى أنه (عليه السلام) بلغه أن عثمان بن حنيف واليه على البصرة كان قد دعى إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها، فأرسل اليه

امير المؤمنين كتاباً تأديبياً جاء فيه: «أما بعد، يا ابن حنيف: فقد بلغني أن رجلاً من فتيه أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل اليك الجفان. وما ظننت انك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفوء، وغنيهم مدعوء، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه.

ألا وإن لكل مأموم اماماً، يقتدى به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وانكم لا تقدرون على ذلك، ولكن اعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد» (٥٣).

وكتب إلى مصقلة الشيباني عامله على «اردشير خرة» مهدداً ومتوعداً ان هو اختار الباطل على الحق قائلاً: «بلغني عنك أمر ان كنت فعلته فقد أسخطت إلهك، وعصيت امامك: انك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقته عليه دماؤهم، فيمن اعتماك من اعراب قومك. فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك على هواناً، ولتخفن عندى ميزاناً، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الاخسرين اعمالاً» (٥٤).

وكتب إلى بعض عماله يحاسبه قائلاً: «أما بعد، فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد اسخطت ربك، وعصيت امامك، واخزيت امانتك. بلغني انك جرّدت الارض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فارفع الى حسابك، واعلم ان حساب الله أعظم من حساب الناس» (٥٥).

وفي بعض وصايا (عليه السلام) لجيوشه قال: «لا تقاتلوهم حتى يبدؤكم، فإنكم - بحمد الله - على حجة، وترككم إيّاهم حتى يبدؤكم حجة أخرى لكم عليهم. فاذا كانت الهزيمة باذن الله، فلا تقتلوا مدبراً، ولا تسيبوا معوراً» (٥٦)، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن اعراضكم، وسببن امراءكم» (٥٧).

وكتب إلى امرائه على الجيش قائلاً: «من عبد الله على بن ابي طالب امير المؤمنين إلى اصحاب المسالح: أما بعد، فإن حقاً على الوالى ألا يغيره على رعيته فضل ناله، ولا طول خُص به، وأن يزيده ما قسم الله له من نعمة دنواً من عبادته، وعطفاً على اخوانه.

ألا وإن لكم عندى ألا احتجز دونكم سراً إلا في حرب، ولا أطوى دونكم امراً إلا في حكم، ولا أؤخر لكم حقاً عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وإن تكونوا عندى فى الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة، ولى عليكم الطاعة، وألا تنكصوا عن دعوة، ولا تفرطوا فى صلاح، وإن تخوضوا الغمرات إلى الحق، فإن أنتم لم تستقيموا لى على ذلك لم يكن أحدٌ أهون على من اعوج منكم، ثم أعظم له العقوبة، ولا يجد عندى فيها رخصة، فخذوا هذا من امرائكم، واعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم. والسلام» (٥٨).

وهكذا امتلات سيرة امير المؤمنين (عليه السلام) بمثل هذه المواقف الرائدة التي تحكى لنا اتخاذه مصلحة الاسلام العليا فيصلاً في خلافته وشؤون الرسالية.

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) الانفال: ٣٠.

(٣) يس: ٩.

(٤) تفسير سورة الانفال آية ٣٠ يراجع الميزان للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ٩: ٨٠ البحث الروائي.

(٥) البقرة: ٢٠٧.

(٦) راجع: شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٩٦.

(٧) آل عمران: ١٩١ و ١٩٥.

(٨) اعيان الشيعة ١: ٢٣٧ - ٢٣٨، طبعه دار التعارف، الطبعة الخامسة، بيروت.

(٩) البلاذري، انساب الاشراف ٢: ٩١ و ٩٤. مستدرک الصحيحين ٣: ١١١، ابن سعد في الطبقات ٣: ١٥.

(١٠) الواقدي، المغازي ١: ١٥٢.

(١١) تاريخ الطبري ٣: ١٧. احمد بن حنبل في الفضائل. ابن هشام، السيرة النبوية ٣: ١٣٤. محمد حسن المظفر، دلائل الصدق ٢: ٣٥٧. السيد الصدر، حياة امير المؤمنين: ٢٣٦ وما بعدها، المفيد، الارشاد: ٥٢.

(١٢) الاحزاب: ١٠.

(١٣) دحلان، السيرة النبوية ٢: ١١١، غزوة الخندق.

(١٤) دحلان، السيرة النبوية ٢: ١١٢. الحاكم، مستدرك الصحيحين ٣: ٣٤.

(١٥) الحاكم، مستدرك الصحيحين ٣: ٣٢ عن سفيان الثوري ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣: ١٩.

(١٦) المفيد، الارشاد: ٥٨. دحلان، السيرة النبوية ٢: ١١٢.

(١٧) البلاذري، انساب الاشراف ٢: ٩٣ و ٩٤ عن ابي هريرة وابن عباس بلفظ متشابه. النسائي، خصائص على بن ابي طالب: ٩ وما بعدها وفي الاصابة والاستيعاب وحلية الاولياء ومسلم في صحيحه بالفاظ متقاربة.

(١٨) محسن الامين، سيرة الرسول ١: ٢٧٩ نقلاً عن السيرة الحلبية وابن قتيبة في المعارف. وتفسير الميزان للطباطبائي ١٠، تفسير آية ٢٥ من التوبة والبحث الروائي. المفيد، الارشاد: ٧٤.

(١٩) للاستزادة يراجع كتاب الامام على لعبد الفتاح عبد المقصود. واعيان الشيعة لمحسن الامين ١: ٧٩ بالفاظ متشابهة. والارشاد للمفيد. سيرة ابن هشام. والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٤٤ بالفاظ متشابهة.

(٢٠) راجع انساب الاشراف للبلاذري ٢: ٩٢. مستدرك الصحيحين ٣: ١١١. ابن سعد في طبقاته ٣: ١٠. ابن حجر في تهذيب التهذيب ٣: ٤٧٥. ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ٣٩. للمزيد راجع الفضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢: ٣٠٩.

(٢١) الارشاد للشيخ المفيد: ٨١-٨٤.

(٢٢) اخرجه النسائي، سنن النسائي ٤: ٩٣، وابو داود، وابن ماجه.

(٢٣) تاريخ ابن كثير ٥: ٢٧١. تاريخ ابي الفداء ١: ١٥٢، وراجع الغدير للاميني ٧: ٧٥.

(٢٤) السيد شرف الدين، المراجعات: ٣٠٢.

(٢٥) المظفر، السقيفة: ١٦٠، ط. ٤، بيروت، ١٩٧٣.

(٢٦) من كتاب له إلى أهل مصر مع مالك الاشر حين ولأه امارتها. راجع نهج البلاغة.

(٢٧) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٤١، البحار للمجلسي ٨٩: ٥١ - ٥٢.

(٢٨) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٤١، البحار للمجلسي ٨٩: ٥٢.

(٢٩) تاريخ يعقوبي ٢: ١١١.

(٣٠) ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب ٢: ٣٥٦.

(٣١) علي والخلفاء: ٦٠، التستري، قضاء امير المؤمنين، ط. مؤسسة الاعلمي (بيروت): ٨٦.

(٣٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب ٢: ٣٥٨.

(٣٣) راجع نهج البلاغة، الخطبة ١٣٤، احفز: أمر من الحفز، وهو الدفع والسوق الشديد.

(٣٤) نجم الدين العسكري، على والخلفاء: ٨٣. احمد بن حنبل في مسنده ١: ٩٤. كنز العمال ٤: ٣٩ وغيرهم.

(٣٥) المتقى الهندي، كنز العمال ٧: ١٤٧. صحيح البخارى ١٩: ٧٢٧. نجم الدين العسكري، على والخلفاء: ٨٧.

(٣٦) المتقى الهندي، كنز العمال ٣: ٩٦. الفتوحات الاسلاميه ٢: ٤٨٢، راجع على والخلفاء: ٩٨.

(٣٧) نجم الدين العسكري، على والخلفاء: ١٣٣.

(٣٨) على والخلفاء: ٢٣٩.

(٣٩) تاريخ الطبرى ٢: ٢٥٣ وفى تاريخ يعقوبى مثله. وكنز العمال ومستدرك الحاكم، والكامل فى التاريخ لابن الاثير. راجع على والخلفاء: ٢٤٠.

(٤٠) ابن شهر آشوب، مناقب آل ابى طالب ٢: ٣٧١. ابن كثير فى تفسيره ٤: ٥٧. البيهقى فى سننه ٧: ٤٤٢.

(٤١) نهج البلاغه: نص رقم ٩٢.

(٤٢) نهج البلاغه: من الخطبة ٣٣.

(٤٣) نهج البلاغه: نص رقم ٩٢.

(٤٤) نهج البلاغة: نص رقم ١٣١.

(٤٥) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٣: ١٩٧ - ١٩٨.

(٤٦) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٧: ٣٨ - ٣٩.

(٤٧) نهج البلاغة، نص رقم ١٥.

(٤٨) الثقفى (المتوفى عام ٢٨٣ هـ)، كتاب الغارات ١: ٧٥.

(٤٩) الثقفى، الغارات ١: ٧٠.

(٥٠) البلاذرى، انساب الاشراف ٢: ١٣٢.

(٥١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢: ٢٠٠.

(٥٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

(٥٣) نهج البلاغة، رسالة رقم ٤٥.

(٥٤) نهج البلاغة، رسالة رقم ٤٣.

(٥٥) نهج البلاغة، رسالة رقم ٤٠.

(*) المعور: الذي عجز عن حماية نفسه اثناء الحرب.

(٥٧) نهج البلاغة، الوصية رقم ١٤.

(٥٨) نهج البلاغة، كتاب رقم ٥٠.

شبهة ورد

* الشيخ عبد الكريم آل نجف

ورد إلينا هذا الردّ على الافكار التى أثارها الاستاذ الدكتور محمد عماره فى موضوعه المنشور على صفحات مجلة الوطن العربى فى عددها الصادر بتاريخ ١٥ / ١١ / ١٩٩٦م، وللقيمه الموضوعيه لهذا الردّ نقدمه لقرائنا الكرام عملاً بمبدأ الحوار العلمى الهادف. (التحرير)

مقدمة

الوحدة الاسلاميه فى المدرسه الاماميه ليست شعاراً طارئاً، بل منهج أصيل يتقوم بأسس عميقه الجذور فى التفكير الشيعى. وليت اخواننا أهل المذاهب الاربعه يعلمون أن التقيّه التى كانت، ولا زالت مورداً للتهجم والتشيع من قبلهم على اخوانهم الاماميه، لم يلحظ فيها الخوف من السلطان الجائر فقط، وإنما لوحظ فى مفهومها رعايه وحده المسلمين أيضاً، ولولا ذلك لما حكم فقهاء الاماميه وعلى رأسهم الامام الخميني (رحمه الله) بصحة بل بوجوب الصلاة خلف امام جماعة المسجد الحرام عند اداء مراسم الحج فى مكه، مع الحث على حضور هذه الجماعة التى لا خوف فى عدم حضورها، وعلى نهجه حكم الامام الخامننى دام ظله بنفس الحكم. وسنبقى نعمل بهذا المنهج فى مواجهه التحديات والمنزلاقات التى قد تغرى الكثيرين بالتشتت والتشردم وزرع الخلافات، مع الحرص على تحويله إلى مبدأ متفق عليه بين الجميع، وصولاً إلى وثيقه تفصيليه تعالج الجزئيات فى الفكر والسلوك، واسلوب العلاقة بين المسلمين السنه والشيعة.

ومن معالم هذا المنهج تشجيع الحوار الاخوى العلمى الملتزم بأداب الاخوة الاسلاميه؛ لان الحوار عمليه من شأنها انضاج الامه وارتقاؤها إلى المستوى المطلوب، وتكريس الوحدة بين صفوفها، وتجسيد مظهر حضارى متقدم يعكس الصورة الايجابيه للامه الاسلاميه.

وقد وجدنا في الأفكار التي اثارها الاستاذ الدكتور محمد عماره على صفحات مجلة الوطن العربي، في عددها الصادر بتاريخ ١٥ / ١١ / ١٩٩٦م، مادة تتطلب الحوار والمناقشة، ولأجل اكتمال الصورة اكثر وجدنا ضرورة الرجوع إلى كتاب تيارات الفكر الاسلامي للدكتور عماره، الذي خصص فصلاً من فصوله للامامية الاثنى عشرية.

ولتيسير عملية الحوار عمدنا إلى فهرسة افكار الدكتور عماره وتصنيفها إلى خمسة محاور هي:

آل البيت بين التعصب والاعتدال:

قال الدكتور عماره في مجلة الوطن العربي: «الحب لآل البيت قاسم مشترك بين كل المسلمين، لكنه عند اهل السنة حب معتدل، يحب آل البيت ويتعاطف معهم، دون أن يتعصب لهم، ودون أن يتعصب ضد غيرهم». وإن «المصريين تعاطفوا معهم لانهم اضطهدوا، لكن دون أن يتحول هذا التعاطف إلى الغلو الذي يجعلهم معصومين، أو الذي يجعلهم يحتكرون الامامة والخلافة والسلطة دون الامة».

وهنا نسأل الدكتور عماره عن المعيار المعتمد لديه في الحكم بالتعصب أو الاعتدال؛ ذلك أن العقائد والنظريات تقاس بالأدلة والبراهين، فإذا استوفت ذلك كانت عقائد ونظريات ذات شأن علمي، سواء قبلت أو رفضت، وإن لم تكن قائمة على اسس استدلالية وبرهانية، أصبح تمسك اصحابها بها تعصباً وانغلاقاً. ولذا كان على الدكتور عماره أن يكون علمياً في الحكم على الشيعة بالغلو والتعصب، وأن يثبت عدم استناد الشيعة إلى أدلة وبراهين حينما اعتقدوا بعصمة آل البيت وامامتهم. وبما أنه لم يثبت ذلك، ولم يخض فيه، فإن حكمه على الشيعة بالتعصب والغلو لا يستند إلى اساس علمي.

والحقيقة أن الشيعة عندما اعتقدوا بعصمة الائمة وامامتهم، كان ذلك منهم صدوراً عن أدلة عقلية ونقلية كثيرة، بسطوها في كتبهم الكلامية بما لا مزيد عليه.

وتراث الرواد الاوائل كالشيخ المفيد والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والسيد المرتضى، أشبع هذه المسألة بحثاً وتنقيحاً، وبإمكان الباحث - بل من حقه - أن يخضع هذا التراث للمناقشة العلمية، فيقبل ما ادى الدليل إلى قبوله، ويرفض ما ادى الدليل إلى رفضه، ولكن ليس بإمكانه القول بأن عصمة آل البيت وامامتهم ناشئة عن الغلو والتعصب.

وإذا كانت المذاهب الاربعة قد اعتقدت حجية مذهب الصحابي، وادخلت في مفهوم الصحابي كل مسلم عايش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولو اياماً معدودات، وذلك في ضوء ادلة آمنت بها، فلماذا لا يحق للامامية أن يعتقدوا بعصمة آل البيت وامامتهم في ضوء ادلة ادت إلى ذلك؟

ولماذا يوصم هذا الاعتقاد بالغلو والتعصب، ولا يوصم القول بمذهب الصحابي بذلك؟

مع أن القولين متساوقان من الناحية العملية إلى حد ما؛ فالمذاهب الاربعة تعمل بمذهب الصحابي وتعتقد حجيتها، والامامية تعمل بمذهب الاثمة وتعتقد حجيتها، والفرق الوحيد هو أن المذاهب الاربعة عملت على اساس حجية سيرة الصحابي دون أن تسمى ذلك عصمة، لأنها لا تستطيع أن تثبتها، بينما قام المذهب الامامي باثبات عصمة الاثمة أولاً، وعمل بمذهبهم بعد ذلك، وهو سلوك يحمل مواصفات علمية أكثر من الاول، الذي جعل اقوال جماعة من الناس مصدراً من مصادر التشريع، دون أن يثبت لهم مزية تتناسب مع هذا الاعتبار. وأصبحت هذه الاقوال قوة تشريعية في مصاف الكتاب والسنة، دون اثبات سابق لتمتع هذه الاقوال بمكانة كافية تجعلها بهذه المثابة، وتسمح لها أن تكون بهذه الدرجة.

ولنا وقفة اخرى مع الدكتور عماره، وهي قوله: «الذي يجعلهم يحتكرون الامامة والخلافة والسلطة دون الامه». وليت الدكتور عماره تذكر أن المذاهب الاربعة اشترطت القرشية في الخليفة، وهذا يعني احتكار قریش للسلطة الاسلامية دون باقى الامه، التى إن شاءت الاختيار بين (الاحتكارين)، فمن الافضل لها أن تختار (احتكار) ائمة معدودين على احتكار قبيلة يتواصل نسلها جيلاً بعد جيل، (احتكار) اثني عشر اماماً دلت نصوص السنة النبوية عليهم، وأثبت التاريخ افضليتهم على من سواهم علماً وعملاً، على احتكار قبيلة لم تبلغ

هذه المثابة في احسن أحوالها، (احتكار) سماوى يمتد من الامام الاول إلى غيبة الامام الثانى عشر، مدة قرنين ونصف تنجز فيها الامّة دورتها الحضارية الاولى في ظل عناية سماوية مركّزة، فتكتسب بذلك قاعدة صلبة، وتدريباً كافياً يؤهلها لخوض الدورات اللاحقة عند غيبة المعصوم (عليه السلام) عنها. أن تختار هذا (الاحتكار) إذا صح أن نصفه بذلك على احتكار قبلى يتصادم مع مفاهيم الاسلام العالمية، ويكرّس العصبية.

ولذا فإن الدليل الذى اعتمدت عليه المذاهب الاربعة في اشتراط القرشية، وهو قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الاثمة من قريش، يعد دليلاً لصالح الامامية؛ لانه يخبر عن امامة الاثمة الاثنى عشر (عليهم السلام)، ويعجز عن اثبات حكم نوعى بإمامة قبلية متواصلة إلى نهاية التاريخ.

كما أن قول الدكتور عماره: إن «المصريين تعاطفوا معهم آل البيت لانهم اضطهدوا» هو الاخر يحتاج إلى توقف؛ لان الله فرض على المسلمين حب آل البيت. قال تعالى: (قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى)، فهذا الحب من فرائض الدين، وليس من خصوصية المظلومية.

نظرية الامامة:

قال الاستاذ عماره في المجلة المذكورة: «ليس هناك في الفقه ما يمثل نقطة خلاف جوهرية وأساسية بين السنة والشيعة» و «نحن عندنا في مصر نأخذ ببعض احكامه... والفتوى التى صدرت من المرحوم الامام الاكبر الشيخ شلتوت... كانت خاصة بالمذهب الجعفرى، وليست خاصة بنظرية الامامة عند الشيعة...» وإن «نقطة الخلاف الوحيدة بين السنة والشيعة هي قضية الامامة» وإن الشيعة «بدلاً من أن يقيسوا منصب الامامة كما صنع أهل السنة على الولاية والولاء، قاسوا منصب الامامة على النبوة والرسالة، فجعلوا الاثمة معصومين كما أن الرسل معصومون، وجعلوهم المرجع للشرعية دون الامّة، وجعلوهم هم الحجة دون الامّة» و «تعصب الشيعة لائمتهم جعلهم يشقون صف الامّة» و «قد زاد من تعقيد هذا الانقسام أنهم جعلوا الامامة اصلاً من اصول العقائد، وهذه قضية خطيرة... لان الامامة في نظر اهل السنة هي جزء من السياسة. واهل السنة جميعاً متفقون على أن الامامة والسياسة ليستا من امهات العقائد، وليستا من اصول العقائد، وليستا من اركان الاسلام، إنما هما

من الفروع، والخلاف حول الفروع معايير الخطأ والصواب، والنفع والضرر، بينما الخلاف في الاصول معايير الكفر والايمان» و «طالما أنهم وضعوا الامامة من اصول العقائد، فلا بد وأن يكفروا خصومهم» و «إذا شئتاً حلاً لهذه المشكلة فعلى الاثنى عشرية أن يصنعوا ما صنع الزيدية. الزيدية شيعة لكنهم لم يجعلوا الامامة اصلاً من اصول الاعتقاد، ومن هنا الخلاف. قالوا: الصحابة تأولوا فأخطأوا... اذن كل هذه الانشقاقات والشقاقات والخلافات الجذرية والعميقة هي ثمرة لجعلهم الامامة شأناً من شؤون السماء».

وقال في كتابه: «إن صبغ هذه الخلافات السياسية بصبغة الدين... هو السر في جعلها أى جعل نظرية الامامة الصخرة التي لازالت تتحطم عليها وحدة المسلمين، منذ تبلور الشيعة كفرقة وحتى هذا العصر الذي نعيش فيه»^(١) و «تلك هي عقائد الشيعة الاثنى عشرية في الامامة، فكر مرفوض ممن عداهم كان ولا يزال سبب انقسام امّة الاسلام الامر الذي يجعل انظار الحريصين على وحدة الامّة الاسلاميّة تتركز حول مبحث الامامة، على امل أن تطوير هذا المبحث من منطلق النظرة النقدية للتراث، وفي ضوء منطق العصر، ومصلحة الامّة كفيل بأن يجد تأويلاً يرضى عنه كل الفرقاء...»^(٢).

وهنا عدة نقاط متداخلة مع بعضها، وكلها تحتاج إلى تعليق وتهميش:

١ - إن مسألة فصل المذهب الفقهي عن منطلقاته النظرية الاساسية امر لا يمكن تصوره؛ فنظرية الامامة تشكل جذراً حيويّاً للفقهاء الجعفرى، وعلى اساس ذلك دخلت سنة الاثمة في اصول الفقه الامامى ضمن مفهوم السنة التي تعد المصدر الثانى للتشريع الاسلامى، والتي تعنون في اصول الفقه الامامى بعنوان (سنة المعصوم) لتشمل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والاثمة معاً. والفصل بين المذهب الجعفرى ونظرية الامامة يمكن تصوره في حدود الاخذ بمرويات الاثمة عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، باعتبارهم سلسلة رواة عدول عنه (صلى الله عليه وآله وسلم). ولكن مع ذلك لا يسمى هذا فصلاً بين الامرين؛ لان مرويات الاثمة لا علاقة لها بنظرية

(١ - ٢) تيارات الفكر الاسلامي: ٢٠٦ و ٢٢١.

الامامة. وهكذا تستحكم استحالة الفصل بينهما، خاصة وأن الفقه يفرز احكامه بصورة نتائج نهائية، وقد تكون هذه النتائج مستنبطة من ادلة متنوعة ومتسندة، وكثيراً ما يكون الدليل عليها - في الفقه الجعفرى - هو سنة الامام، فهل يصح فى مثل هذه الحالة التفكيك بين سنة الامام ونظرية الامامة؟

وليس الامر خاصاً بالمذهب الجعفرى، بل يعم كل مذهب آخر. وكذلك النظم الوضعية لا يمكننا الاخذ بسيقاتها القانونية ما لم نسلّم بالمبادئ الاولى التى انطلقت منها، وفى مقدمتها العلمانية. ونحن فى ذلك لا ندعو إلى تعميق الخلافات الفقهية، ولا نريد مصادرة المبادرات الايجابية على صعيد الوحدة الفقهية بين المسلمين، وإنما نريد أن نبحث عن اسس اكثر واقعية وعلمية لهذه الوحدة؛ لكى لا تكون هذه الوحدة شعاراً عاطفياً عابراً، وإنما منهجاً علمياً مستقراً.

٢ - إن كون الامامة مسألة فقهية ام عقائدية، من فروع الدين ام من اصوله، امر تخصصى محض، يناقش استدلالياً فى بحث سجالى كلامى أو فقهى، على الخلاف الدائر فيه بين الشيعة والسنة. ومن الضرورى لمن يريد الخوض فيه أن يستحضر ادلة الطرفين، وما قاله اعلام الفريقين، فينقح ويناقش ويعالج الاراء؛ حتى يخلص إلى النتيجة النهائية فى ضوء بيانات استدلالية كافية. لكننا وجدنا الدكتور عمارة يختار رأى المدرسة السنية، ويهاجم رأى المدرسة الامامية دون أن يكلف نفسه خوض غمار هذا البحث، ولا الاشارة إلى بعض جوانبه، كما هو النهج العلمى.

ويبدو أن الدكتور عمارة قد أحس بهذه المفارقة، فعطف فى لقائه الصحفى على القول إنه ناقش فى رسالته للدكتوراه «الاسلام وفلسفة الحكم» كل تلك الحجج والاراء. ولكن هل تحقق هذه الاحالة الغرض العلمى الذى لابد من توفيره للقارئ، ولو بالحد الأدنى فى مثل هذه المواطن؟

وبسبب تلك الاثارة المبتسرة اصبح لزوماً الاشارة إلى بعض ما يُستدل به لصالح رأى الامامية فى المسألة. من ذلك قوله تعالى: (اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) (٣)، فجعلت ولاية الامر من توابع الرسالة،

(٣) البقرة: ٣٠.

وصدر حكم بطاعتها معاً، وجعلت طاعتها معاً عدلاً لطاعة الله سبحانه وتعالى، ففهم من ذلك أن الامامة تقاس على مقام النبوة والرسالة، وتكون من لواحقه (٤).

ولم لا تقاس الامامة على النبوة بعد أن كانت وظيفتها من وجهة النظر الشيعة الاثنى عشرية امتداداً لوظيفته النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والقيام بكل ما كان يقوم به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع فارق انتفاء النبوة وانقطاع الوحي؟

وهل من الصحيح أن يقال إن وظيفة كهذه تتجانس مع وظائف الولاية، ولا تتجانس مع وظائف النبوة من زاوية حفظ الرسالة وبيانها وولاية المسلمين؟

ولعل المشكلة الاساسية أن الدكتور عمارة نظر إلى الامامة بمفهومها السني، الذي يجعلها منصبا تنفيذيا وادارياً، ولم ينظر إلى المفهوم الشيعي الذي يرى أنها امتداد للنبوة بعد انقطاع الوحي.

٣- ولو أن الدكتور عمارة اكتفى بالإشارة إلى الرأي الذي يختاره في المسألة، لكان الامر هيناً، لكنه حاول أن يحمل النظرية الشيعية تبعات الانشقاق في الامامة، ثم اسدى النصيحة للشيعة الاثنى عشرية بأن يختاروا ما اختارته الشيعة الزيدية، من القول بأن الامامة من الفروع لا الاصول.

ولا ندرى هل يلتزم الدكتور عمارة دائماً هذه الطريقة في معالجة الامور العلمية؟

فيحمل كل صاحب رأى مسؤولية مخالفة من يخالفه. ونحن الان نخالفه فيما يقول، فهل هو مستعد لتحمل مسؤولية مخالفتنا له؟ وهل هذا السلوك عرفي؟

وسياتى أن الدكتور عمارة من المنظرين للتعددية والداعين لها، فهل ينسجم هذا الموقف مع القول بالتعددية؟

(٤) لمزيد من التفصيل تلاحظ المصادر الكلامية، ومنها تعليقة السيد هاشم الحسيني الطهراني على شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي: ٦٧٣ - ٦٧٤.

إن حدوث الانشقاقات وتصدع جدار الوحدة الإسلامية، مسؤولية تقع على عاتق الذين لا يراعون حرمة الرسالة والامة. وقد اثبت التاريخ أن الامامية يمثلون طليعة الوحدة الإسلامية، وإذا استكثر البعض ذلك فضيق المجال لا يسمح لنا بتوثيق اكثر مما ذكر آنفاً، من أن التقيّة التي اتخذت سبباً للهجوم على التشيع ورمى الشيعة بالنفاق، قد لوحظ في مفهومها حفظ الوحدة الإسلامية، والحيلولة دون تصدع كيان يحمل شعار الاسلام واسمه، إلى جانب الحذر من بطش الظالمين. وهذا القدر من الاستشهاد يكفي المنصف، وعلى الذي يريد التفصيل مراجعة تاريخ الائمة وعلماء مدرسة اهل البيت(عليهم السلام)، منذ الامام علي(عليه السلام) وحتى السيد الخميني(رضي الله عنه).

ويبدو أن النقطة التي دفعت الدكتور عماره إلى تحميل نظرية الامامة مسؤولية الانشقاقات الحاصلة في الامة، هي ما اعتقده من أن عدّ الامامة من الاصول يؤدي بالشيعة إلى تكفير خصومهم، ف«طالما أنهم وضعوا الامامة من اصول العقائد فلا بد وأن يكفروا خصومهم»، «وإذا شئنا حلاً لهذه المشكلة فعلى الاثنى عشرية أن يصنعوا ما صنع الزيدية». ولا ادري من اين استمد الدكتور عماره هذه الحتمية؟ فهذه الرسائل العملية لفقهاءنا ومراجعنا القدماء والمحدثين، ليس فيها نص على كفر غير الشيعة. وكان اجدر به أن يتثبت في افكاره وتحليلاته قبل أن يسطرها على الورق، وينشرها في كتاب أو مجلة، خاصة وأنه يتحدث عن طائفة اسلامية كبيرة، ذات تراث وتاريخ وكيان سياسي يملأ سمع الدنيا وبصرها، وما أيسر أن يطلب مصدراً فقهياً من تراثها الفقهى، ليتأكد من صدق الحتمية التي تصورها! وكيف تُعقل هذه الحتمية وأعلام المذهب الامامى كانوا ولا زالوا، ينادون إلى الوحدة الإسلامية بكرة وعشياً؟

فهل تسمى الوحدة مع الكفار وحدة اسلامية؟

ولاجلاء الموقف اكثر لابد من القول: إن وجوب الامامة امر اجمعت عليه الامة الاسلامية قديماً وحديثاً، سوى بعض الشواذ الذين لا يعتدّ بخلافهم. وما وقع من الخلاف في امر الامامة كان في الخصوصيات، وفي الافراد الذين يستحقون او لا يستحقون الامامة. فلم يقع خلاف في اصل الامامة حتى يؤدي إلى التكفير، وانكار هذا الاصل يؤدي إلى الكفر، سواء جعلنا الامامة من الاصول أو الفروع؛ لانه إن كان من الاصول فإنكاره يخل

بالإيمان، ويؤدي إلى الكفر، وإن كان من الفروع فإنكاره إنكار لضروري من ضروريات الدين والشريعة، واجماع المسلمين قائم على أن إنكار الضروريات يؤدي إلى الكفر، وهذا منها، ولذا حكم الأزهر بكفر على عبد الرزاق حينما أنكر وجود نظام حكم في الإسلام.

فالتكفير لا ينشأ من إنكار الأصول فقط، فقد ينشأ من إنكار الضروريات التشريعية التي حظيت بوضوح مطلق واجماع إسلامي تام، كحرمة الربا، ووجوب الزكاة، ولزوم الإمامة في محيط المسلمين.

كما أن نصيحة الدكتور عماره للإمامية بأن يأخذوا بمقالة الزيدية، لا نجد لها مبرراً علمياً؛ فالدين يؤخذ بالأدلة والبراهين، ولا يؤخذ بالانتقاء والتلفيق والنصائح الوجدانية.

حكاية التبشير الشيعي

قال الدكتور محمد عماره في مجلة الوطن العربي: «يجب أن لا نجعل التناقضات الداخلية أعلى وأقوى من التناقضات الخارجية بيننا وبين اعداء هذه الأمة. هذه نظرتي لوحدة الأمة، لكن يقلقني أن يأتي الشيعة ليبشرونا بمذهبهم، ويزرعونه في قلب المجتمعات السنية، بنفس القدر الذي يقلقني أن يأتي نفر من أهل السنة ليزرع مذهب أهل السنة في المجتمعات الشيعية. لماذا؟ لأننا أمة في حاجة إلى وحدة المجتمع، فنحن نشكو من الخلل والتناقضات الطائفية التي تصاب بها بعض مجتمعاتنا... إذن ثقافة المجتمع ومذهب المجتمع تمثلان عنصراً أساسياً لوحدة الأمة، ولاطمئنان الأمة، ولنفي الطائفية والتدخل عن هذه المجتمعات... الشيعة يزرعون مذهب الإمامة والتشيع داخل مجتمعات سنية أنعم الله عليها بالوحدة المذهبية، فهم يخلخلون وحدة المذهب، ويصنعون القلق الطائفي..». «وإذا جاء الشيعة لزرع التشيع في المجتمع المصري أو في المجتمعات السنية بشكل عام، هم ينظرون نظرة قصيرة المدى ولا ينظرون لابتعد من أقدامهم، ويفرحون لأنهم يجندون بعض الشباب، لكنهم لا يدركون أن هذا يخلخل وحدة المذهب، وحدة الثقافة، وحدة الأمة». «لأنه إذا كان لدينا جهد دعوى، ولديهم جهد دعوى، لنذهب جميعاً إلى المجتمعات الوثنية وإلى غير المسلمين؛ لبذل الجهد لادخال

الناس في الاسلام». «علينا أن نحاور بالفكر، ولكن علينا أن نحذر من الاقتراب من خلخله الوحدة في المجتمعات السنية أو المجتمعات الشيعية».

«هذه رؤيتي لقضية الفكر الشيعي، وقضية الممارسات الرعناء التي يمارسها بعض الناس في المجتمعات السنية». «ما هو مبرر هذه الخديعة؟ هل هو حب آل البيت؟ إن كل السنة يحبون آل البيت».

وهنا عدة نقاط لابد من التوقف عندها:

١ - استعمل الاستاذ عمارة مصطلح التبشير و اضافته إلى الشيعة، وهو استعمال في غير محله؛ لان التبشير مفهوم مسيحي مستمد من فكرة البشارة بالمسيح المخلص، والدكتور عمارة اكثر ادراكاً من غيره لمكانة المصطلحات في العقائد والايديولوجيات، وخطورة استعارة مصطلح ما من عقيدة معينة واستعمالها في نطاق عقيدة اخرى، فمصطلح التبشير المستمد من فكرة مسيحية إذا استعاره المسلم واستخدمه في اغراضه الفكرية، أوحى للقارئ بأن تلك الفكرة المسيحية تمثل عنصراً مشتركاً بين الاسلام والمسيحية، وهو ايحاء كاذب ومضّر بالذهنية الاسلامية. وكذلك الامر في امثال (الديمقراطية الاسلامية) و (القومية الاسلامية).

٢ - إننا ننظر إلى الدكتور عمارة مفكراً مسلماً له نتاجاته الفكرية المتعددة والمعروفة، ولذا يتوقع منه أن يصون حريم الفكر من التحول الى آلة مسخرة لحل ازمة سياسية وقتية، يعاني منها نظام حكم معين وحاكم ما، فما اذاعته وسائل الاعلام المصرية من وجود نشاط ودعاية شيعية في مصر، يعبر عن ازمة سياسية عابرة تمر بها الحكومة المصرية، وإذا شاء المفكر أن يساهم في حل ازمة كهذه فليستخدم ادوات سياسية، ويصون ادوات الفكر عن الانزلاق في مثل هذه المنزلاقات، خاصة وأن الحكم المصري معروف بسياسة التحذير من الطائفية كلما مرّ بمأزق داخلي حاد، فهو يريد قمع الحل الاسلامي تحت ذريعة وجود أقباط في مصر يرفضون هذا الحل تارة، وتحت ذريعة وجود دعائية شيعية، بما يعني أن الحل الاسلامي يستبطن الصراع المذهبي، أو أنه سيؤدى إلى انتشار التشيع في مصر تارة أخرى.

٣- إننا مع الدكتور عمارة في ضرورة ادّخار الجهود والامكانيات لصالح الدعوة الإسلامية في المجتمعات غير الإسلامية، خاصة وأن استعدادات الانسان الحديث للدخول في الاسلام اصبحت بأفضل مستوى، ومعه أيضاً في ضرورة فتح باب الحوار الفكري الاخوى داخل المجتمع الاسلامى.

إننا ننتظر من الدكتور عمارة باعتباره مفكراً مسلماً أن يكون مع الفكر والحوار الفكري، وضد من يريدون قمعه، خاصة وأنه يدعو للتعددية، وينظر لها إلى حدود اوسع مما يقبل به الاسلام، فقد قال لمجلة الوطن العربى ما نصه: «الامة الإسلامية تقوم على التعددية فى الملل، بمعنى أنه فى معية الامة هناك نصارى وهناك مسلمون، والمسلمون بعد الفتح ادخلوا البوذيين وادخلوا المجوس ضمن اهل الكتاب... إذن فى اطار الامة يكون هناك جزء من هذه الامة يقول إن الله ثالث ثلاثة، وجزء يقول إن عزيز ابن الله. اذن حتى التكفير والكفر لا يخرج هؤلاء الفرقاء من اطار الامة».

ولا ندرى لماذا يسوق الدكتور عمارة كلامه فى مفاهيم حساسة دون دليل أو برهان؟

ومن أى مصدر استوحى مفهومه هذا عن الامة؟

فحينما يقول القرآن (كنتم خير امة اخرجت للناس) فهل المقصود بالامة هنا المجموع البشرى المكون من المسلمين وغيرهم؟ وحينما يورد الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فى عشرات الاحاديث كلمة «أمتى» ومنها الحديث المعروف «رفع عن امتى الخطأ».. وغيره، فهل غرضه من الامة هنا ما يعم المسلمين وغيرهم؟

إن من المقطوع به لدى علماء المسلمين قديماً وحديثاً أن الامة الإسلامية هى الجماعة الناطقة بالشهادتين، ويعبر عنها بأهل القبلة احياناً، واهل الكتاب لا يدخلون فى عنوان الامة، بل هم جماعة تعيش فى ذمة الامة الإسلامية، اى تحت حمايتها، فهم من رعايا الدولة الإسلامية وليسوا جزءاً من الامة الإسلامية؛ بدليل أنهم إذا اخلوا بشرائط الذمة ألزموا بها وقوتلوا عليها، فهل يصدق مفهوم الامة الإسلامية على فئة بهذا الوصف؟

والمحاولة التي قام بها في دراسة له منشورة في مجلة الجامعة الإسلامية، لاثبات التعددية الدينية في الأمة الإسلامية من خلال صحيفة المدينة، محاولة غير موفقة؛ فقد كتب معلقاً على بعض بنود الصحيفة الشريفة: «ففي إطار جامع الأمة الواحدة والدولة الواحدة ذات المرجعية الواحدة، تعددت الانتماءات القبلية والدينية، ونظم الدستور علاقات فرقاء هذا الانتماء» (٥).

مع أن النصوص التي ذكرها لا تساعد على هذا الاستدلال؛ فقد كتب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في صحيفة المدينة: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد بن عبد الله النبي نبي المسلمين والمؤمنين من قريش ويثرب، ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس»، فهل هناك عبارة أوضح من هذه دلالة على أن مفهوم الأمة الإسلامية خاص بالمسلمين «من دون الناس». أما قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك: «وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم» (٦)، فهو يؤكد ذلك المعنى ولا ينفيه؛ لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصف اليهود بأنهم أمة مع المؤمنين، أي إنهم أمة غير أمة المؤمنين، ومعنى المعية الزمة، أي إن اليهود يعيشون تحت حماية الدولة الإسلامية، وبجوار أمة المسلمين، ولا يدخلون في عنوان هذه الأمة؛ لأنها خاصة بالمسلمين «من دون الناس» على حد تعبير الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

فلنا أن نقول: إن الانتماءات الدينية تعددت في إطار الدولة الإسلامية؛ لأن من وظيفة الدولة أن ترعى شؤون المسلمين ومن بدمتهم، كما هي وظيفة الأب أن يرعى شؤون الأسرة ومن يدخل ضيفاً عليها، لكن ذلك لا يعني أن الضيف يدخل في مفهوم الأسرة أو يعد عضواً فيها. إن الأمة الإسلامية لا تقوم على التعددية، وإنما تقوم على التوحيد، وإن ادخال أهل الكتاب في مفهوم الأمة الإسلامية يؤدي إلى حذف الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤسساً لها، وحينئذ من سيكون المؤسس للأمة الجديدة المكونة من مسلم ومسيحي ويهودى وبوذى ومجوسى؟ إن التاريخ لم يعرف أمة كهذه منذ وجد وحتى الآن.

(٥) مجلة الجامعة الإسلامية، السنة الأولى، العدد الثاني: ٧٢.

(٦) هاشم معروف الحسني، سيرة المصطفى: ٢٧٧ - ٢٧٩.

ولكننا نعود وننقض على الدكتور عماره ونقول: إذا كانت التعددية بهذه السعة، فلماذا هذا التضايق من التشيع.

حب آل البيت والثورية والاجتهاد قوام التشيع:

وفى سياق التضايق من تشيع بعض المصريين، حاول الدكتور عماره أن يردّ على ما تصوره اسباباً مزعومة يتمسك بها هؤلاء المتشيعين لاهل بيت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لتبرير سلوكهم، فقال لمجلة الوطن العربى: «وأنا أقول: إن بعض هؤلاء الشباب الذين يخدعون. ما هو مبرر هذه الخديعة؟ هل هو حب آل البيت؟ إن كل السنة يحبون آل البيت». «يزعمون خاصة بعد الثورة الايرانية أن الفكر الشيعى فكر ثورى، وأنه تصدى لنظم الجور والطغيان على مر التاريخ. واقول: إن هذا وهم، وهذه اكذوبة. الشيعة منذ جعفر الصادق امتنعوا عن الثورة... ورضوا بكل النظم الحاكمة... والذى كان يعارض ويناقش و... الخ، كان من علماء السنة... ففكر الاثنى عشرية ظل بعيداً عن السياسة إلى أن جاء الشيرازى سنة ١٩٢٠، ثم جاء بعد ذلك الخمينى... فأين هى الثورية؟» «ثم قضية أن المذهب الشيعى فيه باب الاجتهاد مفتوح على عكس مذهب السنة، اقول: إن هذا وهم... صحيح لم يغلق باب الاجتهاد، لكن اين هو الاجتهاد؟ إذا كنت امام عقل يقول إن الامام قد غاب، وإنه حى، وإنه مازال منتظراً، وإننا ننتظره، فأين هو العقل والعقلانية؟ واين هو الاجتهاد؟ ... وهل الاجتهاد فى فروع الفقه هو الاجتهاد؟ ... إنما القضية التى فى الاجتهاد هى الاجتهاد فى المعاملات وفى الامور العامة وفى شؤون الدولة... هذا هو الذى تعطل فيه الاجتهاد، والشيعة ليس لهم فى هذا الميدان اجتهاد... الشيعة صفر فى هذا الميدان لانهم يعلقون الفكر فيه على الامام الغائب... أما فى فروع الفقه فأين هى الاجتهادات المتميزة فى المذهب الجعفرى، التى ليس لها نظائر فى مذاهب السنة الاربعة؟...». «ابن تيمية كان يحمل السيف ويجاهد ويكتب فى السياسة والشرعية... من الذى يقول إن هذا غير مجتهد، وإن هذا لا يشتغل بالسياسة، وإن هذا غير ثورى؟».

وهكذا وقع هؤلاء الشباب فى خديعة مكونة من ثلاثة اوهام هى - فى تصور الاستاذ عماره - عبارة عن:

١ - توهم اختصاص الشيعة بحب آل البيت.

٢ - توهم الثورية فى التشيع.

٣ - توهم الاجتهاد فى التشيع.

أما الوهم الاول فنحن لا ننكر أن عامه المسلمين يحبون آل البيت (عليهم السلام)، وأن اظهار العاطفه ازاء البيت النبوى ليس خصيصه شيعه، ولكننا نميز بين نوعين من الحب، الاول يقتصر على اظهار العاطفه، والثانى يتجاوز ذلك إلى ترتيب الاثار والمواقف، فيقف إلى جانب البيت النبوى عندما يُضطهد، ويتبرأ ممن يعتدى عليه، ويرعى مكانه آل البيت المعنويه. النوع الاول هو النوع العام بين المسلمين، والنوع الثانى هو الذى تختص الشيعة به ويحقق الحب بمعناه التام.

ومن الواضح أن القرآن حينما يطالب بموده أهل البيت: (قل لا أسألكم عليه اجراً إلا الموده فى القربى) فإنه لا يقصد اظهار العاطفه فقط. ولذا يتبرأ الشيعة من الامويين والعباسيين لانهم ظلموا آل البيت، بينما لا يقف باقى المسلمين هذا الموقف. الشيعة يحفظون مكان الصداره لآل البيت بما هم امتداد للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فى سنته الشريفة، وفى ولايته على المسلمين، وغيرهم لا يرون ذلك ولا يلتزمون بلوازمه.

فالوهم الاول ليس وهماً كما يقول الدكتور عماره أما الوهم الثانى، فإن من مبادئ التشيع الاساسيه مناهضه السلطان الجائر، ونحن لا ننكر وجود علماء من المذاهب الاربعه كان لهم قسط وافر من الجهاد، ولكننا نشير إلى وجود تركه فقهيه فى هذه المذاهب تبرر للظالم افعاله، وترى لزوم السكوت عنه، وتروى فى توجيه ذلك روايات عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ما أنزل الله بها من سلطان.

وهذه التركه ليست نظيراً لمبدأ التقيه المقرر فى المذهب الجعفرى؛ لان التقيه لا تساوى المهادنه، وهى تعنى الاحتفاظ بالمخزون الثورى للحظه المناسبه، بينما تؤدى المهادنه إلى هدر هذا المخزون المكون من مشاعر السخط ضد الظالم وافعاله، وترى عدم مشروعيتها. التقيه تعنى تكريس رفض الظلم اكثر؛ لانها تأجيل للمواجهه المسلحه بانتظار الفرصه المواتيه، ومن ثم فهى تعمل لمواصله روحية الفعل الثورى مدّه اطول. فهناك روحية

ثورية تتحين الفرص لانجاز الفعل الثورى فى الوقت الذى تراه مناسباً، وهذا يعنى إشاعة روحية الثورة وحفظ المخزون الثورى. فالتقية ثورة بالقوة تنتظر الفرصة المناسبة للتحويل إلى ثورة بالفعل.

وهكذا فالتقية معلم من معالم ثورية التشيع، ولو لم يكن التشيع ثورياً دائماً بهذا المعنى أو ذاك من معانى الثورية، فلماذا يتعرض أئمة أهل البيت (عليهم السلام) إلى القتل والسجن والاقامة الجبرية ويسقون السم واحداً بعد الآخر؟

ولماذا يقتل كل من ينتسب إلى على بن ابي طالب (عليه السلام)، أو يتشيع له، ومراجعة تاريخية أمينة لما عرف بمقاتل الطالبين كافية لاثبات ذلك.

كما أن علماء الشيعة لم يعرف عنهم السير فى ركاب الحكام والسلاطين، وهذا لا يعنى عدم وجود علاقة بين الطرفين احياناً وفق مقتضيات المصلحة الاسلامية العليا، ففي زمن الدولتين الصفوية والقاجارية كانت هناك علائق بين العلماء والحكام، ولكنها ليست قائمة على اساس تبرير افعال الظالمين والسير فى ركابهم، وإنما قائمة على اساس تابعة الحكام للعلماء، وتحاشى الاصطدام معهم، والاستعداد لتنفيذ طلباتهم. فكان العلماء قوة مؤثرة يخشاها الحاكم ويعمل لارضائها، ولم يكونوا من نوع وعاظ السلاطين. وبمجرد أن خرج الحاكم عن اشارة العلماء، وقرر اعطاء امتيازات اقتصادية لشركة انجليزية فى ايران، وجدنا الميرزا السيد محمد حسن الشيرازى يقرر بدون تردد اعلان الثورة ضده، فكانت ثورة التباك التى كانت ولا زالت من اعاجيب التاريخ، فأرغم الشاه على الغاء ذلك القرار، والتنازل لرأى المرجعية الدينية. وعندما أحست المرجعية الدينية بضرورة احداث تغيير فى بنية النظام السياسى، بحيث يكون دستورياً قائماً على الشورى، خاضت من اجل ذلك ثورة الدستور، وايدت الحركة الدستورية التركية. وعندما وقعت ليبيا تحت الاحتلال الايطالى اصدرت المرجعية فتوى بالجهاد من اجل تحريرها. وعندما قامت الحرب العالمية الثانية واحتل الانجليز العراق، افتى العلماء بالجهاد وحملوا البنادق فى مقدمة الجبهات، وتناسوا اساءة الدولة العثمانية لهم، وسوابقها القديمة فى الافتاء بقتل الشيعة واستباحة دمائهم ونسائهم، فوقفوا إلى جانب الدولة العثمانية ضد الغزو الكافر. وفى عام ١٩٢٠م كروا إلى الثورة والجهاد ضد الانجليز مرة ثانية، كما قاوموا انظمة الحكم العميلة العلمانية، حتى اسفرت

المقاومة أخيراً عن قيام الثورة الإسلامية في إيران وتأسيس الجمهورية الإسلامية. فهل يصح أن نقول إن الشيعة منذ جعفر الصادق امتنعوا عن الثورة، ورضوا بكل النظم الحاكمة إلى أن جاء الشيرازي سنة ١٩٢٠م وبعده الخميني؟ وإن ثورية التشيع وهم؟

إن التشيع يستمد الثورية من جملة خصائص كامنة فيه، وهي:

١ - ثورة الامام الحسين (عليه السلام) التي يستلهمها الشيعة نوعاً من التربية، من خلال اقامة الشعائر والمراسم الحسينية سنوياً، بل من خلال ذكر الحسين (عليه السلام) عند كل مصيبة ومأساة تحل بالمسلمين.

٢ - الارتباط الروحي بثورة الامام المهدي (عليه السلام) العالمية الموعودة، واعداد النفس لتكون من جنده.

٣ - الانفصال عن الظالمين وعدم السير في ركابهم، وتكريس ذلك من خلال مبدأ التولي والتبرؤ، تولى آل البيت (عليهم السلام) والتبرؤ من اعدائهم.

٤ - التقية التي تعمل على اختزان الثورة وحفظها في كوامن النفوس.

٥ - استشهاد الاثمة واحداً بعد آخر، وتأريخهم الجهادي الذي لم يسمح بوفاء طبيعية لاحد منهم بصورة كرس قدسية الشهادة، وجعلتها نوعاً من التربية على الجهاد والتحدى.

أما الوهم الثالث، فالذي يفهم من كلام الدكتور عمارة أن الفقه الشيعي صفر في مجال الحكم والدولة؛ لان فكرة الامام الغائب عطلت هذا المجال، وأنه يخلو من الامتياز في مستواه الفردي، وهذا يعني أن الاجتهاد الشيعي اسم بلا مسمى.

هذه خلاصة رؤية الدكتور عمارة للاجتهاد الشيعي الذي اعتبره وهماً ثالثاً، والحقيقة أن الفقه السياسي الاسلامي بكلا شقيه السني والشيعي، قد عانى من ازمة حقيقية، ازمة الفقه السني أنه صاغ نظرياته في حقل الدولة والخلافة في ضوء الواقع الذي كان قائماً في القرن الهجري الثاني وما بعده. ومن معالم هذه الازمة اعطاء

الشرعية لما سُمى بـ «امامه التغلب»، و«لولاية العهد»، وللبيعه المتحققه بمبايعه ثلاثة اشخاص. فهذه العناوين دخلت الفقه السياسى السنى بدون دليل من كتاب أو سنه، بل اعتبرت وقائع الحكم الاموى والعباسى بمثابة الدليل عليها، بل إن بعضها جاء مصادره لما اعتبر فى الفقه السنى قاعدة اساسيه مستمدة من القرآن العزيز.

فإذا جازت ولاية العهد فما أيسر أن يجد ولى العهد المبايعين له لتكون خلافته شرعية بعد وفاة ابيه؟ وهل يعجز يزيد بن معاوية عن تحصيل ثلاثة مبايعين لتكون خلافته شرعية؟ وفى ذلك تغيب للشورى ولدور أهل الحل والعقد من الامه.

وأزمه الفقه الامامى تتمثل فى أن تمادى عصور الظلم والاضطهاد، جعلت الفقيه الامامى ينظر إلى الفقه السياسى أنه فقه لا ميدان له، ولا ابتلاء به. ولذا نشط فقه المقاومة والتقيه، وغاب فقه الدولة والحكم وهذا لا يعنى عدم وجود اصول للفقه السياسى ولفقه الحكم والدولة فى سنه أهل البيت (عليهم السلام). فالمسؤوليه لا تقع على عاتق فكرة الامام الغائب، وإنما على عاتق ازمنه الجور والطغيان. ومع ذلك ينبغى التنبيه إلى أن كتمان فقه الدولة فى المدرسة الاماميه، لا يعنى انعدام امكانيه الظهور فى اللحظه المناسبه، وعندما يكون الامر مطلوباً، بل إن هذه الامكانيه موجوده، وبإمكان الفقيه الامامى فى اللحظه التاريخيه المناسبه أن يستنبط النظرية المطلوبه فى الحكم والدولة. ومثالاً على ذلك نجد أن فكرة نيابه المجتهد عن المعصوم فكرة مبثوثة فى نصوص الائمه (عليهم السلام)، والمتون الفقهيه القديمه. وعندما اتيح للشيعة أن يتنسموا قدراً من الحرية، ويمارسوا نوعاً من النفوذ فى الدولة، تبلورت هذه الفكرة اكثر، واخذت تشغل حيزاً ملموساً فى الواقع السياسى، واخذت تظهر نواه لنظرية شيعيه فى الحكم والدولة، وذلك فى زمن المحقق الكركى، الذى اعترف له الشاه طهماسب بحقه فى الحكم، وأنه - اى الشاه - يستمد الشرعيه منه. وبعد ذلك ظهر مبدأ ولاية الفقيه العامه على يد الشيخ احمد النراقى. وإبان الحركة الدستوريه وضع الشيخ محمد حسين النائينى كتابه الشهير «تنبيه الامه وتنزيه المله»، لاثبات مشروعيه هذه الحركة. ومطلوبه الحكم الدستورى الشورى انطلاقاً من فكرة ولاية الفقيه، التى بلغت اعلى مراحل تطورها على يد الامام الخمينى (رضى الله عنه).

وهكذا فإن فكرة الامام الغائب لا تشكل إلغاءً لفقه الدولة، وإن الفقه الامامى ليس صفرًا فى هذا الميدان كما يقول الدكتور عماره، بل إن هذه الفكرة تعد الاساس لمعالجة قضايا الحكم والدولة.

أما مسألة الامتيازات على صعيد الفقه الفردى الشيعى، فتلك مسألة تخصصية لابد من بحثها والاستشهاد لها فى مجال خاص وكاف لها، ولكننا نذكر بما قاله اقبال اللاهورى من أن الاجتهاد هو القوة المحركة للإسلام، فانفتاح باب الاجتهاد يعنى اخضاع الفقه لعملية تمحيص فكرى مستمرة، من شأنها ايجاد معالجات خلافة للمستجدات، وإنماء حركة الفكر داخل المجتمع، وهذا بحد ذاته امتياز كبير تحظى به المدرسة الامامية. ومما لا شك فيه أن التراث الفقهي والاصولى - اصول الفقه - للمدرسة الامامية اوسع بكثير من تراث المذاهب الاربعه، وأن جامعتى النجف وقم اصحبتا خلال القرنين الماضى والحالى موقعاً فكرياً متقدماً، لا تستطيع المراكز العلمية الاخرى فى العالم الاسلامى مظاهتهما فى حقل الفقه والاصول، ومستوى الرواد الذين نبغوا فى هذين العلمين. وما ذلك إلا من بركات انفتاح باب الاجتهاد فى المدرسة الامامية.

وهكذا فإن حب آل البيت والثورية والاجتهاد خصائص حقيقية فى التشيع، وليست اوهاماً كما يقول الدكتور عماره.

ونشير اخيراً إلى أن كلمات الدكتور عماره قد تناقضت بخصوص الاجتهاد والثورية فى التشيع، فما سمعناه كانت كلماته فى مجلة الوطن العربى، أما فى كتابه «تيارات الفكر الاسلامى» فقد كتب يقول: «... والعقلانية واحدة من القسّمات التى تتجلى للناظر فى تراث الشيعة الفكرى، وذلك إذا استثنينا تراثهم فى الامامة وما يتعلق بها، فهم فى الامامة كما قدمنا قد غدوا أسرى لنصوص وتفسيرات لنصوص تعبدوا بها، ونحو العقول جانباً امام هذه النصوص... أما فى غير الامامة وما يتعلق بها فإن تراثهم صفحة من صفحات الفكر الاسلامى المشرقة بنور العقل، والمزدانة بسلطانه» (٧). «ذلك أن الشيعة الذين شربوا كاس الاضطهاد الاموى حتى ثمالته، قد بلغ بهم الاضطهاد إلى الحد الذى كفروا فيه بهذه السلطة البشرية الاموية. وبعد أن تكررت ثوراتهم

(٧) تيارات الفكر الاسلامى: ٢١٧.

وانتفاضاتهم وتمرداتهم الفاشلة، وجرت عليهم المزيد من الاضطهاد، عادوا إلى الذات فانكفأوا عليها...»(٨).
«والذين يعرفون ما تعرضت له الشيعة على مرّ التاريخ الاسلامي من محن واضطهادات بلغت حد المأساة، لا
يمكن أن يتصوروا بقاء التشيع رغم هذا الاضطهاد، إلا مع احتمال الشيعة بهذه التقيّة»(٩).

فللشيعة تراث مشرق بالعقل، وثورات وانتفاضات وتمردات، فلماذا الكلام الاول اذن؟ وهل كان من مقتضى
الفكر أم السياسة؟

تعميم النموذج الاسلامي في ايران:

قال الدكتور عمارة في مجلة الوطن العربي: «أنا اتصور أن الناس في ايران، سواء كانوا من اهل الحوزات
العلمية أو من اهل السياسة، لا يمكن أن يتصوروا أن النموذج الايراني في ولاية الفقيه صالح للتعميم في العالم
السني، وإلا نكون امام موقف ساذج... لان هذا بعد مذهبي». «أنا قرأت دستور الثورة الايرانية عندما يتحدث
عن المذهب الجعفري، فهو المذهب الرسمي في ايران، وإن ولاية الفقيه هي الموقف الدستوري والفقه في
ايران، وإن كل مواد الدستور يمكن تعديلها إلا هذه المواد ... فكيف يكون مقبولا من السنة الذين يتصورون
امكانية تصدير وتعميم هذا النموذج... إن ايران شرط حمايتها في مواجهة التحديات التي تواجهها من الغرب
الاستعماري أن تكون في حضن الامّة الاسلامية، وشرط قبولها في حضن الامّة الاسلامية الا تكون مصدر خطر
مذهبياً على بقية الامّة الاسلامية...».

وفي كتابه «تيارات الفكر الاسلامي» يقول بعد أن يذكر المادة الخاصة بالمذهب الجعفري من الدستور
الاسلامي في ايران، ما نصه: «أما المذاهب الاسلامية الاخرى فإنه يقرر لها الحرية في العبادة والاحوال
الشخصية وفق فقهها، مثلها في ذلك مثل الاقليات الدينية غير الاسلامية من زرادشت ويهود ومسيحيين». «ثم
لاحت في الممارسة بوادر تنبئ عن الانحياز، ليس فقط للفكر الاثني عشري دون غيره من فكر المذاهب

(٨) المصدر السابق: ٢٠٦.

(٩) المصدر السابق: ٢١٩.

الاسلامية الاخرى، وإنما أيضاً للعنصر الفارسي دون الاقليات القومية الايرانية الاخرى، حتى يحق للمرء أن يتساءل أهى الثورة الاسلامية فى ايران، أم إنها الثورة الشيعية الفارسية الاسلامية فى ايران؟».

وفى سياق الاعتراض على ولاية الفقيه يقول: «... هذا فضلاً عما تؤدى إليه حكومة الفقهاء الدينية التى تسلب الامة حقها فى الحكم والتقنين والسلطة والسيادة... فكأنها لم تتمرد ولم تثر ولم تقدم غالى التضحيات، الا لتستبدل الفاشية الدينية بالفاشية البشرية الشاهنشاهية». «فهل هذا السبيل سبيل حكومة الفقهاء الدينية، هو الذى يقترب بنا من تحقيق وتطبيق الاسلام الثورى والمجاهد؟ أم حكومة الشعب التى تحكم به وله نيابة عنه، والتى لا تقيم فاشية مستبدّة تحت ستار من قداسة الدين؟».

«إن نقد السلطة الدينية بمقاييس اصحابها كفر أو حرام؛ لانه خطيئة دينية وجرم فى حق الله، والشيعية يقولون إن الراد على الفقيه راد على الله، اما نقد السلطة المدنية الاسلامية فهو امر مشروع يأتى فى اطار الخطأ والصواب والنافع والضار» (١٠).

ويمكننا أن نستخلص من مجموع هذه الاقوال اربع نقاط اساسية تستحق التأمل والمناقشة وهى:

١ - إن الذى يدعى اليه المسلمون هو ضرورة اقامة حكومات اسلامية قائمة على اساس الكتاب والسنة، ونابعة من ضمير الامة، ومستقلة عن ارادة الاجنبى.

والشئ المهم فى هذه المسألة هو ضرورة الوصول إلى نموذج فقهي ودستورى فى الحكم والدولة، يستقطب اعلى حد ممكن من اتفاق المسلمين، ويستبعد اعلى حد ممكن من خلافاتهم. وإذا ما طالعنا فقه المذاهب الاربعة وجدناها تشترط فى ولى الامر شروطاً، وتعد منها العلم، ثم تختلف فى هذا الشرط بين من يوصله إلى حد الاجتهاد فيشترط فى الخليفة أن يكون مجتهداً، ومن يكتفى بما دون ذلك، والاكثر على اشتراط الاجتهاد، وبه قال الماوردى فى الاحكام السلطانية، والايجى فى المواقف، والشريف الجرجاني فى شرحه على

(١٠) تيارات الفكر الاسلامي: ٢٣٨ و ٢٤٤.

المواقف، وامام الحرمين الجوينى فى الارشاد، والفلتشنوى فى مآثر الاناقه فى معالم الخلافه، وفى كتاب الفقه على المذاهب الاربعه نقرأ أن الائمه اتفقوا على شروط فى ولى الامر، وعد السابع منها أن يكون عالماً مجتهداً، يعرف الاحكام ويتفقه فى الدين، فيعلم الناس ولا يحتاج إلى استفتاء غيره(١١).

ومعلوم أن الاجتهاد درجه اكيدة من العلم، فالأخذ به يحقق اتفاق المذاهب الاربعه عليه؛ لان من يشترط الاقل يقبل بالاكثر. وإذا ضمنا إلى ذلك شرط البيعه، أصبحت النتيجة عبارة عن شرعية حكومه المجتهد المنتخب من قبل الامه، وهى جوهر فكره الدستور الاسلامى فى ايران عن ولاية الفقيه. حيث إن الدستور لم يعطِ الولاية لكل فقيه، وإنما اعطاها للفقيه المنتخب من قبل مجلس الخبراء. وبهذا البيان تتضح صلاحية فكره ولاية الفقيه للتعميم. وهو يعنى امكانية ايجاد وحدة دستورية فى العالم الاسلامى، بحيث يكون الفقيه - ضمن سياقات كل المذاهب الاسلاميه - هو الحاكم فى بلده وفى نطاق المذهب السائد فى ذلك البلد.

٢ - أما اعتبار المذهب الجعفرى هو المذهب الرسمى للدولة الاسلاميه فى ايران، فهذا الموقف يعتبر طبيعياً ومقبولاً من قبل الجميع؛ فلو اقيمت دولة اسلاميه فى مصر، لما وجد بين الشيعة من يتوقع ألا تكون هذه الدولة سنية المذهب؛ لان الوحدة الاسلاميه لا تعنى الغاء المذاهب، وإنما تعنى اقرار العناصر الاخوى والغاء التنافر فيما بينها فى نطاق الامه الاسلاميه الواحدة.

ولا يكاد يفهم لدعوة الدكتور عماره ايران أن تكون فى حضن الامه، وألا تكون خطراً مذهبياً على باقى الامه، لا يكاد يفهم لهذه الدعوة معنى؛ فإن الجمهوريه الاسلاميه لم تنفصل يوماً عن الامه الاسلاميه حتى تدعى بهذه الدعوة. وإذا كان معنى الخطر المذهبى هو زرع التشيع فى بلدان سنية، فقد تقدم الكلام عن ذلك آنفاً، وليس هناك من يستطيع أن يثبت قيام الجمهوريه الاسلاميه بممارسه من هذا القبيل. وقد كان الشيعة ولازالوا فى بلدان عديدة من العالم الاسلامى ضحية الخطر المذهبى، ومع ذلك لم يتخلوا عن مبدأ الاخوه الاسلاميه مع غيرهم.

ومن الغريب أن يقرن الدكتور عمارة المذاهب السنية في إيران بالاقليات غير الاسلامية هناك، وكأن الدستور الاسلامي في إيران قد جعلهما على حد سواء؛ فإن مبدأ الاقلية والاكثرية مبدأ يحكم المذاهب كما يحكم الشعوب والجماعات، فإذا كان من الطبيعي ان تسير الدولة بمذهب الاكثرية، فمن الطبيعي أيضاً أن تكون المذاهب الاخرى شأنها داخلياً خاصاً باتباعها، ولا يمتد إلى واقع الدولة.

وهذا الاعتبار القانوني لا يعنى أن السني والزرادشتي يتساويان في المكانة المعنوية؛ لان الاسلام يعلو ولا يعلو عليه.

٣ - أما الانحياز للعنصر الفارسي، فإن التجربة الاسلامية في إيران طيلة عمرها المبارك لم تسجل حالة واحدة تشهد لهذا الادعاء. وليت الدكتور عمارة استشهد له بوقائع معينة حتى يكون قابلاً للبحث والمناقشة. والشئ الذي يشهد به شهود العيان أن التجربة لم تستبعد شخصية مؤهلة لمسؤولية معينة في الدولة؛ بسبب انتمائها القومي غير الفارسي؛ بل إن كثيراً من رموز التجربة وقياداتها لا ينتمون إلى القومية الفارسية، بل ينتمون إلى قومية اخرى كالتركية.

٤ - سجل الدكتور عمارة اعتراضه على اصل الحكومة الدينية، ويعنى بها تلك التي يقودها الفقهاء والعلماء، وهو اعتراض لا يخص الشيعة؛ لما اتضح سابقاً من أن جمهور فقهاء السنة على اشتراط الاجتهاد في ولي الامر. ولا ندرى بأي مذهب يعمل الدكتور عمارة بعد هذا الاعتراض؟ وأي مذهب يقبل من الدكتور عمارة أن يصف حكومة الفقهاء بأنها تسلب حق الامة في الحكم والتقنين والسلطة والسيادة؟ وكأن الفقهاء ليسوا من

الامه، أو كأن أحداً لم يشترط البيعة وانتخاب الامه فى نفوذ سلطه الفقيه؟ وأى مذهب يقبل من الدكتور عماره أن يصف حكومه المجتهد المنتخب من قبل الامه بأنها فاشيه دينيه؟ فهل كانت حكومه الشيخين فاشيه دينيه؟ ونحن لا نقصد بالفقهاء أولئك الذين يرتدون الارديه الدينيه الخاصه، وإنما نقصد ذلك الخط الفكرى المتميز بالاصاله، والتمسك بالكتاب والسنة، فإذا نُحى هؤلاء عن السلطه فمن الذى سيؤتمن عليها وعلى مستقبلها بعدهم؟ وما هو مفهوم حكومه «الشعب التى تحكم به وله ونيابه عنه» والتى لا تقيم فاشيه مستبده تحت ستار من قداسه الدين؟ إن هذا الكلام تفوح منه رائحه العلمانيه، وإذا كان الامر كذلك فلماذا الكلام عن الاسلام والمذاهب الاسلاميه؟ ومن الذى قال: «إن نقد السلطه الدينيه بمقاييس اصحابها كفر أو حرام»؟

هل هناك مصدر اسلامى ذكر ذلك؟ إن الحرام هو رفض الشريعه الاسلاميه والاخذ بغيرها، والكفر هو انكار الضروريات الدينيه. اما سياسه الدوله وسلوك الحاكم فمن حق كل فرد فى الامه أن يناقش فيه فى نطاق الهدفيه والمصلحه والوحده الاسلاميه. وفى الماده السابعة بعد المئه من دستور الجمهوريه الاسلاميه، نقرأ أن الولي الفقيه فرد من افراد الامه، يجرى عليه القانون كما يجرى على باقى افراد الامه، وذلك خلافاً لداير كثير من النظم الوضعيه، التى تنص على أن الملك أو رئيس الجمهوريه ذات مصونه لا تُمس. وما قاله الدكتور عماره من أن الشيعة تقول إن الراد على الفقيه راد على الله صحيح، ولكن لا علاقته له بالدوله؛ لان الفقيه باعتباره متخصصاً بالشريعه الاسلاميه يكشف عن حكم الله فى الوقائع؛ فإذا لم يقبل المقلد منه فهو لم يقبل حكم الله، وبهذا كان راداً على الله. والقضاء من وظائف الفقيه، فإذا قضى فى خصومه طبقاً لحكم الشرع ولم يقبل المتخاصمان به، فكأنما كان الرد منهما رداً على الله. وأما فى مجال اجهزه الدوله التنفيذيه فيمكن الفرد

من الامة النقد والنصيحة وابداء المشورة، وعلى الحاكم الاستماع له والتشاور معه وقبول نصيحته ان كانت حقاً
وصدقاً.

(١١) عبد الرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الاربعة ٥: ٤١٧.

المرأة التي زوجها الله تعالى «دراسة وثائقية»

* عز الدين سليم

مدخل:

من خلال متابعات طويلة للسيرة الموروثة المدونة لفاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لاحظت أن المعلومات والروايات والاحداث المدونة حول تلك السيرة مرتبكة جداً، حتى يصل الارتباك عند المؤرخين ورواة السنن الى حد التناقض والغموض والاساءة.

وقد بدا لي من خلال المطالعة لتلك المعلومات الموروثة، أن من الاسباب الرئيسة لهذا التناقض هو طريقة الجمع العشوائي لكل ما ورد من معلومات حول هذه السيرة الطاهرة، ما دام يحتمل فيه اصحاب هذه الطريقة أنهم يدوتون فضيلة لاهل بيت النبوة، حيث إن هذه الطريقة لم تعتمد ضوابط - كما يبدو - لما يجمع أو يدون، او ما يستبعد، ولهذا جاءت بعض المعلومات عبثاً ثقيلاً على السيرة، يحتاج الى جهد كبير لكي يماط عن طريق الباحث المنصف. وقد لاحظت أن كثيراً من المعلومات السيئة قد وردت لكتب السيرة او السنة المتعلقة بأهل البيت (عليهم السلام)، بواسطة رواة توفيقيين في خطهم الفكري، فهم يجمعون فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، مع ما نسج من مزاعم لخصومهم في فترات تاريخية مختلفة - خصوصاً ما وضعته السياسة امام الامويين والعباسيين - دون تمييز او معيار علمي للفصل بين الغث والسمين.

لقد لاحظت ان العامل الرئيس للتناقض في المعلومات الواردة حول سيرة الصديقة المباركة فاطمة الزهراء (عليها السلام) - مثلاً - في كتاب كشف الغمة في معرفة الانمة للمرحوم أبي الفتح الاربلى المتوفى عام ٦٩٣ هـ ، وكتاب بحار الانوار ج٤٣ للشيخ محمد باقر المجلسي (رضي الله عنه) المتوفى عام ١١١١ هـ ، وغيرهما، إنما يعود اساساً لجمع الروايات من أى مصدر جاءت طالما فيها ذكر لال البيت (عليهم السلام) لا يعلن العداوة لهم، دون تحقيق في السند، ولا المتن لتلك المعلومات.

إن هذه الدراسة المنصبة على موضوع اقتران أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام بسيدة نساء العالمين فاطمة بنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يهتمها اساساً دراسة وعرض تفاصيل ذلك الاقتران المبارك، بقدر ما يهتمها أن توفر رؤية صحيحة حول كيفية التعامل مع المعلومات الواردة في السيرة والسنة حول هذا الموضوع؛ لتكون بين ايدي الباحثين في سيرة الزهراء (عليها السلام) منهجية سليمة لدراسة السيرة المطهرة يقبلها الشرع والعقل.

لذا فإن هذه التجربة التي نضعها بين ايدي القراء الكرام، إنما هي اقرب للمنهجية العلمية لدراسة السيرة، بدلاً عن السرد التاريخي المعلوماتي لمجرد الوقائع لسيرة الصديقة الزهراء صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعليها وبنيتها.

المصاحبة يخطبون فاطمة الزهراء (عليها السلام)

ادرك صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المقام الرفيع الذي بلغته الزهراء (عليها السلام) في دنيا الرسالة، فتباروا لخطبتها من أبيها طلباً للشرف ورغبة في الكرامة، وحرصاً على التقرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخير خلقه. بيد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يشيح بوجهه الكريم عمن يخطبها من صحابته، معلناً أن أمرها ليس بيده هو، وإنما أمرها الى الله عزوجل.

ومن الجدير بالذكر أن تاريخ الانسان لم يحدثنا أن امرأة تولى الله تزويجها دون ولي أمرها، غير فاطمة الزهراء بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) - كما سيتضح من النصوص بعد قليل - ، فلأول مرة في التاريخ الانساني نجد أن الله عزوجل يتدخل في شأن تزويج امرأة من رجل، فأى دلالة - يا ترى - ترسمه هذه الحقيقة العظمى على صفحة الوجود وتاريخ الانسان؟ ثم إن الآثار الصحيحة تؤكد أن زواج فاطمة من علي بن أبي طالب(عليه السلام)، قد أحكمت حلقاته وأعلن للملا الاعلى قبل عالم الارض، وفي عالم الغيب قبل عالم الشهادة - كما سنرى - .

لقد اهتم صحابة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بشأن فاطمة بنت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وبالغوا في متابعة أمر خطبتها من أبيها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى بدا من بعض الصحابة فظاظه وسوء أدب في ذلك.

فقد حدث عبدالله بن بريده حول ذلك بما يلي فقال: «خطب ابو بكر فاطمة، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): إنها صغيرة، وإنى انتظر بها القضاء، فلقية، عمر فأخبره، فقال: ردك! ثم خطبها عمر، فرده، ثم قال: إن الله أمرنى أن أزوج علياً فاطمة...»(١).

ودخل عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مرة، فقال عبد الرحمن: يا رسول الله، تزوجنى فاطمة ابنتك وقد بذلت لها من الصداق مئة ناقة، وعشرة آلاف دينار؟

وقال عثمان: أنا ابذل ذلك، وأنا اقدم من عبد الرحمن اسلاماً، فغضب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من مقالتهما، فتناول كفاً من الحصى فحصب به عبد الرحمن(٢)؛ تعبيراً عن غضبه، واشتمزازه من الطريقة التى عرضا بها الموضوع، بعيداً عن اللياقة، والاسلوب المناسب المتبع فى مثل هذه المناسبات.

الله يزوج علياً بالزهراء:

ولقد اجمعت مصادر المسلمين المختلفة على أن الله عزوجل قد تولى تزويج فاطمة الزهراء(عليها السلام) من علي بن أبي طالب(عليه السلام) - كما اشرنا - ، حتى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أبوها لم يكن مأذوناً له أن يتدخل فى شأن تزويجها، حتى تلقى الامر الالهى الخاص بتزويجها بعلي(عليه السلام).

ومن اجل ذلك فإن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، كان يصرح لصحابته مراراً كلما ذكروا فاطمة(عليها السلام): «إن أمرها الى ربها» و «انتظر بها القضاء» وما الى ذلك من الفاظ معبرة عن أن حق اختيار الزوج لفاطمة(عليها السلام) إنما هو منوط بالله عزوجل وحده، ولم يفوض حتى للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك رغم عظمتة، وجلالته، وقربه من الله تعالى، وعلاقته الابوية بابنته فاطمة(عليها السلام).

وهذه تُنف من النصوص الشريفة نقطتها من بين عشرات النصوص التى تتناول هذا الموضوع بصراحة لا يشوبها شك.

عن أنس بن مالك قال: «بينما رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فى المسجد، إذ قال لعلى: هذا جبريل يخبرنى أن الله زوجك فاطمة، وأشهد على تزويجها اربعين الف ملك...»(٣).

واخرج ابن المغازلي الشافعي بأسانيده عن جابر قال: «لما تزوج علي فاطمة، زوجه الله إياها من فوق سبع سموات...» (٤).

واخرج ابن المغازلي بأسانيده حديثاً جاء فيه: «فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما زوجت فاطمة من علي، ولكن الله زوجها عند شجرة طوبى...» (٥).

وروى الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار عن مغلّة بن موسى، عن إبراهيم بن علي، عن علي بن يحيى البربوعي، عن أبيان بن تغلب، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إنما أنا بشر مثلكم أتزوج فيكم وأزوجكم، إلّا فاطمة، فإنّ تزويجها نزل من السماء» (٦).

وحدث الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق المتوفى عام ٣٨١ هـ، بأسناده عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن آبائه الطاهرين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: «لقد هممت بتزويج فاطمة (عليها السلام) ابنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيناً، ولم اتجرأ أن أذكر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإن ذلك اختلج في صدري ليلي ونهارى حتى دخلت علي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا علي، قلت: لبيك يا رسول الله. قال: هل لك في التزويج؟ قلت: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعلم وإذا هو يريد أن يزوجني بعض نساء قريش، وإنّي لخائف على فوت فاطمة، فما شعرت بشيء إذ اتاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لي: أجب النبي واسرع، فما رأينا رسول الله أشد فرحاً منه اليوم. قال: فأتيته مسرعاً فإذا هو في حجره أم سلمة، فلما نظر إليّ تهلل وجهه فرحاً وتبسم حتى نظرت إلى بياض أسنانه يبرق، فقال: أبشر يا علي؛ فإن الله عزوجل قد كفاني ما قد كان همّني من أمر تزويجك، فقلت وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: اتاني جبرئيل ومعه من سنبل الجنة وقرنفله، فناولنيهما فأخذتهما وشممتهما، فقلت: ما سبب هذا السنبل والقرنفل؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى أمر سكان الجنان من الملائكة ومن فيها أن يزينا الجنان كلها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها، وأمر ربيها فهبت بأنواع العطر والطيب، وأمر حور عينها بالقراءة فيها بسورة طه وطور ويس وحمعسق، ثم نادى مناد من تحت العرش: ألا إن اليوم يوم وليمة علي بن أبي طالب (عليه السلام). ألا إني أشهدكم أني قد زوجت فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من علي بن أبي طالب رضى منى بعضهما لبعض، ثم بعث الله تبارك وتعالى سحابة بيضاء فقطرت عليهم من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها، وقامت الملائكة فنثرت من سنبل الجنة وقرنفله هذا مما نثرت الملائكة، ثم أمر الله تبارك وتعالى ملكاً من ملائكة الجنة يقال له راحيل، وليس في الملائكة ابلغ منه، فقال: اخطب يا راحيل، فخطب بخطبة لم يسمع بمثلها أهل السماء ولا أهل الأرض، ثم نادى مناد: ألا يا ملائكتي وسكان جنتي، باركوا علي علي بن أبي طالب (عليه السلام) حبيب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وفاطمة بنت محمد، فقد باركت عليهما، ألا إني زوجت أحب النساء إلي من أحب الرجال إلي بعد النبيين والمرسلين، فقال راحيل الملك: يا رب؛ وما بركتك فيهما بأكثر مما رأينا لهما في جنانك ودارك؟ فقال عزوجل: يا راحيل، إن من بركتي عليهما أن اجمعهما علي محبتى، واجعلهم حجة علي خلقى. وعزّتي وجلالى، لا خلقت منهما خلقاً، ولا نشئت منهما ذريةً اجعلهم خزّاني في أرضى، ومعادن لعلمى، ودعاة إلى دينى، بهم احتجّ علي خلقى بعد النبيين والمرسلين. فأبشر يا علي فإن الله عزوجل أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحداً، وقد زوجتك ابنتي فاطمة علي ما زوجك الرحمن، وقد رضيت لها بما رضى الله لها، فدونك اهلك فإنك احق بها منى، ولقد أخبرني جبرئيل أن الجنة مشتاقّة إليكما. ولو أن الله عزوجل قدر أن يخرج منكما ما يتخذة علي الخلق حجة، لاجاب فيكما الجنة واهلها. فنعم الاخ انت، ونعم الختن انت، ونعم الصاحب انت، وكفاك برضا الله رضى. قال علي (عليه السلام): فقلت: يا رسول الله، بلغ من قدرى حتى انى ذكرت في الجنة، وزوّجني الله في ملائكته، فقال علي (عليه السلام): إن الله عزوجل إذا أكرم وليه واحبه، أكرمه بما لا عين

رأت ولا أذن سمعت فاجباها الله لك يا على، فقال على (عليه السلام): ربّ اوزعني أن اشكر نعمتك التي انعمت عليّ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): آمين» (٧).

وفي هذا المضمون وردت نصوص اصيلة عن المعصوم عليه الصلاة والسلام لا تكاد تحصى لكثرتها (٨).

اعلان الزواج في عالم الملكوت

قد لا يروق للبعض من محدودى النظرة أن يجرى الحديث عن مجريات عالم الغيب والملكوت؛ بسبب عجز ادوات الحس الظاهرية للانسان عن ادراكه، والالمام به، او تصوره، تأثراً بالتربية المعاصرة التي تستبعد الغيب، وما يجرى فيه عن المعرفة، والاهتمام الفكرى.

ودع عنك ما يجنح إليه الذين لا يعلمون من الحياة إلا قشرتها الظاهرية أو بعضها (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون) (٩).

فالاسلام الحنيف، وعموم اديان السماء، إنما تستمد معارفها الاساسية من الوحي الالهى والاتصال بعالم الغيب، إما بتلقى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الله العلى الاعلى عزوجل مباشرة، أو بواسطة الملك الموكل بذلك من قبل الله عزوجل، أو نحو ذلك - وفى ذلك تفصيل - . وقد وردت مجموعة من النصوص الشريفة عن المعصوم (عليه السلام) توضح طريق حصول الرسل (عليهم السلام) على المعرفة، وكيفية تلقيهم لتلك المعرفة القطعية المباركة.

فقد ورد عن الامام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) ما عن عبيد بن زُرارة، عن أبيه، قال: «قُلْتُ لابي عبدالله (عليه السلام): جعلت فداك، الغشبة التي كانت تُصيبُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أنزل عليه الوحي فقال: ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله احد. ذاك إذا تجلى الله له. قال: ثم قال: تلك النبوة يا زُرارة، واقبل بتخشع» (١٠).

وهكذا فإن من أوليات هذا الدين السماوى الخالد اهتمامه بالغيب وشؤونه، من معرفة الله عزوجل، وصفاته الحسنی، والجنة والنار، والحساب، والصراط، والحشر، والبعث، والملائكة، والجن، والحور، والزقوم، وما الى ذلك من أمور ومجريات.

ومعرفة هذه الحقائق إنما يكون بالتلقى عن الله عزوجل، فهي أمور لا تخضع للمقاييس المادية المألوفة، ولذا فإن اهم محاور الاديان السماوية إنما هي أمور غيبية استوعبها المؤمنون، وآمنوا بها عن طريق سفراء الله تعالى فى عباده.

وهكذا فإن فى سيرة الانبياء والائمة الصادقين من آل الرسول عليهم الصلاة والسلام احداثاً، واوضاعاً لا يمكن ادراكها إلا بالاخبار المباشر من المعصوم (عليه السلام)، فإذا كان الاخبار وارداً عن المعصومين (عليهم السلام) بأسانيد صحيحة، فليس أمام المؤمنين إلا التسليم بصحة وقوع تلك الاحداث المغيبة عن حواس البشر، وقدراتهم العادية: (الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (١١).

ومن هذه الاحداث ما نحن الان بصددده، فقد ورد في سيرة الصديقة فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مجموعة من النصوص الشريفة الصحيحة في سندها، حيث أوردها الصادقون من الرواة عن الصادقين من آل البيت(عليهم السلام) وصحابة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، بعضها يتعلق بتشكيل نطقها اساساً، وبعضها يتعلق بتكليمها أمها وهي في بطنها، وبعضها تتحدث عن كونها بتولاً لا ترى دمماً كما ترى النساء اثناء الحيض والنفاس وما الى ذلك، وغير ذلك من أمور، فكيف يتعامل المسلم مع هذه النصوص، التي تبلغ في متانتها وقوتها من ناحية السند كقوة النصوص المتعلقة بشؤون الفرائض احياناً؟(١٢).

ونذكر على سبيل المثال هنا مسألة احتفاء عالم الملكوت بتزويج علي بن أبي طالب(عليه السلام) من فاطمة بنت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، قبل احتفاء عالم الشهادة بذلك، حتى ورد في السيرة المطهرة أن بين تزويج فاطمة بعلي(عليهما السلام) في عالم الغيب، وتزويجها في عالم الشهادة اربعين يوماً(١٣).

لقد ذكرت السيرة المطهرة جملة نصوص تحكى قصة ذاك الاحتفاء الغيبى المشهود، الذى باشرته الملائكة والحوار وغيرها ابتهاجاً بذلك الاقتران المبارك، الذى كانت الرسالة والدعوة والارض تنتظره ليحقق أمل خاتم النبيين(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهدف رسالته الخاتمة.

فعن الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الانصارى(رضى الله عنه) عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)قال: «إن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه، وإن الله عز وعلا، جعل ذرية محمد من صلب علي بن أبي طالب(عليه السلام)»(١٤).

ويقول رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «كل بنى أم ينتمون الى عصبتهن، إلا ولد فاطمة، فإنى أنا أبوهن، وعصبتهن»(١٥).

فإن هذا الاقتران الميمون كان أمل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لانه سيثمر الامتداد الطبيعى لخاتم النبيين(صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث الذرية المباركة ذرية رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) التى تملأ الدنيا خيراً وبركة وخصباً.

فمن الجدير بالذكر أن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قد فقد ذريته المباركة كلها دون فاطمة(عليها السلام)، وهم دون سن البلوغ؛ إذ لم يبق له غير فاطمة الزهراء(عليها السلام)، التى كانت أمه، وروحه التى بين جنبيه، وقد وصفها(صلى الله عليه وآله وسلم) بأم أبيها، وبضعته، وريحانته، والمطهرة من الرجس، وسيدة نساء العالمين(عليها السلام)(١٦).

فجعل الله عزوجل منها ومن علي بن أبي طالب بعلمها، الكوثر الذى حباه الله تعالى لمحمد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله وسلم)، سيد رسله، وخاتم الانبياء، وهو فى اوضح معانيه واعلاها (الذرية النبوية الصالحة) غرس النبوة من علي وفاطمة عليهما الصلاة والسلام.

ومن هنا فليس من الغرابة فى شىء بعد هذه الحقيقة المجسدة، أن يحتفى الملا الاعلى وسكان الجنان بهذا الاقتران العظيم، الذى يعقد الهدى والخير آماله عليه، حيث كان علي وفاطمة(عليهما السلام) مصدر الخير والبركة فى هذه الارض بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

وهذه بعض النصوص الكريمة التي حفظتها السنة الشريفة، وهي تروى قصة الابتهاج الكبير الذي شهده عالم الملائكة والجنان.

حدث العلامة ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن جابر بن عبدالله الانصاري (١٧) قال: «لما زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً من فاطمة أتت قريش فقالوا: يا رسول الله، زوجت فاطمة علياً بمهر خسيس! فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما زوجت فاطمة من علي، ولكن الله زوجها عند شجرة طوبى، وحضر تزويجها الملائكة، وأمر الله شجرة طوبى لتنثر ما عليك من الثمار، فنثرت الدر والياقوت والزبرجد الاخضر، وابتدر الحور العين يلتقطن، فهن يتفادين ويتفاخرن به الى يوم القيامة، ويقطن: هذا من نثار فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)».

وأخرج الحافظ المحب الطبري (١٨) في ذخائر العقبي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: «بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المسجد إذ قال لعلي: هذا جبريل يخبرني أن الله زوجك فاطمة، وأشهد على تزويجها اربعين الف ملك، وأوحى الى شجرة طوبى أن انثر عليهم الدر والياقوت، فنثرت عليهم الدر والياقوت، فابتدرت إليه الحور العين يلتقطن في اطباق الدر والياقوت، فهم يتهادونه بينهم الى يوم القيامة» وقال: «أخرجه الملا في سيرته».

وأخرج الحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي بسنده عن سنان بن شفعلة الانصاري، قال: «حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: حدثني جبرائيل أن الله لما زوج فاطمة علياً، أمر رضوان بهز شجرة طوبى، فحملت رقاقاً بعدد محبي أهل بيت محمد» وقال: «ورواه الحافظ ابن مردويه» (١٩).

إن هذه النصوص الكريمة، وعشرات غيرها مما حملته أسفار قديمة وحديثة، من قبيل مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) للعلامة الفقيه الحافظ أبي الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الجلابي الشافعي المعروف بابن المغازلي، المتوفى عام ٤٨٣ هـ، و ذخائر العقبي في مناقب ذوى القربى للحافظ محب الدين احمد بن عبدالله الطبري شيخ الشافعية، ومحدث الحجاز المتوفى عام ٦٩٤ هـ، وينايع المودة للحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي من علماء الحنفية المتوفى عام ١٢٩٤ هـ، وكشف الغمة في معرفة الائمة للعلامة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي المتوفى عام ٦٩٣ هـ، وبحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار للمحدث العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي المتوفى عام ١١١١ هـ، وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر أن افهام البشر في هذا العالم عاجزة عن الاحاطة بتفاصيل ما يجري في عالم الغيب، وأن النصوص الكريمة التي تتناول مجريات عالم الغيب تقدم صورة تقريبية للواقع الحقيقي في ذلك العالم بمفردات يفهمها البشر، وإلا فإن الناس في عالم الشهادة ليس بوسعهم إدراك حقيقة شجرة طوبى، ولا ماهية رضوان، ولا الحور، ولا الملائكة، وكيف احتفلت في هذا الامر او غير ذلك من أمور.

تسلل الافتراء:

لقد أسهب الرواة والمحدثون في مجريات الامور، التي اكتنفت عملية تزويج علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام من فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى بدا شيء من التناقض في بعض الاحداث التفصيلية. وهاك امثلة حول ذلك:

١ - فقد حدث البعض أن الصحابة حين تسابقوا لخطبة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وكلهم يرجون نيل الشرف والكرامة، ولم يجدوا غير الاعراض من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإبلاغهم أن أمرها إلى الله تعالى وليس إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذاته - كما اشرنا - ، قرر جماعة من الصحابة، فيهم أبو بكر وعمر، أن يتسارعوا إلى علي (عليه السلام)، ويطلبوا منه أن يخطبها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فالتفت إلى شيء كان عنه غافلاً - كما تصوره الرواية - فذهب لخطبتها، وتم الزواج حينذاك (٢٠).

وهذه الرواية فيها خلل واضح، تكشف عنه بالعبارات الآتية:

أ - من المقطوع به أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ابلغ خاطبها جميعاً بأن أمر زواج فاطمة موكول إلى الله تعالى، فكان واضح من حديثه المتكرر بعدة مضامين، أن التكليف هو الانتظار، وليس من حق أحد أن يتدخل في هذا الموضوع الرباني، ولذا فإقحام الصحابة أنفسهم، واسراعهم إلى علي (عليه السلام) بعد اعراض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهم، لا مبرر له أصلاً، ما دام الصحابة قد بُلغوا بالتكليف الشرعي الخاص بهذه القضية، لذا فلا صحة لما يقال أن الصحابة دفعوا علياً (عليه السلام)، فحققوا بذلك مكسباً كبيراً بإقناع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث زاره علي (عليه السلام)، وحدثه بذلك الأمر بطريقة مقتضبة خجولة - كما تصور الرواية المذكورة - .

ب - إن هذا الطرح يريد أن يعكس حالة من التوافق بين حركة هؤلاء الصحابة، واردة الله سبحانه، فإنهم حسب مضمون هذا الخبر تحركوا فجاء الأمر الرباني بالتزويج (٢١) موافقاً لحركتهم المزعومة.

ولذا فالمقصود أن هذا المقطع المتعلق بالصحابة لا اساس له من الصحة.

٢ - إن تلك الرواية تصححها الروايات الصحيحة الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والتي تنطق بالحق كرواية أنس بن مالك التي قال فيها: «بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المسجد إذ قال لعلي: هذا جبريل يخبرني أن الله زوجك فاطمة، واشهد على تزويجها أربعين ألف ملك...» (٢٢) وغيرها كثير وقد حدث بعض أن جارية لعلي (عليه السلام)، هي التي حرّضته على خطبة فاطمة (عليها السلام)، فخطبها، فقد حدث مجاهد، عن علي (عليه السلام) قال: «خطبت فاطمة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قلت: لا. قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيزوجك؟ فقلت: وهل عندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زوجك. فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت علي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت له جلالة وهيبته، فلما قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن اتكلم، فقال: ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ فسكت، فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ قلت: نعم. قال: فهل عندك من شيء تستحلّها به؟ قلت: لا والله يا رسول الله، فقال: ما فعلت الدرع التي سلحتكها؟ فقلت: عندي. والذي نفسى بيده إنها لخطمية ما ثمنها إلا أربع مئة درهم. قال: زوجتكها فابعث بها، فإن كانت لصادق فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» (٢٣).

وهذه الرواية - كما ترى - تصر على استبعاد أمر الله تعالى في تزويج الزهراء (عليها السلام)، إضافة الى إبراز حالة الفاقة المزعومة التي تُلصق بعلي (عليه السلام) عن قصد باستمرار، حتى بلغ الحال ببعض الرواة أن ادعوا زوراً أن عثمان بن عفان الاموي قد تبرع لعلي (عليه السلام) بمهر فاطمة (عليها السلام) (٢٤).

على أن هذه الرواية والرواية السابقة ورواية عبدالله بن بريده (٢٥) عن أبيه، التي تذكر أن نفرأ من الانصار حرض علياً (عليه السلام) على التماس فاطمة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وغيرها من الروايات، كلها حريصة على اظهار علي (عليه السلام) ضعيفاً لا رأى له، فمرة توجهه جارية، ومرة نفر من الانصار، ومرة نفر من المهاجرين. فما عليك إلا أن تقرأ الاهداف السياسية التي تختفي وراء هذه الروايات.

هذا ويلاحظ في هذه الروايات وامثالها أن في سندها رواة منحرفين عن أهل البيت (عليهم السلام)، فلا يرجى في رواياتهم عدل ولا صدق.

واقف ما يقال في اكثر اولئك أنهم يعقدون قلوبهم على التوّلّي لاهل البيت (عليهم السلام) دون التبرؤ من خصومهم، واعدائهم، ومن هنا فليس عجباً أن نجد بعض المحدثين واصحاب السنن يبذلون جهداً كبيراً لتسطير بعض فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، والى جانبها فضائل افتعلتها السياسة لخصومهم الفكريين او السياسيين (٢٦).

على أن من المؤسف حقاً أن تتسلل هذه الروايات الى مؤلفات علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، بسبب حالة الحرص على جمع اكبر قدر من الروايات التي يشم منها رائحة فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، دون تحقيق لاسانيتها ومتونها، لذا دخلت في مؤلفات بعض هؤلاء العلماء احاديث كثيرة أهل البيت (عليهم السلام) والمؤمنون في غنى عنها.

ولقد بلغ ببعض المؤلفين أن اذابوا مؤلفات بأكملها في مؤلفاتهم (٢٧)؛ توخياً لتحقيق ذلك الهدف المرجو، خصوصاً كتب المناقب التي نالها كثير من العبث على أيدي وعاظ السلاطين، الذين اندسوا عبر مراحل التاريخ في صفوف العلماء والرواة والمحدثين والمفسرين وغيرهم.

وقد تبلغ الحالة أن الوضع يكون احياناً بتزييف كلمات من رواية صحيحة فتسيئ الى مرماها، او تضاف كلمات هنا او تحذف اخرى هناك، الامر الذي يمثل اسوأ عمليات الوضع في الحديث النبوي، عن طريق ابتداع احاديث لم يتفوه بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكل ذلك وضع وتقوّل على الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولو كان هدفنا التحقيق في الروايات، لوقفنا على العناصر المزيفة التي لعبت دوراً قذراً في تشويه الاحاديث الصحيحة، او اختلاق سواها، ولكن هدفنا هنا الاشارة والتنبيه للقارئ الكريم.

هل خطب علي فاطمة (عليها السلام)؟

من تتبع وعاء للوثائق التي تتناول سيرة الزهراء عليها الصلاة والسلام، خصوصاً ما يتعلق من تلك الوثائق بأمر اقترانها بأمر المؤمنين على عليه الصلاة والسلام، تبرز جملة حقائق نوجزها بهذه الكلمات:

١ - إن أمر اقتران فاطمة (عليها السلام) شأن إلهي، ودور رسول الله بشأنها كان دور انتظار وترقب، كما تؤكد ذلك عشرات النصوص الصريحة (٢٨)، وقد ذكرنا مصاديق منها.

٢ - لقد تعرض العديد من رجال قريش وشخصيات الصحابة لخطبتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتى وجدوا الصدود وعدم الرضا على وجهه، حتى لقد ظن بعضهم أنه قد هلك لانه تسبب في اغصاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وازعاجه، كما هو المشهور عن أبي بكر مثلاً، حيث قال بعد أن رده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واعرض عنه: «هلكت، وأهلكت» (٢٩).

فكان اليأس قد استبد بهم (٣٠)، وشاع لدى الصحابة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ينتظر بها أمر الله عز وجل، كما ورد عن عمر، وهو يحدث صاحبه أبا بكر بعد أن اعرض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن خطبته للزهراء (عليها السلام) (٣١).

وحيث بلغ الحال أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد حصب عبد الرحمن بن عوف بالحصى تبرماً وصدوداً عن اللاحاق في هذه المسألة، فقد أصبح واضحاً لدى صحابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن هذا الامر يرتبط بالمشيئة الإلهية، وهي التي تختار لفاطمة (عليها السلام) ما تشاء.

٣ - تحاول بعض الروايات أن تصوّر علياً (عليه السلام) كما لو كان احد الذين سعوا لخطبة فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بعد تحفيز من جاريته، أو من الصحابين أبي بكر وعمر، أو من بعض الانصار، فلبى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طلبه، وشفع ذلك بقوله: إن الله أمره بتزويجه؛ من اجل أن تطفف هذه الروايات من المكانة الرفيعة التي بلغها على وفاطمة عليهما الصلاة والسلام.

وليس من المستبعد أن تكون امثال هذه الروايات تهدف اساساً الى التشكيك بإعلان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أن الله تعالى هو الذى زوج علياً من فاطمة؛ وذلك لان قطاعاً من الصحابة يشككون بقيمة الاحاديث النبوية اساساً، ويشيعون فى الناس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتكلم فى الرضا والغضب، أى يتأثر بوضعه النفسى، فيقول فى رضاه غير الذى يقوله فى غضبه.

فقد حدث عبدالله بن عمرو بن العاص فقال: «كنت اكتب كل شىء اسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شىء سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورسول الله بشر يتكلم فى الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ باصبعه الى فيه، وقال: اكتب، فوالذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق» (٣٢).

٤ - ومن مجموع ما مضى، إضافة إلى النظر الفاحص الدقيق في مسيرة الأحداث، التي رافقت عملية اقتران علي بفاطمة عليهما الصلاة والسلام، وما دار حولها من روايات كثيرة متضاربة، علاوة على اصرار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ارساء مفهوم أن أمر اقتران فاطمة (عليها السلام) إلى الله تعالى، لا إلى أحد من العباد، نصل إلى القطع أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يتقدم لخطبة الزهراء (عليها السلام) من أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الإطلاق، وإنما بلغه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر الله عز وجل، بشأن ارتضاها له زوجة وشريكة حياة، فما كان من علي (عليه السلام) إلا أن سلم لأمر الله تعالى، وكان شأن فاطمة كشأن علي (عليه السلام) في التسليم لأمر الله وقضائه، وفي ذلك نصوص كثيرة جداً، نذكر منها ما يلي:

١ - روى ابن المغازلي بأسناده (٣٣) عن جابر بن عبد الله قال: «دخلت أم أيمن على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي تبكي، فقال لها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما يبكيك لا أبكي الله عينك؟ قالت: بكيت يا رسول الله لاني دخلت منزل رجل من الانصار، وقد زوج ابنته رجلاً من الانصار، فنثر على رؤوسهم لوزاً وسكراً، فذكرت تزويجك فاطمة من علي، ولم تنثر عليها شيئاً، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تبكي يا أم أيمن، فوالذي بعثني بالكرامة واستخصني بالرسالة، ما انا زوجت، ولكن الله تبارك وتعالى زوجة من فوق عرشه، وما رضيت حتى رضى علي، وما رضى علي حتى رضيت، وما رضيت حتى رضيت فاطمة، وما رضيت فاطمة حتى رضى الله رب العالمين».

٢ - وروى المحدث الكبير الشيخ أبو جعفر الصدوق (٣٤) في عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، بأسناده عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن أبيه، عن آبائه، عن علي (عليه السلام) قال: «قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي، لقد عاتبتني رجال من قريش في أمر فاطمة، وقالوا: خطبناها إليك فمنعنا وزوجت علينا، فقلت لهم: والله ما انا منعكم وزوجت، بل الله منعكم وزوجه، فهبط علي جبرئيل فقال: يا محمد، إن الله جل جلاله يقول: لو لم اخلق علياً لما كان لفاطمة ابنتك كفو على وجه الارض، آدم فمن دونه».

٣ - وحدث أبو الفتح الاربلي (رضي الله عنه) عن أنس بن مالك قال: «كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فغشيته الوحي، فلما افاق قال لي: يا أنس، أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟ قال: قلت: الله ورسوله اعلم. قال: أمرني أن أزوجه فاطمة من علي، فانطلق فادع لي ابا بكر وعمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير، وبعددهم من الانصار. قال: فانطلقت فدعوتهم له، فلما أن اخذوا مجالسهم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الحمد لله المحمود بنعمته، والمعبود بقدرته، والمطاع في سلطانه، المرحوب من عذابه، المرغوب اليه فيما عنده، النافذ أمره في أرضه وسمائه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد. ثم إن الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً، وأماً مفترضاً، وشج بها الارحام، والزمها الانام فقال تبارك اسمك وتعالى جدك: (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً) (٣٥)، فأمر الله يجرى إلى قضائه، وقضاؤه يجرى إلى قدره، فلكل قضاء قدر، ولكل قدر اجل، ولكل اجل كتاب: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (٣٦).

ثم إنني أشهدكم أنني قد زوجت فاطمة من علي على اربعمئة مثقال فضة إن رضى بذلك علي - وكان غائباً قد بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حاجة - .

ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بطبق فيه بسر فوضع بين أيدينا، ثم قال: انتهوا فيبينما نحن كذلك إذ أقبل علي، فتبسم إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: يا علي، إن الله أمرني أن أزوجه فاطمة، وقد زوجتكها على اربعمئة مثقال فضة. ارضيت؟ قال: رضيت يا رسول الله. ثم قام علي فخرّ لله ساجداً، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): جعل الله فيكم (الخير) الكثير الطيب، وبارك فيكما. قال أنس: والله لقد اخرج منها الكثير الطيب» (٣٧).

فمن هذه الاحاديث المباركة وغيرها يتضح أن الخاطب لفاطمة (عليها السلام) ومزوجها علي (عليه السلام) هو الله عزوجل، وكان دور رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دور التبليغ والتنفيذ، وما روى خلافاً لذلك من أمور فهو إما من بغى الحاسدين، او ظلم الاعداء، او من التصحيف والاشتباه.

وهكذا نجد التفسير الصحيح لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ» (٣٨).

«لولا ان الله تعالى خلق فاطمة لعلى ما كان لها على وجه الارض كفؤ آدم فمن دونه» (٣٩).

تفاصيل في عالم الشهادة:

إن تفاصيل اقتران علي بفاطمة (عليها السلام) بدأت في عالم الشهادة بشكل غير مألوف في عالم الزواج في المجتمعات البشرية.

فبعد يأس وانقطاع من قبل جميع الخاطبين لبنت الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، بعد أن علموا أن أمرها الى ربها عزوجل يختار لها ما يشاء، وما كان لهم الخيرة في ذلك، لم يبق من هذا الامر غير احاديث هنا وهناك تجرى بين الصحابة من المهاجرين والانصار حول ما يؤول اليه أمر فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث تتصور مجالسهم تصورات حول ذلك لا تملك يقيناً ولا حجة.

وعلى حين فترة يأتي النداء العلوي المقدس: «يا محمد، إن الله تعالى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إني قد زوجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملا الاعلى، فزوجها منه في الارض» (٤٠).

ويظهر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد دعا - بعد هذا التبليغ الالهي - اخاه وابن عمه، وأحب الخلق إليه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأبلغه بما قضاه الله تعالى له ولفاطمة (عليها السلام)، كما أبلغ بذلك فاطمة (عليها السلام)، وقد سرّ علي (عليه السلام) سروراً عظيماً، فخرّ ساجداً لله عزوجل وهو يقول: «ربّ أوزعني أن اشكر نعمتك التي انعمت عليّ...»، ثم رفع رأسه، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يخاطبه: «بارك الله عليكما وبارك فيكما، واسعد جدكما، وجمع بينكما، واخرج منكما الكثير الطيب»، ثم أمر بطبق بسر فوزّع علي الحاضرين (٤١).

أما فاطمة (عليها السلام) فحين اطلعها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقرأ علي وجهها المبارك علامات الرضا والقناعة بما ارتضاه لها الله عزوجل، دون أن تنسج ذلك في كلمات، هتف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «الله اكبر.. سكوتها اقرارها».

ويلاحظ من مجموع الوثائق التاريخية القليلة التي بقيت محفوظة حول هذه المسألة، أن اقتران علي بفاطمة عليها الصلاة والسلام قد أحيط به الصحابة خبراً، بحضور علي (عليه السلام) على رواية (٤٢)، أو بغيا به علي رواية أخرى (٤٣).

وقد انتقى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ستته من المهاجرين، وستته من الانصار، جمعهم عنده، ثم ابلاغهم بتزويج الله عز وجل لعلي من فاطمة، واشهدهم أنه سلم لما قضاه الله تعالى وأمر به، الامر الذي يكون انطباعاً لدى أي متتبع أن لهذا الزواج غايات وأهدافاً لا مثيل لها، تقتضي هذا اللون من الفعاليات والتحركات الفريدة. وهذه نماذج من الروايات بهذا الصدد.

حدث أنس بن مالك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه كان عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فغشيه الوحي، فلما أفاق قال له: «يا أنس، اتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟ قال: قلت: الله ورسوله اعلم. قال: أمرني أن أزوّج فاطمة من علي» فانطلق فادع لى ابا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير، وبعددهم من الانصار. قال: فانطلقت فدعوتهم له، فلما أن أخذوا مجالسهم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... الخطبة، ومنها: ثم إني أشهدكم أني قد زوّجت فاطمة من علي...» (٤٤).

ورغم أن اقتران فاطمة بعلي (عليه السلام) كان ذا نمط خاص، وطبيعة مميزة، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد أن يسنّ للمجتمعات عبر التاريخ سنةً صالحةً من خلاله، تتلخص بأهمية اقرار حرية الرجل والمرأة معاً في اختيار كل منهما لشريك حياته، دون فرض أو اكراه، وهكذا كان.

ومن الجدير ذكره أن ما يذكره بعض المحدثين، من أن اسماء بنت عميس كان لها دور ما في تفاصيل اقتران فاطمة بعلي (عليه السلام)، لا نصيب له من الصحة أبداً؛ فإن اسماء بنت عميس كانت آنذاك مع زوجها جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) مهاجرة في الحبشة، ولم تر المدينة المنورة إلا في السنة السابعة من الهجرة، في أيام فتح خيبر، بينما كانت عملية اقتران علي (عليه السلام) من فاطمة (عليها السلام) قد جرت في نهاية السنة الثانية من الهجرة.

ومن الراجح أن تكون اختها سلمى بنت عميس هي التي حضرت تفاصيل الزواج، وقد كانت زوجاً لحمزة بن عبد المطلب (عليه السلام). ويبدو أن الالتباس وقع من الرواة؛ لأن أسماء أشهر من اختها سلمى عند المؤرخين والرواة (٤٥)، يجري اسمها على اقلامهم دون اختها.

وقد أكد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أهمية المهر وحقوق المرأة المالية عند الزواج، فطلب من علي (عليه السلام) مهراً لفاطمة (عليها السلام)، فخصص لها علي (عليه السلام) خمسمئة درهم - بناء على اصح الروايات - .

فقسمه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أقساماً، بعضه أعطاه للنساء لابتتياع ما يرينه مناسباً للمرأة، وبعضه أعطى للرجال لابتتياع الحاجات الضرورية للمنزل.

وقد ذكرت الروايات اسم أم سلمة، وهي ليست أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المعروفة، وإنما هي أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع الانصارية، وتكنى باسم أم سلمة أيضاً وهي خطيبة النساء.

ويبدو أن الخلط في الروايات بين اسم أسماء بنت عميس التي كانت يومذاك في الحبشة، واسم أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التي لم تكن قد تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلا بعد سنة من زواج علي (عليه السلام) بفاطمة (عليها السلام)، أقول: إن هذا الخلط إنما جاء بسبب الهوية الشخصية لأسماء بنت يزيد الانصارية التي حضرت بعض تفاصيل زواج فاطمة من علي (عليه السلام) (٤٦).

وتشير الاخبار الى أن عمار بن ياسر والمقداد وبلالاً وسلمان الفارسي وغيرهم، قد ساهموا في ابتياع جزء من الاثاث، حيث جاؤا به، فكان قوامه الخزف، ليعبر عن حقيقة الدنيا وواقعها، فقلبه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بيديه الكريمتين، وقال: «اللهم بارك لقوم جلّ أنيتهم الخزف» (٤٧).

أما اثاث علي وفاطمة عليهما الصلاة والسلام فكان - جمعاً بين الروايات - ما يلي:

١ - فراشاً من خيش مصر محشواً بالصوف.

٢ - وسادة من آدم حشوها من ليف النخيل أو إذخر (٤٨).

٣ - عباءة خيرية.

٤ - قربة للماء.

٥ - كيزان للماء.

٦ - جرتان من خزف.

٧ - مطهرة للماء.

٨ - ستر صوف رقيق.

٩ - سرير مشروط.

١٠ - حصير هجري.

١١ - مخضب نحاس.

١٢ - قعب للبن.

١٣ - قميص.

١٤ - شن للماء.

١٥ - منخل.

١٦ - رحي.

١٧ - قدر نحاس، ونحو ذلك.

اما داخل الدار فقد فرش برمل جيء به من البطحاء.

وهكذا كان اثاث زواج علي وفاطمة(عليها السلام)، مثلاً لليساطة ونموذجاً للزهد في الحياة وشوطها القصير؛ ليكونا وذريتهما المباركة بذلك أئمة للذين استضعفوا في الارض، وليكونوا الوارثين للخير والمعروف، والبركة والخصب في نهاية المطاف.

ومن المفيد جداً أن نذكر بعض الوثائق التاريخية التي تتحدث عن ذلك المتاع الزهيد، الكبير في معناه ودلالاته.

قالت اسماء: «لقد جهّزت فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الى علي بن أبي طالب، وما كان حشو فراشهما ووسائدهما إلا ليف»(٤٩)، أخرجه الدولابي.

وعن علي قال: «جهّز رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة في خميلة وقربة ووسادة من آدم حشوها ليف»(٥٠) أخرجه احمد في المناقب.

وعن عامر قال: «قال علي(عليه السلام): لقد تزوّجت فاطمة وما لي لها فراش غير جلد كبش، ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار، وما لي ولها خادم غيرها»(٥١).

وقال احمد في الفضائل: «حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن ايوب عن عكرمة عن أبي زيد المدني قال: لما أهديت فاطمة الى علي(عليه السلام)، لم تجد عنده إلا رملاً مبسوطاً ووسادة وكوزاً وجرة».

وعن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي(عليه السلام) قال: «جهّز رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة في خميل(٥٢) وقربة ووسادة حشوها إذخر».

وفى رواية أخرى عنه (عليه السلام) «أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما زوجه فاطمة، بعث معها بخميلة ووسادة من آدم حشوها ليف، ورحين وسقاء وجرتين» (٥٣).

وعن ابن عباس - (رضي الله عنه) - قال: «لما زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة من علي، كان فيما أهدى معها سريراً مشروطاً (٥٤)، ووسادة من آدم حشوها ليف، وقربة. قال: وجاؤوا ببطحاء الرمل فيسوطوه في البيت...» (٥٥).

مراسيم الزواج:

تفيد بعض الوثائق أن عقد القران بين علي وفاطمة (عليهما السلام)، قد جرى في الاسبوع الاخير من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة (٥٤)، أى بعد معركة بدر (٥٧) بأسبوع واحد، إلا أن الزواج المبارك لم يجر إلا في الاسبوع الاول من ذى الحجة من نفس العام.

بيد أن الوثائق التاريخية لم تذكر اسباب هذا التأخير، أى مضى أكثر من شهرين على عقد القران، وغاية ما تذكره أن علياً عليه الصلاة والسلام قد غلبه الحياء، وهو عذر لا يصلح أن يكون تبريراً كافياً لذلك، وإنما الذى اعتقده أن مهام بناء الدولة، وإرساء قواعدها، وتوفير الاستعدادات الكفيلة لصد عدوان المشركين، كانت وراء هذا التأخير، فإن البيت النبوى كانت هذه المهام الكبرى شغله الشاغل، وكان وزير النبوة على بن أبى طالب (عليه السلام) أكثر الناس انشغالاً بهذه المسائل الكبرى؛ لان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ينتدبه لكل أمر معضل، سواء أكان ذلك داخل العاصمة أو فيما يجاورها، وسواء أكان الامر يتعلق بشؤون عسكرية، أو تبليغ رسالة، أو قضاء أمر خاص بالنبوة والرسالة الكبرى.

وبين حسم معركة بدر الظافرة وزواج على من فاطمة (عليها السلام) سبعون يوماً فحسب، وكانت معركة قريش لا تزال ترتدى السواد حزناً على قتلها فى بدر، وهى تخطط للثأر من الاسلام ورسوله، وجبهته، حيث أعدت عدتها فعلاً لمعركة أحد، التى نفذت قريش عدوانها من خلالها بعد انتهاء معركة بدر بسنة وأيام، وذلك فى نهاية الاسبوع الاول من شوال عام ٣ هـ.

وتتحدث الوثائق التاريخية احاديث مختلفة حول مجريات الزواج ومراسيمه، ونحاول هنا أن تثبت ما يطمئن إليه العقل والمنطق بعيداً عن عبث التزييف، الذى أدخل - لاغراض سياسية وعقائدية - اسماً واحداً لا علاقة لها بأهل البيت (عليهم السلام)، وشؤونهم، واهدافهم العالية.

فبعد نزول الامر الالهى بتزويج فاطمة (عليها السلام) من على عليه الصلاة والسلام، وإعلان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك فى جمع من المهاجرين والانصار، كما تقطع الوثائق التاريخية (٥٨)، أرسل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض صحابته خلف

علي(عليه السلام)وكان غائباً، فلما مثل بين يديه، تبسّم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وتهلل وجهه فرحاً، حتى رأوا بياض أسنانه يبرق، ثم قال لعلّي(عليه السلام): «يا علي، إن الله أمرني أن أزوّجك فاطمة، وإنّي قد زوّجتها...»(٥٩).

فقال علي(عليه السلام): «قد رضيته يا رسول الله» ثم خرّ على ساجداً لله تعالى شاكراً لئلّائه.

وتشير بعض الروايات الى أن الزواج لم يتم إلّا بعد أن مضى أكثر من شهرين - كما اشرنا - على عقد القران، وكان لعقيل بن أبي طالب(رضي الله عنه) وأم أيمن دور يذكر في مكالمه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)بشأن ادخال فاطمة على علي(عليه السلام)(٦٠).

فلما كانت الليلة التي ادخلت فاطمة على علي(عليه السلام) فيها، أمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)ازواجه أن يزينّ فاطمة(عليها السلام) كما هي عادة النساء في مثل هذه المناسبة.

وهكذا جمعت هذه المرأة الجليّة بين علو المنزلة، وسمو المقام، وبين متطلبات الحالة الواقعيّة للانسان السوي في ممارسة متطلبات الوضع الطبيعى.

وتشير بعض الاثار أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أمر علياً(عليه السلام) أن يقيم وليمة ويدعو المسلمين اليها قائلاً: «علينا اللحم والخبز، وعليك التمر والسمن».

وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قد أشرف بنفسه على إعداد الطعام، حيث أعد من التمر والسمن حيساً، وأمر بكبش فذبح، واعدت نساؤه خبزاً كثيراً.

ثم إن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أمر علياً أن يدعو من أحب الى طعام آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، فأتى مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وكان غاصاً بالصحابة، فاستحيا أن يدعو قوماً دون قوم، فرفع صوته بدعوة من حضر دون استثناء.

وهكذا جاء الناس زرافات ووحداً لتناول طعام أهل البيت(عليهم السلام). يقول علي(عليه السلام): «فاستحييت من كثرة الناس وقلة الطعام، فعلم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ما تداخلني فقال: سأدعو بالبركة».

وهكذا صدر الجميع بعد أن طعموا حتى شبعوا من طعام علي(عليه السلام)، وشربوا من شرابه، وفضل من الطعام شيء كثير، فملئت الصحاف ووجهت الى منازل أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). ثم إن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) دعا بصحفة وجعل فيها طعاماً، وقال: «هذا لفاطمة وبعليها»(٦١).

وعند الغروب دعا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وفاطمة عليهما الصلاة والسلام، فلما وقفا بين يديه اخذ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يد فاطمة ووضعها في يد علي(عليه السلام)، ثم تحدث بهذه الكلمات: «بارك الله لك في ابنة رسول الله يا علي. نعم الزوجة فاطمة. ويا فاطمة نعم البعل علي. انطلقا الى منزلكما...»(٦٢).

وتشير المعلومات التاريخية المتوافرة لدى المسلمين اليوم، أن هناك مراسيم خاصة قد جرت في ذلك اليوم بمناسبة الزفاف، شارك فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأصحاب، حيث تحركت مسيرة تهتف بالتكبير والتهليل لله عزوجل، كما اجتمعت النسوة، واستمعن الى منظومات شعرية رائعة من وحي المناسبة، وقد شاركت في القاء الشعر بعض من أمهات المؤمنين.

وتشير مصادر التاريخ الى أن عاصمة النبوة لم تشهد عرساً كعرس علي (عليه السلام)، فقد صرح الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري (رضي الله عنه): «حضرنا عرس علي، فما رأيت عرساً كان أحسن منه» (٦٣)، كما تحدثت بعض من أمهات المؤمنين عن ذلك، فأعطت انطباعاتاً متميزة من تلك المناسبة الجليلة من ناحية طهرها، وجلالها، وما جرى فيها من فعاليات طاهرة نقية.

(١) رواه في تذكرة الخواص العلامة سبط ابن الجوزي المتوفى عام ٦٥٤ هـ ص ٢٧٦ ط. بيروت ١٩٨١ م (من علماء الحنفية، له مؤلفات، كثيرة منها شرح الجامع الكبير ومراة الزمان في تاريخ الاعيان وغيرها) وروى هذا الحديث عن أنس بن مالك محب الدين احمد بن عبدالله الطبري في ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى ص ٢٩ - ص ٣٠ ط. العراق ١٩٦٧ م بأسناده. ورواه كثيرون (المحب الطبري شيخ الشافعية في الحجاز توفي عام ٦٩٤ هـ ، له مؤلفات كثيرة منها الرياض النضرة في فضائل العشرة، وكتاب السمط الثمين في فضائل أمهات المؤمنين).

(٢) انظر الاصابة للعسقلاني ٤ : ٣٦٥ .

(٣) اخرج المحب الطبري في ذخائر العقبى: ٣٢، وقال: «اخرجه الملا في سيرته» كما اخرج احاديث اخرى، راجع ص ٢٩ - ص ٣٣.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب، الفقيه الحافظ ابو الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الشافعي، الشهير بابن المغازلي المتوفى عام ٤٨٣ هـ ص ٢٤٣. تراجع مصادر الحديث عن الخطيب البغدادي والخوارزمي وأبي نعيم وغيرهم في هامش الصفحة ط. طهران.

(٥) نفسه: ٣٤٤، وتراجع مصادره في هامش الصفحة المذكورة.

(٦) بحار الانوار للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ) ٤٣: ١٤٥ ط ٣، بيروت ١٩٨٣ م. ورواه عن الكليني (ت ٣٢٩). ورواه الشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٤٩.

(٧) راجع أمالي الصدوق: ٤٤٨، المجلس ٨٣، ح ١، ط ٥، بيروت.

(٨) يراجع ابن المغازلي الشافعي في مناقبه، باب تزويج فاطمة بعلی (عليه السلام)، وبحار الانوار للشيخ محمد باقر المجلسي (رضي الله عنه) المجلد ٤٣، وذخائر العقبى للمحب الطبري باب ذكر أن تزويج فاطمة علياً كان بأمر الله عزوجل ووحى منه، وغيرها من المصادر المعتمدة عند المسلمين.

(٩) الروم: ٧.

(١٠) يحتمل أن يكون «أقبل» فعل ماض من الاقبال، وضميره يرجع الى الامام (عليه السلام)، أى وأقبل الى الله تعالى حين التكلم بهذا الكلام بحالة التخشع والخضوع، وفي نسخ (د) و (ب) و (و) «يتخشع» على صيغة المضارع، ويحتمل أن يكون فعل أمر من القبول خطاباً لزرارة، أى واقبل ما قلت لك بقلبك بتخشع وخضوع، إلا أنه لا يناسب رواية «يتخشع»، وفي نسخة (ج) وحاشية نسخة (و) «وقال يتخشع»، أى وقال زرارة يتخشع الامام (عليه السلام) حين التكلم بهذا الكلام. راجع التوحيد، الشيخ الصدوق: ١١٥، ح ١٥، والهامش نقلناه من المصدر، ط. قم ١٣٩٨ هـ.

(١١) البقرة: ١ - ٣.

(١٢) راجع اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات للمرحوم المحدث الحر العاملي (رضي الله عنه)، مقدمة المجلد الاول حول طبيعة الاحاديث الواردة بخصوص معاجز النبي والائمة من أهل البيت (عليهم السلام).

(١٣) بحار الانوار ٤٣ : ١١، ط. بيروت ١٩٨٣ م.

(١٤) ابن المغازلي في مناقبه: ٤٩ بأسانيده، وقال: «أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد وابن حجر في الصواعق المحرقة، والخطيب البغدادي في تاريخه والذهبي في ميزان الاعتدال وغيرهم».

(١٥) اورده النبهاني في الشرف المؤبد: ٥١ ط. بيروت ١٣٠٩ هـ، وقال صاحب اسعاف الراغبين الشيخ عبد المؤمن الاصبهاني الشافعي: «إن هذه الخصوصية لاوولاد فاطمة (عليها السلام) فقط دون اولاد بقية ابنائه (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه اب لهم، وأنهم بنوه، كما يطلق ذلك على اولاد فاطمة (عليها السلام)، نعم يطلق عليهم أنهم من ذريته ونسله وعقبه» هذا وقد روى الحديث الطبراني وغيره بأسانيدهم.

(١٦) في كل هذه النعوت وغيرها نصوص صريحة وصحيحة.

(١٧) المناقب: ٣٤٣.

(١٨) المصدر السابق: ٣٢.

(١٩) ينابيع المودة: ١٧٧، ط ٨ - ١٩٦٦. والحافظ القندوزي من اعلام المذهب الحنفي. توفي عام ١٢٩٤ هـ.

(٢٠) راجع الرواية في البحار ٤٣: ١٢٤ - ١٣٥.

(٢١) انظر تاريخ الخلفاء / جلال الدين السيوطي «توفي عام ٩١١ هـ» فصل «موافقات عمر» ص ١٢٢ - وسنن الترمذي باب مناقب عمر ج ١٣ ص ١٤٣ وج ٥ ص ٢٨.

(٢٢) اخرجه محب الدين الطبري في ذخائر العقبى: ٣٢، وبين ص ٢٩ وص ٣٣ منه احاديث اخرى.

(٢٣) كشف الغمة ١: ٣٥٨، والبحار ٤٣: ١٣٦ نقلاً عن مناقب الخوارزمي.

(٢٤) لاحظ رواية المناقب المروية في كشف الغمة ١: ٣٦٨ - ٣٦٩، وتروى كذلك في البحار ٤٣: ١٣٠.

(٢٥) اخرجه الطبراني ٢: ٤، والبزار، وابن سعد ٨: ٢١، واحمد في مسنده، وغيرهم.

(٢٦) ومن هذه النماذج ابو المؤيد الموفق بن احمد المكي الخوارزمي المتوفى عام ٥٦٨ هـ، صاحب كتاب مقتل الحسين(عليه السلام)، ومناقب علي بن أبي طالب(عليه السلام)، ومناقب أبي حنيفة. وهو من علماء الحنفية، ومثله صاحب ذخائر العقبى، وصاحب تذكرة الخواص وامثالهم، ممن نقل عنهم العلامة ابو الفتح الاربلي في كشف الغمة، والشيخ المجلسي في بحار الانوار، وغيرهما مباشرة او بالواسطة.

(٢٧) لاحظ كشف الغمة في معرفة الاثمة ١: ٣٥٧ - ٣٨٥، والبحار ج ٤٣، وغيرهما.

(٢٨) لاحظ ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، وبحار الانوار ج ٤٣، وذخائر العقبى لمحب الدين الطبري، وغيرهم.

(٢٩) ابن المغازلي، ح ٣٩٩.

(٣٠) كشف الغمّة ١: ٣٥٩.

(٣١) نفس المصدر والحديث السابق.

(٣٢) سنن الدارمي ١: ١٢٥، باب من رخص في الكتابة، وسنن أبي داود ٢: ١٢٦، باب كتابة العلم، ومسند احمد بن حنبل ٢: ١٦٢، و١٩٢، و٢٠٧، و٢١٥، مستدرک الحاكم ١: ١٠٥ - ١٠٦.

(٣٣) المناقب: ٣٤١.

(٣٤) بحار الانوار ٤٣: ٩٢. رواه عن الشيخ الصدوق بطريقتين.

(٣٥) الفرقان: ٥٦.

(٣٦) الرعد: ٣٩.

(٣٧) كشف الغمّة ١: ٣٥٨ - ٣٥٩، وفي البحار ٤٣: ١١٩ - ١٢٠ مثله.

(٣٨) بحار الانوار ٤٣: ١٤١ بأسناده، والحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بأسناده: ١٧٧، وغيرهما.

(٣٩) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ٣: ٢٤٩.

(٤٠) مناقب علي بن أبي طالب للموفق بن احمد المكي الخوارزمي.

(٤١) راجع بحار الانوار ٤٣: ١١٢ بأسناده.

(٤٢) ذخائر العقبي عن أنس بن مالك: ٣١.

(٤٣) نفسه: ٣٠ عن أنس. وفي رواية البحار ورد اسم علي (عليه السلام) بدلاً من عبد الرحمن بن عوف، وفي آخر الرواية إشارة إلى عدم وجوده مع الحاضرين، ثم حضر في آخر اجتماعهم. والصحيح أنه لم يكن حاضراً في الاجتماع في بدايته، والالتباس من الرواة، ولذا لم يرد اسمه كذلك في صدر الرواية في ينابيع المودة: ١٧٥، فراجع.

(٤٤) ذخائر العقبي: ٣٠، وبحار الانوار ٤٣: ١١٩، وكشف الغمّة نقلاً للحديث من هذه المصادر مختصراً.

(٤٥) كشف الغمّة ١: ٣٧٦.

(٤٦) لاحظ هامش ص ١٣٤ من البحار ج ٤٣، ط. بيروت، ١٩٨٣ م.

(٤٧) كشف الغمّة ١: ٣٦٩، والبحار ٤٣: ١٣٠.

(٤٨) الاذخر: حشيش طيب الرائحة. والأدم: جمع أديم وهو الجلد. والآدم: اسم جمع للآديم، وهو الجلد، ويُجمع على أدم.

(٤٩) ذخائر العقبي: ٣٤ - ٣٥.

(٥٠) المصدر السابق.

(٥١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفى: ٢٧٦، ط. بيروت ١٩٨١ م.

(٥٢) الخميل: القطيفة.

(٥٣) إسناده صحيح. وأخرجه احمد في المسند ١: ١٤، والبيهقي في دلائل النبوة ٣: ١٦١.

(٥٤) وفي رواية «مشروطاً» والشريط: خوص مفتول يشترط به السرير ونحوه. القاموس ٢: ٣٦٨.

(٥٥) اخرج الحديث ابن سعد في الطبقات ٨ : ٢٤، والنسائي في الخصائص: ١٣٨، والحاكم في المستدرک ٣: ١٥٧ وصحّحه.

(٥٦) حديث جابر بن سعد يذكره البحار ٤٣: ١٣٩، نقلاً عن كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمحمد بن يوسف الكنجي الشافعي.

(٥٧) انظر أمالي الشيخ الطوسي: ٤٢.

(٥٨) ينابيع المودة: ١٧٥، وغيره.

(٥٩) نفس المصدر والصفحة برواية أنس.

(٦٠) كشف الغمة ١: ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٦١) استفدنا هذه المعلومات من أمالي الشيخ أبي جعفر الطوسي (رضي الله عنه): ٤٠، ط. قم، وبحار الانوار ٤٣: ٩٤ وما بعدها.

(٦٢) البحار ٤٣: ٩٦ نقلاً عن أمالي الشيخ الطوسي.

(٦٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستة للسيد الفيروز آبادي.

مقارنات

توحيد الافعال بين الاشاعرة والعرفاء

* قاسم كاكائي

ترجمة: عباس الاسدي

تعتبر العلاقة بين الله والانسان والعالم أهم مسألة واجهت جميع النظريات التي تمتلك رؤية كونية وتؤمن بوجود الخالق، ويعود الفارق الرئيسي بين هذه النظريات إلى موقفها من الدور الذي يؤديه كل من (الله والانسان والكون) في نظام الوجود، إذ إن بعض هذه النظريات ترى أن الله هو المحور، وبعضها يعتبر الانسان هو القطب، في حين تعتقد نظريات أخرى بالتقسيم العادل للقوة بين العوامل الثلاثة المذكورة.

ويوجد في الفكر الاسلامي اتجاهان رئيسيان فيما يتعلق بأصحاب الرأي الاول، هما الاتجاه الاشعري والاتجاه العرفاني، والمقصود بالاشعري، المذهب الكلامي الذي بدأ مع الشيخ أبي الحسن الاشعري (م ٣٢٤هـ)، وتكامل على يد أتباعه؛ والمراد بالعرفان المذهب الخاص الذي اقترن باسم محيي الدين ابن عربي (م ٦٣٨هـ).

وتجد في ظاهر كلام هاتين الطائفتين تماثلاً في العديد من الحالات في مسائل عديدة، مثل الجبر والاختيار، ونفي الاسباب والعلل، ورؤية الله والتشبيه، والتنزيه وقصور العقل، وعدم مسؤولية الله وارادته المطلقة؛ وقد أدى هذا الامر منذ زمن طويل إلى ظهور بحوث في أوجه التشابه والاختلاف بين هذين الاتجاهين، فاعتبرهما البعض يمثلان شيئاً واحداً، وهاجموا العرفان بحجة الدفاع عن العقل أمام رفض الاشاعرة له؛ في حين انتقد آخرون العرفاء بذريعة الدفاع عن التشيع أمام الاشاعرة السنة؛ وانتهز آخرون الفرصة وراحوا يبلّغون للمذهب الاشعري في إطار العرفان.

وتطرح هذه البحوث أحياناً بشكلها العام المطلق، وتجعل في أحيان أخرى أشخاصاً من مثل ابن العربي وحافظ والمولوى محوراً للحديث، فتعترف بالاتجاه العرفاني لديهم ومن ثم تبحث في انتمائهم المذهبي للاشاعرة؛ وشهد عصرنا الحاضر مثل هذه

البحوث، وطرح على سبيل المثال موضوع الانتماء المذهبي للمولوى، وأنه هل يمثل اتجاهاً أشعرياً فى مذهب الكلامى (١)، أم عرفانه يبتعد عن الكلام الأشعري بحيث أن القياس بينهما ينبئ عن جهل بكلا التيارين الفكرين (٢)؟

ولا يشك أحد أن العرفان والكلام مستقلان عن بعضهما، ومتباينان من حيث الأسلوب والمصادر والادوات المعرفية، وإذا كان ثمة تشابه أو اختلاف بين الأشاعرة والعرفاء فهو يتعلق بالقضايا التي تثير الجدل لدى المذهبين، ولا سيما مسألة «التوحيد الالهي»، فهل ينطلقان من موقفين متماثلين أم متعارضين؟

وإذا كان ثمة اختلاف بينهما فى هذا المجال، فما هو وجه الاختلاف؟ وهل هو بمستوى يجعل منهما اتجاهين متباينين مطلقاً ولا يمكن أن يجتمعا البتة؟

بين ابن العربى والأشاعرة رؤى مختلفة:

الحق أن عرفاء مدرسة ابن العربى يختلفون مع الأشاعرة فى أهم الأصول، التي تعتبر من السمات والخصائص التي تميز الفكر الأشعري عن غيره؛ وفيما يلي نشير إلى عدة أمثلة على ذلك:

١ - من أهم خصائص الفكر الأشعري الذي يعتبر ركيزة أساسية للكثير من نظرياتهم وأفكارهم الأخرى، هو مذهبهم فى مسألة «الحسن والقبح»، واختلافه فيه مع الفكر المعتزلى، حيث يعتبر الأشاعرة هذه المسألة شرعية لا عقلية، فى حين يصرح ابن العربى بخلافه للأشاعرة فى هذا المجال: «الحسن والقبح ذاتى للحسن والقبح، لكن منه ما يدرك حسنه وقبحه... ومنه ما لا يدرك قبحه ولا حسنه إلا من جانب الحق الذى هو الشرع، فنقول: هذا قبيح وهذا حسن، وهذا من الشرع خبر لا حكم» (٣).

ويقول فى مكان آخر فى تقوية مذهب المعتزلة فى مسألة الحسن والقبح: «وهذا مما يقوى مذهب المعتزلة فى أن القبيح قبيح لنفسه، والحسن حسن لنفسه» (٤).

(١) عبد الكريم سروش، فربه تراز ايدئولوژى: ٢٨٥، طهران انتشارات صراط ١٣٧٢.

(٢) الجوادى الاملى، شريعت در آينه معرفت (الشريعة فى مرآة المعرفة): ٢٥٦، طهران، نشر فرهنگ رجا، ١٣٧٢.

(٣) الفتوحات المكية، تصحيح عثمان يحيى ١: ٢٠٦.

(٤) المصدر السابق ٤: ٣٨١.

٢ - من السمات الاخرى فى مذهب الاشاعرة إثبات الصفات الزائدة عن الذات لله تعالى، ولهذا يطلق الاشاعرة على أنفسهم لقب «أهل الاثبات» ليميزوا عن المعتزلة الذين ينفون مثل هذه الصفات، ويخالف ابن العربى الاشاعرة فى هذه المسألة، ويقول: «والمخالف لنا يقول إنه تعالى يعلم بعلم ويقدر بقدرة ويبصر ببصر ... وأجمع المتكلمون من الاشاعرة على أن ثم أموراً زائدة على الذات... لم يجدوا دليلاً قاطعاً على ذلك» (٥).

ويقول فى موضع آخر بصيغة الشعر:

العلم بالاشياء علم واحد والكثير فى المعلوم لا فى ذاته

والاشعرى يرى ويزعم أنه متعدد فى ذاته وصفاته

إن الحقيقة قد أبت ما قاله ولو أنه من فكره وهباته (٦)

ويصرح القيصرى شارح النصوص بأن ابن العربى قصد الاشاعرة فى ذلك (٧).

٣ - ويصف ابن العربى الاشاعرة بالجهل فى باب رؤية الله وانتظارهم رؤيته يوم القيامة بأبصارهم (٨).

٤ - اعتبر ابن العربى جبر العبد غير ممكن، ورأى أن القول بالجبر هو عين القبول بنوع من التفويض فى إرادة العبد، ووصف الاشاعرة بالافتراء (٩) فى القول بالجبر، وقال فى موضع آخر إنها (أى الاشاعرة) تخيلت كذا وكذا (١٠)، واتهمها بعدم الانصاف (١١).

(٥) المصدر السابق ٣: ٢٦٩.

(٦) المصدر السابق ٤: ١١٦؛ وراجع أيضاً: ١: ١٩٣ و ١٩٤.

(٧) شرح القيصري على نصوص الحكم: ٤٩٠، انتشارات بيدار.

(٨) المصدر السابق: ٢٠٦.

(٩) الفتوحات ٤: ٢٨٣.

(١٠) المصدر السابق ١: ١٩٩.

(١١) المصدر السابق ٣: ٢٥٠.

٥ - أن تصور الاشاعرة لحدوث العالم ينتهى إلى تعطيل الفيض الالهي، وقد اتهمت الفلاسفة بالكفر لعدم موافقتهم هذا الرأي، كما يصرح الغزالي بذلك في تهافت الفلاسفة، إلا أن ابن العربي اعتبر هذا القول وهماً، وسلك طريقاً آخر حول نظريته حدوث العالم: «فمن توهم بين الله والعالم بوناً يقدّر تقدّم وجود الممكن فيه وتأخره، فهو توهم باطل لا حقيقة له. فلهذا نزعنا، في الدلالة على حدوث العالم خلاف ما نزعت إليه الاشاعرة» (١٢).

رغم هذه الاختلافات وغيرها توجد أيضاً نقاط التقاء مهمة بين هذين المذهبين، لعل من أهمها نفى كليهما للتأثير ما سوى الله، وبسبب تقارب الرأي وتشابهه في هذه المسألة لم يفرق الكثير من الكتاب بين المذهبين (١٣)؛ وسنشير فيما يلي إلى نقاط الالتقاء، ونتطرق من بعد إلى اختلافهما في مسألة «المحورية الربانية».

الالتقاء بين الاشاعرة والعرفاء

١ - يشترك المذهبان في المصدر المعرفي لهما، وهو القرآن والوحى، إذ يتمسكان لاثبات النظرية التي ينطلقان منها في «المحورية الالهية» بظواهر تُشعر بانحصار العلية في الله تعالى، وتدلل على المقولة المعروفة «لا مؤثر في الوجود إلا الله».

بعبارة ثانية: إن المذهبين يستندان إلى مصدر واحد في هذه المسألة، إلا أن وحدة المصدر لن يضمن وحدة الفهم والتصور والاستلهام منه.

٢ - الشبه الآخر الموجود بين المذهبين هو انتقادهما الشديد للمعتزلة، وتخطئتهما لهذا المذهب في القول بالتفويض وخلق الاعمال من قبل البشر؛ ولما كان النزاع الشديد بين الاشاعرة والمعتزلة قد وضع المتكلمين في معسكرين متجابهين تماماً، كان من الطبيعي أن يتخذ العرفاء والحكماء المتألهين موقفاً يتضمن نوعاً من حسن الظن تجاه الاشاعرة أكثر من المعتزلة، فيعتبروا موقف الجماعة الاولى باطلاً والثانية أكثر بطلاناً.

يقول الامام الخميني (رحمه الله) وهو ينتقد رأى المرحوم المجلسي في مسألة الرزق المقسوم الذي اعتبر رأى الشيعة موافقاً للمعتزلة: «لابد من معرفة أن هذه القضية هي إحدى شعب الجبر والتفويض، حيث لا يوافق مسلك الامامية أياً من الاشاعرة

(١٢) المصدر السابق ١: ٢٠٧.

(١٣) راجع مثلاً: تعليقات أبي العلا عفيفي على فصوص الحكم الذي اعتقد في حالات عديدة بتوحد رأي ابن العربي مع الاشاعرة (٢: ٢٧٧ و ٢٨١)؛ وانظر أيضاً: فربه تراز ايدئولوژی، لعبد الكريم سروش، مقالة: العلية والعدالة عند المولوي.

والمعتزلة، بل إن كلام المعتزلة أدنى وأتفه من الاشاعرة، وإذا مال بعض المتكلمين الامامية - رضوان الله تعالى عليهم - إلى ذلك فبسبب الغفلة عن حقيقة الحال والمآل» (١٤).

وينتقد في موضع آخر المجلسي ويقول: «إن من الصحيح مخالفة الاشاعرة الجبريين، فمسلكهم يخالف صريح العقل والبرهان والوجدان، ولكن ليس في الايات والاخبار وجه لحملها على مذهب المعتزلة المفوضة، فمسلكها أكثر بطلاناً وافتضاحاً من مسلك الاشاعرة» (١٥).

من هنا نلاحظ أن كبار الشيعة يعتبرون خطر التفويض أكبر من خطر الجبر (١٦)، أو يوجهون انتقادات لاذعة إلى المعتزلة، ويجدون الفكر الاشعري أقرب إلى الفكر الديني من فكر الاعتزال (١٧)، ويعتبرون الاشاعرة أصحاب العين اليمنى والمعتزلة أصحاب اليسرى (١٨)، ويخطئون رأي الاعتزال بنسبة مئة في المئة، ورأي الاشاعرة بنسبة تسعة وتسعين في المئة (١٩).

٣ - الشبه الاخر بين التيارين هو احتجاجهم الشديد على الفلسفة المشائية والعقلية المحضة، إذ يرى العرفاء وجود حجاب أمام فلاسفة هذا المذهب، في حين يعتبرهم الاشاعرة من الكفار، ويمكن معرفة مسوغات وجه الشبه في هذا الهجوم المشترك إذا علمنا أن الاشاعرة والعرفاء يعتمدون أكثر ما يعتمدون على القرآن، في حين يعتمد الفلاسفة على البرهان.

٤ - لو دققنا في العاملين التاليين معاً، لاتضح لنا أحد أسرار التماثل بين كلام العرفاء وفكر الاشاعرة:

أولاً: تبين الشواهد التاريخية أن الفكر الاشعري بلغ ذروته اقتداره بعد أن وجه أعنف هجماته ضد الاعتزال، مدعوماً من قبل بعض الخلفاء العباسيين، وبعد ظهور شخصيات كبيرة في التاريخ الاسلامي أمثال الغزالي والفخر الرازي، ومع سطوع نجم الاشاعرة أفل نجم المعتزلة ولم يبق منهم إلا الاسم، فلاحظ ابن رشد في الاندلس - رغم قرب عهده بعهد كبار المعتزلة - لم

(١٤) جهل حديث (الاربعون حديثاً): ٤٧٢.

(١٥) المصدر السابق: ٥٣٧.

(١٦) عبد الله الجوادى الاملى، تقارير درس فصول الحكم.

(١٧) المحقق الدواني، رسالة خلق الاعمال، مجموعة كلمات المحققين، قم، مكتبة المفيد، ١٤٠٢.

(١٨) الملا صدرا، رسالة في الجبر والاختيار.

(١٩) آية الله الشيخ حسن علي نجابت، تقارير درس شرح الاسماء الحسنی.

يوفق بالحصول على كتبهم لمناقشة آرائهم ومعتقداتهم (٢٠)؛ وبهذا أصبح المذهب الاشعري المذهب الرسمي للعالم السني، واعتبرت اصوله وعقائده هي نفسها اصول الدين.

ثانياً: يعتمد العرفاء منهج التسامح والتصديق وليس الجدل والتخطئة، ولهذا فهم غير متشددين في نظرتهم لعقائد الآخرين، وإذا لاحظوا خطأ، حملوه على وجه حسن والتمسوا لصاحبه الاعتذار، كما يوصي بذلك ابن العربي ويقول: «فلا نشتغل بالرد على أحد من خلق الله، بل ربما نقيم لهم العذر في ذلك، للتوسع الالهي» (٢١).

بلحاظ المقدمتين آنفاً، ليس من الغريب أن يُبدى العرفاء تسامحاً مع المذهب الرسمي الغالب، أي المذهب الاشعري، ويوجهونه بما يوافق الرأي العرفاني. يقول ابن العربي بعد رد نظرية الاشاعرة في باب زيادة الصفات على الذات: «والخلاف في ذلك يطول. وليس طريقنا على هذا بُنى أعنى في الرد عليهم ومنازعتهم» (٢٢).

ويعتقد في مكان آخر بعد أن يذكر أقوالاً مختلفة في باب خلق الاعمال بمقولة «العارف تكفيه الاشارة» دون أن ينبري للنقض: «فإني أفصل ولا أعين الامر على ما هو في نفسه؛ لما فيه من الضرر واختلاف الناس فيه، والخلاف لا يرتفع من العالم بقولي، فإبقاؤه في العموم - على إبهامه - أولى، وعلماء رجالنا يفهمون ما أومئ إليه فيها» (٢٣).

وبسبب هذا التسامح يعتقد في مواضع أخرى وفي باب خلق الاعمال بصفة قول المعتزلة بالدليل العقلي، وقول الاشاعرة بالدليل العقلي والشرعي (٢٤).

٥ - الاصره الاخرى التي تربط بين هذين التيارين، تشكلت بطريق الشخصيات الكبيرة التي كانت تنتمي إلى كليهما العرفان والمذهب الاشعري؛ وعلى رأسهم المولوى والغزالي، ومن هذا المنطلق يمكن الحديث عن تحول أو تكامل المذهب الاشعري على يد هذه الشخصيات، ويعتقد الشهيد المطهري أن الكلام اقترب إلى العرفان والتصوف بواسطة الغزالي، وأن المذهب

(٢٠) ابن رشد، الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة: ٦٤، مصر، المكتبة المحمودية، ١٣٨٨.

(٢١) الفتوحات ٣: ٢٧٠.

(٢٢) المصدر السابق: ٢٦٩.

(٢٣ و ٢٤) المصدر السابق ١٠: ٥٠٥، ومع التسامح تطرح هنا أيضاً قضية التقية التي يمكن أن تبرر إلى حد كبير هذا التشابه.

(٢٥) مرتضى المطهري، آشنایى باعلوم إسلامی (الاطلاع على العلوم الاسلامية) ٢: ٤٨ و ٥٠، طهران، انتشارات صدرا.

الاشعري ابتعد بعض الشيء - بواسطته أيضاً - عن الصبغة الكلامية، واتخذ له طابعاً عرفانياً (٢٥). وقيل الشيء نفسه عن دور المولوى، ولاهمية ماله الغزالي من دور في هذا المجال تتوقف قليلاً عند موقفه من التيارين.

أ - الغزالي والمذهب الاشعري: اتفق الجميع على أن الغزالي كان أشعرياً، وهذا المذهب مدين إلى حد كبير للغزالي؛ لأنه أرسى أسس هذا المذهب ورسخها، ووقف بوجه المعتزلة والمدرسة المشائية، وأثبت في كتابه تهافت الفلاسفة أحقية المذهب الاشعري، كما يظهر الغزالي أشعرياً صلباً في جميع كتبه الكلامية، من قبيل قواعد العقائد والاقتصاد في الاعتقاد.

ب - الغزالي والعرفان: يبدو من حياة الغزالي وآثاره، لاسيما ما كتبه في كتابه المنقذ من الضلال، أنه أعرض تدريجياً عن الكلام نحو العرفان، وظهر في آثاره المتأخرة كلاماً عرفانياً كثيراً، واعتبر في مشكاة الانوار أن لطريق العرفان عتبة عالية لا يستطيع المتكلم أن ينالها من خلال رؤيته الكلامية، وهذا هو التكامل، أو التحول من الاشعري إلى العرفان الذي تحدث عنه الشهيد المطهرى.

وإذا كان المقصود بالعرفان هو ما أفرزته مدرسة محيي الدين ابن العربي، فلا بد من أن نقول: إن الغزالي وأمثاله توقفوا في بداية المسار العرفاني بسبب وجود ترسبات التفكير الكلامي والاشعري في أذهانهم، فنلاحظ أن ابن العربي رغم احترامه الشديد للغزالي ونقله الحديث عنه بعدة وسائل (٢٦)، يعتبره زاهداً أكثر من كونه عارفاً (٢٧)، وأنه من عوام طريقة العرفان: «وأما يذكر عامة أهل هذا الطريق، كابى حامد والمحاسبى وأمثالهما من العامة من الرياء وطلب الاخلاص، فإنما ذلك خطاب الحق بلسان العموم، ليعم بذلك ما هو لسان من لا يرى إلا الله. ونحن إنما نتكلم مع أهل الله في ذلك» (٢٨).

ولم يجد فيه فى موضع آخر الذوق اللازم للعرفان الخالص، ويعتبره جاهلاً بالمسائل العرفانية الرفيعة ومنها النبوة المطلقة، وهى غير النبوة التشريعية: «مقام النبوة المطلقة... وهو مقام جليل جهله أكثر الناس من أهل طريقنا، كابى حامد وأمثاله؛ لان ذوقه عزيز» (٢٩).

(٢٦) الفتوحات ١: ١٤٣.

(٢٧) الفتوحات ٤: ٢٣٧.

(٢٨) المصدر السابق ٨: ٤٨٢.

(٢٩) المصدر السابق ١١: ٣٥٨.

ومهما يكن من أمر، فإن العبور من الاشعرية إلى العرفان يستلزم تحولاً يفقد فيه الأسلوب الكلامي صبغته، وتتكامل الأصول الكلامية الاشعرية، وعندها لا يمكن ادعاء العرفان مع الالتزام بمبادئ المذهب الاشعري، وما اعترافات الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال، وتوصياته في مشكاة الانوار إلا دليلاً على صدق هذا المدعى. وعليه فإن الغزالي - خلافاً للمعروف - لم يجمع بين الاشعرية والعرفان، بل اتجه من الاشعرية وسار نحو العرفان سيراً ناقصاً.

بلحاظ ذلك تتضح مكانة المولوى بين الاشعرية والعرفان؛ فإذا أخذنا بعين الاعتبار الفارق العميق بين عرفان محيي الدين ابن العربي وبين الرؤية الاشعرية من جهة والتأثر الشديد لمولانا بعرفان ابن العربي، لاستنتاجنا وجود بائن اساسي بين المولوى والاشاعرة، ولاعترفنا - على الاقل - بتحوله الكبير من الاشعرية إلى العرفان، وقد أشرنا قبل هذا إلى الفوارق بين ابن العربي والاشاعرة. يقول الاستاذ المطهرى عن تأثير عرفان ابن العربي على مولانا: «ارتبط المولوى بمحيي الدين عن طريق معاصره صدر الدين القنوى - أفضل شارحي محيي الدين - وما ورد من مصطلحات محيي الدين في كلام المولوى، فهو في الواقع عرفان محيي الدين وصل إلى المولوى. صحيح أن المولوى كان نابعة، ولكنه كان تحت تأثير عرفان محيي الدين» (٣٠).

لهذا ينبغي أن لا نخدع بالتشابه الظاهري بين كلام الاشعري وقول العارف، ونضع - كما وضع عدد من المحدثين والمتكلمين والكتّاب - عارفاً كبيراً كالمولوى في الصف الاشعري، ونعتقد بأن: «جلال الدين الرومى أشعري في كلامه، أى إنه لا يقول بالعليه ولا بالحسن والقبح الذاتيين للافعال» (٣١).

وقد ارتكب هذا الخطأ محدثون من أمثال المرحوم المجلسي. وهنا نقول مع الاستاذ الجوادى الاملى: «متى كان بإمكان الجمود الاشعري أن يقارن بالشهود العرفاني للعارف الرومى؟ إن سبب هذا الحكم الخاطئ هو الجهل بالمفاهيم والمعاني السامية للرومى في المثنوى ومؤلفاته الاخرى.

فلو توفر للمرء حظ من المعرفة العرفانية، ولم يقف متفرجاً من الخارج على ترتيب الالفاظ والاستماع إلى موسيقى اشعاره فقط لما وقع في مثل هذا الخطأ في الحكم» (٣٢).

على أية حال، فإن الموضوع التالي يلقي المزيد من الضوء على ذلك.

(٣٠) شرح المبسوط على المنظومة ١: ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٣١) عبد الكريم سروش، فربه تراز ايدئولوژي: ٢٨٥.

(٣٢) عبد الله الجوادى الاملى، شريعت در آينه معرفت (الشريعة في مرآة المعرفة): ٢٥٦ - ٢٥٧.

التحول من الاشعرية إلى العرفان

لاشك في أن الفكر الاعترالي لا ينسجم بأى وجه من الوجوه مع النظرة العرفانية؛ بمعنى أنهما لا يتوافقان حتى في الظاهر. أما الفكرة التوحيدية الاشعرية فإنها يمكن أن تشكل جسراً نحو الفكرة العرفانية، بشرط أن تُلطّف وتُعمق. وبعبارة ثانية: إن بإمكان الفكر الاشعري أن يصبح ظاهراً يستطيع العارف من بعده أن يفتح على باطن شهوداته العرفانية.

وعليه إذا نظرنا في ظاهر الامور لاحظنا تشابه أفكار المذهبيين، أما إذا دققنا النظر في بواطنها فنجد أن المسافة بين الفكرين أبعد من المسافة بين الارض والسماء، والفرق بينهما بمقدار الفرق بين الوجود وعدمه (٣٣).

١ - من أهم المظاهر المشتركة بين الطائفتين مسألة انحصار العلية في الله «لا مؤثر في الوجود إلا الله».

ولو أردنا تفسير هذه الفكرة المشتركة وتحليلها، لتوصلنا إلى ان الاشعري يعتقد بمفهوم «لا اله إلا هو»، بينما يعتقد العارف بـ «لا موجود في الوجود إلا الله» و«لا هو إلا هو» (٣٤)؛ ثم إن الاشعري مع قوله بعدم تأثير الاشياء ينسب الوجود إليها، في حين يرى العارف أنها عديمة التأثير ولا ينسب الوجود إليها (٣٥).

بعد أن يعترف المرحوم السيد حيدر الاملى بأن ظاهر كلام الاشاعرة والعرفاء متقارب جداً في باب المحورية الربانية، وأن ذلك يبعث على التوهم بان المراد من «لا مؤثر في الوجود إلا الله» و«لا فاعل إلا هو» شيء واحد، ينزه العرفاء من آراء الاشاعرة، ويقول بان الاشاعرة في قولهم هذا محجوبون، بل مشركون بالشرك الخفى، ولم يبلغوا مرتبة التوحيد الوجودى وهى مشاهدة وجود الحق دون وجود لغيره معه (٣٦).

بعبارة ثانية: إن العارف يرى أن الله تعالى فقط هو الموجود الحقيقى، أما البواقى فهى ظهورات وتجليات له، وأن جميع التأثيرات آتية من ذلك الظاهر والوجود الحقيقى، على رغم اختلاف المظاهر.

(٣٣) المصدر السابق: ٢٥٧.

(٣٤) راجع: الغزالي، مشكاة الانوار: ٥٩ - ٦٠، طهران، انتشارات امير كبير ١٣٦٤:.

(٣٥) المصدر السابق: ٥٥.

(٣٦) جامع الاسرار ومنبع الانوار: ١٤٨، طهران، انتشارات علمي وفرهنگى ١٣٦٦.

بيد أن الأشعري ينسب الوجود إلى الأشياء مع أنه يسلب الأثر عنها، لهذا فهو يواجه - بنظر العارف والحكيم المتأله - التناقض، لأن الإيجاد والتأثير يدور في مدار الوجود (٣٧)، وعليه لا يمكن للشئ الذي ليس له تأثير أن يتصف بالوجود وبالعكس، فلان الوجود منحصر بالله كان الإيجاد والتأثير أيضاً منحصرين به (٣٨).

ويرى المرحوم آية الله الشيخ محمد تقى الاملى أن الأشعري والعارف يعتقدان بانتفاء تأثير الموجودات، وأنه لا مؤثر في الوجود إلا الله، إلا أن سلب العارف للتأثير سلب موضوعي مقترن بنفى الوجود، أما سلب الأشعري فهو في مقام إثبات الوجود (٣٩).

٢ - هنا نصل إلى التباين المهم بين رؤيتي العارف والأشعري في موضوع الجبر، فقد أشرنا سابقاً إلى أن الجبر في رأى العارف غير ممكن؛ لأنه يستلزم وجود طرفين: الجابر والمجبور، في حين لا يوجد عند العارف إلا طرف واحد، فظهور الشئ لم يترك مكاناً للغير:

ليس هذا بجبر وإنما جبار وإنما يذكر للخضوع والتذلل

ومعنى الجبار ظهور الحق تعالى الذى يستلزم هلاك كل شئ، إلا وجهه (كل شئ هالك إلا وجهه)، ولا يتحقق هذا الأمر فى القيامة فحسب، وإنما فى الوقت الحاضر، بمعنى أن الأشياء كلها هالكة حالياً (٤٠). وهذا الرأى يعاكس مطلقاً الرأى الأشعري الذى يعتقد بأن الأشياء لا تملك لنفسها تأثيراً، وإنما هى مجبرة، يؤدى عنها أفعالها غيرها.

٣ - من الظواهر المشتركة بين العارف والأشعري هو الاعتقاد بمبدأ أن الله لا يُسأل عما يفعل، إلا أن الأشعري يعتقد بأن الله تعالى ملك مطلق يحق له أن يفعل ما يشاء فى ملكه دون أن يحق لأحد أن يسأله عن ذلك، فى حين يعتقد العارف أن جميع الأشياء تجدد من أجل الوصول إلى الكمال، ولهذا فمن المعقول أن تُسأل عن أفعالها بصيغته «لماذا؟» لكن الله هو الكمال المطلق، ولا معنى لمثل هذا السؤال عنه.

(٣٧ و ٣٨) ملا هادي السبزواري، شرح منظومة حكمت: ١٨٠.

(٣٩ و ٤٠) درر الفوائد ٢: ٦١، قم، انتشارات إسماعيليان.

(٤١) مشكاة الانوار: ٦٢.

فالسؤال هنا برأى العارف لا يعنى شيئاً، وهذا التصور يختلف عن التصور الذى يركز على أن موارد السؤال موجودة لكننا لا يحق لنا أن نسأل. ويمكن أن نجد التباين العميق بين العارف والاشعرى فيما يلى:

أ - يعتقد الاشعرى بأنه لا يوجد اى وجوب بأى نحو على الله تعالى، أما العارف فإنه رغم اعتقاده بأنه «لا يجب على الله شىء»، يقول بالوجوب على الله على نحو الضرورة الحاصلة من أسماء الله وصفاته، وليست من قبيل الفرض الخارجى.

ب - يعتقد الاشعرى أن فعل الله ليس هادفاً، ولا يتبع تعلق إرادته بالاشياء أى ضابطة وقانون؛ لانه القدرة المطلقة والملك الذى لا ينازعه أحد، أما العارف فرغم أنه يعتقد بالوجود المطلق لله أكثر مما يعتقد الاشعرى (٤١)، وأن علاقة الاشياء بالله ليست علاقة «علة ومعلول» وإنما علاقة «ظاهر ومظهر»، وقد استبدل «العلية» بـ «التجلي» (٤٢)، اعتبر هذا الظهور والتجلي محكوماً بضابطة، فالعارف يُخضع جميع صفات الفعل وأسمائه لصفتي «الحكيم والعادل» ويرى أنهما الغالبان والحاكمان على سائر الاسماء فى مقام الفعل، ويقول بنظام أسماء الله فى العالم (٤٣).

٤ - من الظواهر المشتركة الاخرى بين رؤى الاشاعرة والعرفاء، هو ما يرتبط بباب العقل، هذه الظواهر التى تتكشف فى النزاع مع الحكماء والمشائين، فالاشاعرة وضعوا أكثر من علامة استفهام أمام «حجية العقل» فى الكثير من الحالات، واعتبر العرفاء فى مواضع عديدة «قدّم الاستدلاليون خشية»، ولكن هناك فرقاً كبيراً بين رفض الاشعرى للعقل واعتباره قاصراً من قبل العارف، فأحدهما يتحدث دون العقل والاخر فوقه، وإذا شوهده أن العارف يحقّر العقل أحياناً، فهو يتحدث من موقع الانسان الكامل، ويطلب من أولئك الذين توقفوا فى منتصف الطريق الحركة والارتقاء لمشاهدة ما هو فوق العقل والمرحلة التى تليه؛ ومن هذه الرؤية انطلق كبار الفلاسفة فى أواخر أعمارهم، من أمثال الملا صدرا والشيخ البهائى والامام الخمينى، فى انتقاد الفلسفة، وليست هى عودة إلى الورا، وانتماء إلى المذهب الاشعرى.

٥ - يتضح مما ذكرناه فى باب العقل موضوع آخر حول إنكار العلّية من قبل الاشاعرة والعرفاء، فرغم أن كلا المذهبين يعتقدان فى الظاهر بنفى الاسباب والوسائط، وينسبان جميع الاثار خيرها وشرها إلى الله تعالى، يتحدث احدهما من منطلق المكابرة مع الحس والعقل، والثانى من منطلق الشهود العرفانى: «إن الرومى الذى يقول بتوحيد الافعال لا ينكر أبداً النظام العلّى، والمشهد

(٤٢) المصدر السابق: ٦٣.

(٤٣) راجع: مقالات الكاتب فى مجلة: كيهان أندیشه، ٥٨ع و ٦٠.

الذى يشهده هو مشاهدته محضر علّة العلل، ومن يشاهد علّة العلل فإنه يخضع للعلل دون أن يكذب العلل والاسباب، أو أن يدعو الآخرين إلى الخضوع لها؛ لأن العلّة فى هذا الشهود تعود إلى «النشأ»، وتتخذ جميع الموجودات الامكانية مقام المرايا المختلفة، وتصبح مجارى للفيض» (٤٤).

من هنا يتضح فارق كبير بين العارف والاشعرى فى نفى العلّة، لانه:

أولاً: يُرجع الاشعرى نفى العلّة إلى جرى العادة، فى حين يرتقى العارف فوق العلّة ويخترق العادة، ذلك أن العارف يشاهد قطع الاسباب وفقاً لحكم «تقطعت بهم الاسباب»؛ لانه وصل إلى الفناء بحكم «موتوا قبل أن تموتوا» وقامت قيامته واصبحت عينه بصيرة نافذة.

ثانياً: يعتبر الاشعرى نفى الاسباب والارادة الجزائية لله التى لا تتبع اى قانون امراً واحداً، فى حين يعتقد العارف بأن هناك حكمة تكمن فى «وضع الاسباب» لا توجد فى رفعها، فإذا آمن فى بعض معتقداته بنفى الاسباب ورفعها، فإنه يعتقد ايضاً فى حالات أخرى بوضعها وإثباتها، والفرق بين العارف والاشعرى هو أن الاشعرى يعتقد بأن رفع نظام الاسباب هو من ضرورات القدرة فى حين يرى العارف أن ذلك خلاف الحكمة وناجم عن الجهل: «إنه ما ظهر شىء من ذلك إلا بحركة محسوسة لاثبات الاسباب التى وضعها الله؛ ليعلم أن الامر الالهى لا ينخرم... فيعرف العالم المحقق بهذه الامور والتنبيهات الالهية أن الحكمة فيما ظهر، وأن ذلك لا يتبدل، وأن الاسباب لا تُرفع أبداً. وكل من زعم أنه رفع سبباً بغير سبب فليس عنده علم، لا بما رُفع ولا بما رُفع» (٤٥).

ويقول ابن العربى فى نصوص الحكم بأنه لا يمكن تعطيل الاسباب؛ لانه طرق الوصول إلى المسببات (٤٦).

إذن لابد من القول: إن الفرق بين نفى الاسباب الذى يعتقد به الاشعرى، وقطع الاسباب الذى يشهده العارف هو فرق هائل، والمسافة بينهما كالمسافة بين السفاهة والحكمة أو بين الجهل والعلم.

(٤٤) عبد الله الجوادى الاملى، شريعة در آينه معرفت (الشريعة فى مرآة المعرفة): ٢٥٨.

(٤٥) الفتوحات ٩: ٢٥٥.

(٤٦) شرح القيصري على فصوص الحكم: ٤٦٦.

٦ - من الظواهر المشتركة الأخرى بين الأشعرى والعارف ما يتجلى في فكرة عدم بقاء الأعراض وتبين عبارة «العرض لا ينفي زمانين»، أو يشير إليه العارف أحياناً بعبارة «الخلق الجديد» أو «عدم التكرار في التجلي» فالأشعرى يرى أن الخلق مرتبط بالأعراض دائماً، في حين يعتقد العارف بأن العالم بكل جواهره وأعراضه هو بحكم العرض، ويتخذ شكلاً جديداً في كل آن، وجوهر هذا العالم هو ظهور الحق تعالى الذي يتجلى بمظاهر مختلفة (٤٧).

دفع توهم - تفاوت الشهود العرفاني مع التخيل العرفاني:

قد يتوهم البعض وهو يقارن بين العارف والأشعرى في العقائد التي تجمعهما، من قبيل قول الأشعرى بأنه لا مؤثر غير الله، وذهاب العارف أبعد من ذلك من أنه لا يرى وجوداً غير الله، ومن قبيل اعتقاد الأشعرى بعدم ثبات العرض، واعتبار العارف كل العالم ما سوى الله عرضاً يتجدد باستمرار، قد يتوهم أن العرفاء استلهموا مبادئ الأشاعرة وتطرفوا فيها، كما قيل بأنه من غير المستبعد أن يكون الرأي الأشعرى هو الذي ألهم ابن العربي في قوله بوحدة الوجود (٤٨).

واعتبر جيلسون العرفان النظري لبناونتورا هو استلهم من المحورية الربانية الكلامية: «كلما نسبت الأمور إلى لطف الله استحسنت التقوى فيكم... إن النظرية التي تثقل الكفة الإلهية أكثر انسجاماً مع الخضوع والتقوى؛ لأنها تكشف عن فقرنا لله، وهي أكثر أماناً من النظرية الأخرى، وإذا افترضنا خطأ هذه النظرية فهي لا تمس دين الإنسان وخضوعه، واعتناقها أفضل وأبعد عن الخطر».

ثم يقول في نقد ذلك: «إذا بدأنا من الفرض القائل بأن الوقوف على مسافة من الحدود المرسومة يبعد عن الخطر، فهنا يبرز السؤال التالي: أية نقطة ينبغي الوقوف عندها؟ بل لم الوقوف أصلاً؟ فإذا كان التقليل من تأثير الإرادة دليلاً على التقوى، فهذا يعني أننا قللنا دورها ارتقينا في درجات التقوى، حتى نبلغ مرحلة سلب الاختيار الكامل، وعندئذ سنصل إلى أسمى مراحل التقوى» (٤٩).

من المعتقد أنه لم يتضح هنا الفرق بين التقوى والمعرفة، والفرق بين الزاهد والعارف، ومن ثم فقد تم تصوير العرفان أنه نسج من خيال متكلم متق في غاية تقواه؛ في حين هناك تفاوت كبير بين الحالتين، فكلام المتكلم يتأثر بدوافعه وأهدافه؛ ذلك أن الدافع هو الذي يحثه للدفاع عن الحق ودفع الباطل بأي شكل من الأشكال؛ أما كلام العارف فينطلق من موقف الشهود؛ لأنه

(٤٧) راجع: شرح فصوص الحكم: ٤٣٢.

(٤٨) راجع: تعليقة أبي العلا عفيفي على فصوص الحكم، وقد كرر المؤلف هذا الادعاء في موارد كثيرة من التعليقة.

(٤٩) نقد تفكر فلسفي غرب (نقد الفكر الفلسفي الغربي): ٥٨ - ٦٠، الطبعة الثالثة، طهران، انتشارات حكمت.

يتحدث بما رآه، فحينما يتكلم عن التوحيد ووحدة المؤثر ونفى الوجود ما سوى الله، فهو ليس من نسج شاعر أو خضوع زاهد، فالفرق بين العارف الذى يتحدث فى العرفان النظرى والمتكلم المتقى الذى يتحدث فى الكلام، هو أن الاول يتبع الشهود والثانى ينطلق من الدوافع. وبعبارة ثانية: إن الدافع هو الذى يحث المتكلم المتقى على قبول نتائج تجره إلى القبول بالبراهين، وليست البراهين هى التى توصله إلى النتائج (٥٠)، أما العارف فليست له علاقة بالبرهان، لأن: «أهل الله وجدوا هذه المعانى بالكشف واليقين لا بالظن والتخمين، وما جاءوا به فى هذا الباب بما يشابه الدليل والبرهان، فهو من أجل توعية الاخوة من أصحاب الاستعداد؛ لأن الدليل لا يزيد إلا الخفاء فى هذا الامر، والبرهان لا يزيد إلا الجفاء فى هذا الباب؛ لأن هذا الامر لا يبلغه إلا من هدى، ولا يشاهده إلا من زكى نفسه واقتدى بأهل الله» (٥١).

فإذا تمسك العارف بالادلة النقلية أو العقلية فهو من أجل إيناس الآخرين الذين تغطيهم الحجب (٥٢)، وإلا فإن من يشاهد لا حاجة له بالبرهان.

ويشير ابن العربى فى الفرق بين الكلام والعرفان إلى هذا، ويقول بأن علماء علم الكلام صنعوا هذا العلم لردع العدو دون أن يستقر فى نفوسهم العلم بالله تعالى، ولهذا فإن لطالب العرفان طريقاً آخر (٥٣)، فهو يعتقد بأن المتكلم لاحظ له من علم العرفان؛ لكونه متكلماً (٥٤)، وينظر إلى العارف بما يباين نظره إلى الزاهد والعابد: «وقصدى بأصحابنا أصحاب القلوب وأصحاب شهود المكاشفة، وليس العباد والزهاد، ولا حتى مطلق الصوفية إلا أهل الحق والتحقيق منهم، ولهذا يقال فى علوم النبوة والولاية بأنها وراء العقل» (٥٥).

يتضح مما ذكرناه مما يلى:

(٥٠) مقدمة القيصرى على فصوص الحكم: ٤.

(٥١) المصدر السابق: ٥٨.

(٥٢) الفتوحات ١: ١٥٤.

(٥٣) الفتوحات ٤: ١٦١.

(٥٤) المصدر السابق: ١٦٢.

(٥٥) تفسير آية «شهد الله»: ٦١، آية الله الحاج الشيخ حسن علي نجابت (رحمه الله)، انتشارات الحوزة العلمية للشهيد نجابت في شيراز.

أ - أن العلم بالمؤثرية التامة لله تعالى هو سرّ ربوبى من اسرار الوجود، ولا يمكن بلوغه بالخيال والوهم والقليل والقال والجدل الكلامى، بل حتى بالعقل والبرهان، وإنما طريقه هو السير والسلوك والكشف والشهود، وهذا كنز لا يُنال بسهولة ويسر، ولهذا حينما يشاهد العارف أنه لا مؤثر فى الوجود إلاّ الله يصل إلى واحد من الاسرار الربوبية، وإحدى النعم الكبيرة وهى حقيقة التوحيد(٥٦)، ومعظم الناس محجوبون عن ذلك حتى وإن درّسوا ودرّسوا سنوات طويلة «إن أحد أسباب عدم فهم الناس واحتجابهم عن الله هو عزته، فالعزة الربوبية تمنع من أن تقع كلمة الحكمة وكلمة من كلمات السر الربوبى بيد من هو ليس بأهل، فكيف إذا كان الامر يتعلق بالتقرب الكامل والفهم التام لهذه المسألة؟».

ب - أن هناك مسافة فراسخ بين العرفان والقليل والقال الكلامى، ولا يمكن القول إن عرفان أمثال ابن العربى هو نموذج متكامل لكلام الاشاعرة، وإذا وافقنا أن الغزالي وصل إلى العرفان من خلال الاحتفاظ بموقفه الكلامى، فلا بد من القول: إن كلامه يتعلق بالجدال الاعتقادى والدفاع عن الدين والشرعية، فى حين يرتبط عرفانه بالابتعاد عن الغير والانصراف إلى التصير، وأى من الحالتين ليست نتيجة للآخرى، ولهذا تراه يقول فى مشكاة الانوار بعد أن يبين مختصراً من المسائل العرفانية: «والان سأتوى لسانى؛ لأننى لا أجد فيك قدرة استيعاب أكثر من هذا، ولعلك لا تستطيع فهم هذه الاقوال وتعجز همتك عن إدراك كنهها»؛ ثم ينصح باختيار الكلام الاقرب إلى الفهم، وينصح بترك هذا الصنف من العلم من لا يتسع صدره له(٥٧).

فمن اليسير - إذن - أن نتصور أن العرفان هو النتيجة المنطقية للشك فى تأثير الظواهر الطبيعية، الذى هو بدوره نتيجة منطقية للفكر الاشعرى، كما قال سعيد الشيخ: «مثل هذه النظرة - النظرة الاشعرية حول عدم تأثير العلل الطبيعية - تبعث الشك فى الانسان، لاسيما بخصوص الظواهر الطبيعية، ومن الممكن أيضاً أن تقود المرء إلى معنى عرفانى حاد، بمعنى الحضور فى جميع الاشياء».

(٥٦) مشكاة الانوار: ٦٢.

(٥٧) المصدر السابق: ٦٤.

هذا النوع من الشك والعرفان لا يُفترض أن يكونا متناقضان دائماً، فقد يؤدي الاول إلى الثاني، وهو ما حصل للغزالي كما قيل «(٥٨)».

يصح الكلام آنفاً لو اعتبرنا العرفان نوعاً من التصورات التقوائية، وليس شهوداً عرفانياً، فالفرق بين المعنى الذي يريده الاشعري من عبارة «لا مؤثر في الوجود إلا الله»، وما يفهمه ويراها العارف منها، هو فرق شاسع؛ ولكننا إذا نظرنا إلى ظواهر الكلام فحسب، فعندئذ يمكن القول بأن إضافة بعض العناصر لكلام الاشاعرة، وتهذيب عناصر أخرى فيه يقربان من كلام العرفاء، وهذا ما حصل للغزالي.

(٥٨) تاريخ فلسفه در اسلام (تاريخ الفلسفة في الاسلام) ٢ : ٣٩.

دراسات

ثورة أمّ، و ثورة شعاع (٢)

* الشيخ عيسى أحمد قاسم (البحرين)

المحور الثاني: القيادة

الكلام هنا من أجل أن تتعلم الدنيا شيئاً من الكثير الذى تملكه قيادة الفقيه العادل الكفو، ومن الأكثر الأكثر مما تفيض به قيادة الامام المعصوم من خلفاء الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحق، ومن أجل أن تتعلم الامه من تُقدّم ووراء من تسير، وأى يد تباع، ولمن تُسلم أمانه دنيا ودين. وأى رجل تختار رائداً وأميناً على ما تملك من مقدّرات ومقدّرات فيها وجودها الثمين.

والحديث فى المورد لا يقصد أنه يكون مستوعباً مستقصياً، ولا يقارب أن يكون كذلك، وأنّى له لو أراد؟! ما يطرح الحديث عنه بعد ان من غير استفاضة: المبدئية القياسية الثابتة، والرؤية الموضوعية المتقدمة.

وفى المقدّمه يؤكّد ما هو واضح من أنّ القضايا التى تقف وراء التحركات والثورات أحجام وأوزان، وشأن القيادات هذا الشأن نفسه، وملاءمة القيادة وعدم ملاءمتها لا بد فيه من قياسها إلى القضية التى ترفع رايها، فالقيادات الصغيرة لا تتحمل ثقل القضايا الكبيرة، وكل القضايا تصغر حجماً ووزناً أمام قضية الاسلام فى عمقه وشموليته ودقته وقدسيتها وامتداد آثاره؛ فليس من قضية تتسع بقدر ما يتسع له الاسلام بتنظيمه واهتمامه زماناً ومكاناً، وشعوباً وأمماً، ودنيا وآخره، وليس مثله ما ينظر من الانسان كل كيانه، ويستقصى كل حاجه له، وكل دافع منه، وكل طاقة فيه، ويتحمل مسؤوليه صنعه وتربيته بكل أبعاده مدته حياته وقبل ولادة له وبعد وفاه، وليست هناك قضية تعدل الاسلام علمية وصدقاً وجديّة وعدلاً وحديّة مبدئية وتمسكاً بالحق على الإطلاق.

فقيادة تنهض بثقل هذه القضية وترتفع الى مستواها ليس في حدّ ندرتها ندره، حتى إن لم تكن في الاصل إلا لرسول أو وصى رسول من ثابتي العصمة وكمل البشر على الاطلاق، وإن أثبتتها الدليل بالتبع وللاضطرار لمن هو الاقرب فيما له من مجمل الابعاد الكماليّة العلميّة والايمانية والخلقية ومحصل الخبرة العمليّة من الامام الاصل.

ولندخل الان في الحديث عن البعدين المقصودين لهذا المحور.

١ - المبدئية القياسية الثابتة:

الحاكميّة أساساً إنما هي للمبدأ الذي هو كلمة الله ونهجه وأمره ونهيه؛ فمن هو الحاكم عندئذ إلا من كان يمثّل تجسيدا كاملاً دقيقاً للمبدأ، وكان على مبدئية تامّة هو بها والمبدأ على حدّ سواء ميزانٌ عدل وحق لا ميل فيه ولا خلل، يرجع اليه في وزن القضايا والمواقف والاشخاص والمقدمات والنتائج على الاطلاق.

ولا شخصية تمثّل الاسلام تمثيلاً كاملاً شاملاً دقيقاً وافيّاً كما هي شخصية المعصوم (عليه السلام)؛ لذا فلا امام - إذا حضر - غيره، ولا قيادة سواه، ومزاحمته ظلم وعدوان، والتخلف عنه فسوق وعصيان؛ والمعصوم وحده هو الذي تحرز مصداقيته الكاملة مطلقاً لما في كلمة أبي عبد الله (عليه السلام): «فلعمري ما الامام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله» (١).

ولما كان المعصوم بتمامه من صياغة المبدأ فطاعته ومتابعته إنما هما طاعه ومتابعة للمبدأ، وحاكميته حاكميته، فما هو الحاكم في الناس عندئذ ليس إلا المبدأ.

تلك هي المبدئية القياسية المطلقة، وهي شرط الامامة في حضور المعصوم (عليه السلام)، وفي غيابه يكون التّزلُّ باذن الدليل الشرعي الى مبدئية قياسية دونها؛ تلك المبدئية التي يدخل في قوامها بُعد الفقهانة والعدالة والحنكة والخبرة والرؤية الاسلاميّة في مختلف الأمور، والمستوى النفسي المتميّز وتكامل الشخصية بكل أبعادها بحيث يتحصل من متوسط هذه المواهب والمقومات ما يقدّم هذا أو ذاك بعينه

(١) مصنفات المفيد، المجلد ١١، القسم الثاني: ٣٩.

لموقع القيادة لتفوق متوسط ما هو عليه بما يدخل في صلاحية الموقع بالنسبة الى غيره ممن تكون له تلك المعطيات بدرجته أو أخرى؛ ومن صلبها الفقه والعادلة.

وللمبدئية في صاحبها تجليات لا تخفى في ساحة العمل وعند التحديات. ولتتابع بعضاً من هذه التجليات استرشاداً واستنارة في الامام المعصوم الحسين (عليه السلام)، وفي الفقيه الورع الكفؤ القائد الراحل (قدس سره):

أ - التحمل العلمي للمبدأ:

الامام الحسين (عليه السلام) واحد من الامناء التامين على خزائن علم الرسالات وهو وارث النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وهو من ثقل العترة الذين ثبت قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيهم: «إني تركت فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي؛ ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» (٢). وهو الداخل في أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس - ومنه الجهل - وطهرهم تطهيراً، فلا كلام في تمثيله (عليه السلام) الاسلام تمثيلاً علمياً كاملاً، وفي مرجعيته المطلقة في تلقي واقعة القطعي عقيدة وأحكاماً ومفاهيم وخلقاً وتفسيراً وتأويلاً.

وأما السيد الامام الفاعل الذي لا كلام لاحد فيه هو أنه من الصف الامامي من فقهاء الطائفة الذين لا يعد لهم فقهاء، وواحد من متصلي الفقه والاصول، وغواصي الفلسفة، وهو ربان في العرفان، ومن أبرز من تهيأ له فهم الاسلام الشامل في أبعاده المتعددة في صورتها المترابطة بعيداً عن النظرة التجزيئية الضيقة داخل الاطار الفقهي الخاص، أو الاطار الاسلامي العام، وبعيداً عن مؤثرات الهزيمة النفسية وضيق الافق الموضوعي والنظرة التقليدية الساذجة، مع استرفاد البصيرة الفقهية من نقاوة الروح وصفاء السريرة وصدق النية؛ وقد أثرى المكتبة الاسلامية بكتبه العلمية وكتاباته المعمقة ونتائج قلمه المبدع والمدقق في مجالات العرفان والاخلاق والفلسفة والفقه الاستدلالي وأصول الفقه والحكومة والشعر (٣)؛ هذا الى جانب خطبه وخطاباته طوال عمر حركته المباركة وثورته المظفرة وحكومته العادلة، وفيها الحكمة، والتربية، والفهم الاجتماعي الدقيق، والنظرة السياسية الحاذقة، والبعد الروحي المتألق.

(٢) انظر ميزان الحكمة ١: ١٩١، عن البحار وغيره.

(٣) انظر مجلة الثقافة الاسلامية: ٦٨ - ٦٩، ربيع ١ - ربيع ٢ / ١٤١١ هـ.

ب - الاندكاك في المبدأ:

من أبرز ما يظهر المبدئية النفسية الصادقة في القائد أن تغيب في مواقفه وتأكيداته شخصيته وراء شعاع المبدأ، لا أن يغيب شمس المبدأ وراء شخصيته؛ فالذات التي تتصنم وإن رفعت راية المبدأ فإنها تتخذ من ذلك طريقاً لاستراق عظمة المبدأ وقديسته ومهابته في العقول والنفوس، حتى يكون الاحتلال الكامل لمواقع المبدأ المتقدمة، فتكون القدسية والعظمة قدسية للقائد أولاً وبالذات ثم للقضية ثانياً وبالعرض إن لم يقتصر الاجلال والتعظيم على شخص القائد وينس المبدأ. أما الذات التي تزكى فأول ما تطارده في نفوس الاتباع أن تتعظم ليصغر المبدأ، وأن تذكر لتُنسى الفكرة، وأن يتجاوز بها حد الفقر والامكان ويرتفع بها عن صعيد الرقيّة وذل العبودية؛ فكلما كاد أن يتسلل إلى نفوس الاتباع شعور كاذب برد النصر إلى تدبير القائد وعظمة مواهبه، انقضّ على هذا الشعور يحطّمه وينسفه ويحلّ محلّه توحيد الله، ويرد العقول والقلوب لرؤية بارئها: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهمك إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (٤)، (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (٥)، (قل إنما أَدْعُو رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا) * قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً (٦).

نعم، القيادة الإسلامية الكفوءة الصادقة تبهر وتُسحر، فما لم ير المبدأ الذي يمدّها بالعظمة والجمال يقف النظر عندها ولا يطلب المزيد فيقنع في مسؤوليتها أن تشهد العشاق جمال المبدأ الذي يمدّها وعظمتها التي تسترّف منها بما هي فيض الله ونعماؤه ليكون التوحيد ويكون الاخلاص والتسبيح والحمد لله.

لذا ترى الضراعة والاستكانة واطهار الفقر والضعف أمام الله تبارك وتعالى سيرة دائمة لكل قائد إسلامي حق من رسول أو امام أو فقيه، وفي كل مواقع القيادة على تفاوتها إسراً واجهاراً، ولكل من الاسرار والاجهار في المورد شأن وأى شأن؟!

(٤) الكهف: ١١٠ .

(٥) الاعراف: ١٨٨ .

(٦) الجن: ٢٠ - ٢١ .

وهذا أبو عبدالله (عليه السلام) يقدم لنا دروسه الثرة في هذا الميدان الكبير: فمن أول نصوص الثورة هذا القول لاختيه محمد بن الحنفية:

«ومن ردّ على هذا أصبر حتى يقضى الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب» (٧).

وقال وهو يسلك الطريق الأعظم الى مكة في خروجه من المدينة لا يلوذ بفرار إلى طريق غامض لواز المرتجفين: «لا والله لا أفارقه حتى

يقضى الله، تالياً قوله تعالى: (فخرج منها خائفاً يترقب قال ربّ نجّني من القوم الظالمين)» (٨) مبدياً ضعفه الى الله والخطر الموضوعي الذي

يتهدده، معرضاً عن ذكر صلابته وعلو همته وإبائه.

وقال وهو يخطب خطبته اللاهبة في مكة: «رضا الله رضانا أهل البيت» فما ينبغي أن يتوجه إليه الناس كل الناس انما هو رضا الله الذي يقع

رضاه (عليه السلام) في طريقه، وما على القلوب أن تشغل به عمن سواه؛ إنما هو الله الذي لا يُطلب إلا رضاه، ورضاً فيه رضاه توصلاً إليه.

ويقول في خطبته الثالثة أمام الحرّ وجنوده: «ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغنى الله عنكم» (٩) واللواذ بالله، وإليه اللجأ والانقطاع.

وها هو يمد يد الضراعة إلى الله تبارك وتعالى في أصحابه وأهل بيته: «اللهم إنا عتره نبيك محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أزعجنا

وطردنا وأخرجنا عن حرم جدتنا، وتعدت بنو أمية علينا. اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين» (١٠).

وعندما يجد تكاثر القوم عليه ينقطع إلى ربه قائلاً: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة...» (١١) واسمعه وهو يختم خطابه

في الجيش الاموي بلغه المستخف بالاعداء وما يتهددونه به من الموت مطمئناً إلى رعاية الله ولطفه، متعلقاً بمحبته وطاعته: «وإن لم تقبلوا

(٧) انظر الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين (عليه السلام)، عبدالكريم القزويني: ١٠٠ - ١٠١، عن مقتل الخوارزمي ١: ٨٨، الفصل ٩.

(٨) المصدر الثانوي السابق، والاية ٢١: القصص.

(٩) المصدر السابق: ١٠٠ - ١٠١، عن الكامل ٣: ٢٨٠، والطبري ٤: ٣٠٠.

(١٠) المصدر السابق: ١١٣، عن مقتل الحسين (عليه السلام) للامين: ٩٢.

(١١) المصدر السابق: ١٦٢، عن الكامل لابن الاثير ٣: ٢٨٦.

منى العذر ولم تعطوا النصف من انفسكم (فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون)، (إن وليّ الله الذى نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين)«(١٢).

وعندما يأتي جوابه أيّاً صارماً على قوله قيس بن الاشعث: «أو لا تنزل على حكم بنى عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه» قائلاً: «لا والله لا أعطيهم يدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد» تجده يعوذ بربه الكريم متذللاً بين يديه: «عباد الله إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»(١٣).

ذلك هو الامام الحسين (عليه السلام) لا يكسره أمام الخلق شيء، وكله انكسار أمام الخالق، وهو الصمود والفولاذية موقفاً وكلمة أمام تحديات المبطلين البطّاشين، إلا أنه القلب المرتجف المرتعش بين يدي الله عزوجل على مرأى العدو والصدّيق، مظهرًا ضعفه ووهنه أمام ربه فى أشد المواقف استفزازاً لئلا نعلن حقيقة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله. وحتى عندما يعلن إباءه وشموخه الكبير فيقول: «هيهات منا الذلة» إنما يرجع الامر إلى الادب الذى أدبه به ربه والرعاية التى يريها بها: «يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت...»(١٤).

وهذا التغييب للشخصية وراء عظمة القضية تطالعنا به مواقف الامام الراحل وهو يعكس أنوار السيرة المعصومة من خلالها، انظره متمشياً مع قوله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) إذ يلفت نظر شعبه أن ليس له ولا للشعب فى الاصل من الامر شيء، فيخاطبه: «علينا أن نشكر الله الذى من علينا فأنعم على هذا البلد بذرة من قدرته الازلية فأصبحت قدرتكم اليوم قدرة الهية لا تقبل الضرر»(١٥) وانظره ينطلق بالافتدة إلى بارئها دون أن يقطع عليها طريقها إلى الحق تبارك وتعالى: «إن الله هو الذى غيّر قلوب أبناء هذا الشعب بين عشية وضحاها، وجعل الشعب كله يقف بوجه القوى الشيطانية الكبيرة

(١٢) المصدر السابق: ١٦٣، عن تاريخ الطبري ٤: ٣٢٩، والكمال ٣: ٢٨٧.

(١٣) المصدر السابق: ١٦٧، عن الطبري ٤: ٣٣٠، والكمال ٣: ٢٨٧.

(١٤) المصدر السابق: ١٧٤، عن الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٤.

(١٥) رسالة الثورة الاسلامية: ٥، ٢٩ صفر ١٤٠٤ هـ.

ويكفّ أيديها عن بلادنا، وإنها القدرة الالهية التي ألهمت أعزاءنا الصبر والصمود» (١٦) ويمضى قائلاً بعد كلمات: «وإنها القدرة الالهية التي جعلتكم أيها الشباب في خدمة المستضعفين وفي مؤسسة المستضعفين.. إن الله تبارك وتعالى بقدرته وعنايته وهب القوة لآبناء شعبنا وجعلهم يعملون في رحابه» ويقول في هذا السياق: «وإنها لقدرة الله تبارك وتعالى التي جعلت شبابنا يعشق الشهادة» (١٧).

وها هو السيد الامام يتجاوز بآمال الناس وأمانهم كل الاوزان والاحجام ليشدها بما لله الامر وحده: «فلو غاب رجائي، ولو غاب الآخرون فإن الله موجود» (١٨) وممن يعينهم رضوان الله عليه من الآخرين نفسه وتغاضى عن هذا الذكر لما يتضمنه من الالتفات إلى النفس وخصوصيتها.

وها هو يطارد الصنمية في شعور القوات المسلحة: «وعلى قواتنا المسلحة في جبهات القتال أن تعلم بأنها تقاتل في سبيل الله لا من أجل رئيس الجمهورية ولا من أجل رئيس الوزراء، ولا من أجل الآخرين» (١٩) وهو يدخل هنا نفسه أيضاً في الآخرين امعاناً في صرف النظر عن الذات.

ولتقارن الامة في كل بلادها بين هذه الكلمات التوحيدية وبين الشعارات التي تغرس في أعماق وأفئدة أبناء القوات المسلحة هنا وهناك الولاء للحزب أو الفرد، وإذا ذكر الله معه فإنما يذكر ذكراً اعلامياً توصلياً.

واسمعه مرة أخرى في هذا السياق: «إن جمهوريتكم الاسلامية خالدة لان سندها الله، ولانكم أقمتوها بسواعدكم القويّة من أجل خدمة دين الله؛ فهي لذلك ستبقى إلى الابد ولا خوف عليها من أي شيء» (٢٠).

(١٦) صوت الامة، العدد ٢٦: ٨ صفر / ١٤٠٢ هـ .

(١٧) المصدر السابق.

(١٨) رسالة الثورة الاسلامية، العدد ٣: ٣٩، ذو الحجة / ١٤٠١ هـ .

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) صوت الامة، العدد ٢٠: ٩، ذو القعدة / ١٤٠١ هـ .

نعم القيادة قيادتان: قيادة مبدئية مؤمنة تعطى كل شيء من أجل الله للامة والمبدأ، وتربط النصر بالله ثم الامة والمبدأ، وتتوارى عن الشاشة كي لا ترى الا عظمة المبدأ؛ وقيادة أرضية نفعية تأخذ ظلماً كل نفع، وتدعى زوراً كل نصر. والظهور لها كذباً لا لامة ولا مبدأ؛ وما النصر إلا من تدبيرها، وما العز إلا من فيضها، وما في أيدي الناس إنما هو شيء من فضلها؛ فهي رب الارباب ومسبب الاسباب، ومن قال غير ذلك هلك.

ج - الذوبان حباً في المبدأ:

الذات التي ترى ذاتها مفصولة معنى وقيمه حاضراً ومستقبلاً عن المبدأ قد تلتقي مصلحة معه وقد تنفصل؛ فإن وقعت مصلحة القضية جسراً لمصلحتها فذاك، وإلا فلا أمة ولا مبدأ ولا قيم؛ لذا ما لم تذب القيادة حباً في المبدأ ويملك عليها وعيها وشعورها، ويتمثل وجودها في وجوده فانما يكون الظهور لها على حسابه، ويكون الحساب لمصلحتها لا مصلحته، ولشخصيتها لا شخصيته؛ فذاك التغيب لشخصية القيادة في شخصية المبدأ، والتأكيد لحجمه ووزنه وقيمه والتفاني في وجوده إنما هو شأن قيادة التحدث وجوداً بوجود المبدأ وهامت فيه، ولم تر لها وجوداً ولا حياة على انفصال منه؛ وإذا كانت كذلك لم يكن مبلغها أن تهون عليها التضحية في سبيله، فحسب وإنما ترى موتها حياة إذا كان فيها حياته فيهنأ الموت وتلد المتاعب.

ومن هنا رأى سيد الشهداء (عليه السلام) شهادته وشهادة أصحابه فتحاً: «ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح» ورأى من شدائد الالم الجسدى والنفسى فى ظل نشوة الروح وغبطتها أمراً هيناً: «هون ما نزل بى أنه بعين الله» (٢١) وكان يعيش الروحانية الناطقة بمؤدى هذين البيتين:

تركت الخلق طراً فى هواكا وأيتمت العيال لكى أراكا

ولو قطعتنى فى الحب ارباً لما مال الفؤاد إلى سواكا

(٢١) مقتل الحسين (عليه السلام) للمقرم: ٢٧٩.

ذلك الحب العارم لم يُبقِ في يد الامام الحسين (عليه السلام) شيئاً إلا وضحي به في سبيل الله، ومن أجل عزة الاسلام سعيداً رضيعاً وأن تنفني روحه الطاهرة بذكر الله الجليل الجميل الكبير المتعال، وهو على مقربة من لفظ النَّفْس الاخير مسيحاً مقدساً حامداً شاكراً واثقاً راعياً لانذاً متملقاً موحداً صادقاً، في مناجاة متأججة تنطلق لاهبة من الروح الصاعدة الى رضوان من لم يشغلها يوماً هم عن رضا.

وتلتقينا في تلميذ عاشوراء وخريج مدرسه الحسين (عليه السلام) السيد الامام (قدس سره) روح الفداء في سبيل الله بلا شرط، والتضحية من أجل الاسلام بلا حد؛ ولقد واصل الدرب الطويل لم يهن ولم يكل ولم يعله سأم ولا ضجر ولا فتور، وما شكى يوماً من فداحة الخسائر المادية أيام الثورة، وأيام الحرب المفروضة، وفي عمليات الاغتيال، بل كان يرى في كل ما يحدث من تضحيات وعطاء كبير مفخرة وعزاً، وفي روح الشهادة المتحفزة تقدماً ونصراً وحياءً ومجداً، وما كثرت التضحيات الهائلة في نظر له، وإنما دأبه أن كان يستقل الكثير في سبيل الله.

يقول (قدس سره) في صبيحه اليوم الثاني لاستشهاد محمد علي رجائي ومحمد جواد باهنر - رئيسي الجمهورية والوزراء ذاك الوقت - : «الشعب الذي يعتبر نفسه وكل ما يملكك الله سبحانه وتعالى ويعتقد بأن الرحيل عن هذه الدنيا نحو الخالق والمحبوب هو الهدف والمراد، مثل هذا الشعب لا يمكن لاحد أن يتحداه مطلقاً» (٢٢) وسيدنا الكريم من أوائل أبناء الشعب الذين يعتقدون بأن الرحيل عن هذه الدنيا نحو الخالق والمحبوب هو الهدف والمراد.

ويضيف في السياق نفسه: «فخطأ العدو يكمن في عدم معرفته بالاسلام، فالذين يحتضنون الشهادة ويعانقونها كما يعانقون الاحبة؛ مثل هؤلاء لا تستطيع أى قدرة الوقوف بوجههم» فالشهادة التي تعنى أكبر طفرة في وجود الذات وتحولها إلى اشعاع من اشعاعات الاسلام، وتعنى لقاء أبدياً روحياً بجمال الله وجلاله، وفوزاً برحمته ورضوانه هي هدف يُطلب لا مخوف يُحذر.

والتضحيات عنده (رضي الله عنه) في سبيل الله بلا حد كما تقرره كلمته: «ويجب أن ندافع عن هذا الدين ولو قتلنا جميعاً» (٢٣) قتل للجميع في ايران، أو في أى بلد آخر فيه حياة الدين وانقاذ الارض من الضلال، وفيه رضا الله، وعز الاسلام وهيته وحيث لا تبديل يدخل في

(٢٢) رسالة الثورة الاسلاميّة العدد ٣: ٣٧ ذو القعدة / ١٤٠١ هـ .

(٢٣) صوت الامّة، العدد ٢٠: ١١٨، ذو القعدة / ١٤٠١ هـ .

القليل ولا يستكثر، ولا محذور ولا مخوف حيث يكون القصد لوجه الله والعاقبة رضوانه: «إن الله معنا؛ نحن نعيش مع اسلامنا ونعمل لله، ولماذا يخاف من يعمل لله؟ وممن يخاف من يسير في طريق الله؟» (٢٤).

والجهاد مستر وتمزيق الاجساد لا يمثل تهديداً ما كانت مصلحة الاسلام في المواجهة: «نحن لن نخضع ساعة واحدة للظلم. دع الاسلحة الامريكية والاسرائيلية تمزق أجسادنا، فنحن مصممون على الجهاد ولا يُرعبنا أى شىء أبداً» (٢٥).

وإن الشهادة لغنيمة الاحرار ومحط أمل المتقين من ذوى الشهامة، ولا وحشة على الطريق؛ طريق الله ولقائه ولو خلا من السائرين: «لقد وضعت دمي وروحي الرخيصة على الاكف في انتظار الفوز بالشهادة العظيمة في سبيل الواجب والحق وأداء فريضة الذود عن حياض المسلمين.

ولتكن القدرات والقوى الكبرى وعملاؤها على ثقة بأن الخميني سيواصل طريق الجهاد ضد الكفر والظلم والشرك وعبادة الاصنام حتى لو ظلَّ وحيداً» (٢٦).

ويظل الاسلام ومقتضى مصلحته هو المنظور الوحيد في التعامل مع الاحداث؛ وإذا هدد الاسلام في صلب وجوده لم يُستثن ثمن لانقاذه. يجيب (رضي الله عنه) على مجزرة الفيضية عام ١٩٦٣ م قائلاً: «إن مبادئ الاسلام معرضة اليوم للخطر، القرآن والدين في خطر، ومن هنا فالتقية حرام والكشف عن الحقيقة واجب مهما كلف الامر» (٢٧).

د - التحلى بأخلاقية المبدأ:

أخلاقية المبدأ قد تكفّ اليد عن نصر قريب غير مكلف، وتفرض الاستعلاء على فرص كبيرة مواتيّه حفاظاً على الاصاله، وابقاء على النقاوة، وهى سر الخلود وأساس الدور المطلوب من المبادئ.

(٢٤) رسالة الثورة الاسلاميّة، العدد ٢٧: ٤٠، ذو الحجة / ١٤٠٣ هـ .

(٢٥) صوت الوحدة الاسلاميّة، العدد ١٢٢: ١٥، ١٤١٠ هـ .

(٢٦) البديل الاسلامي، العدد ٣٤، ٢٦ / ١١ / ١٤٠٩ هـ، عن مجلة الوحدة الاسلاميّة.

(٢٧) صوت الوحدة الاسلاميّة العدد ١٢٢: ١٥، ١٤١٠ هـ .

وقد ترفع رسولُ وعى الحسين وأخلاقه الكريمة مسلمُ بن عقيل على نصر فيه رائحةُ الخيانة، وسقى شهيد الطف عطشاناً أعداء جاءوا يطلبون دمه ظلماً من ماء يمدُّهم ببقاء الحياة، ووقف الثائر الحسيني وقد دكَّت صواريخ صدام مدنه وقراه وحصدت الامنين، يذود عن كل مدينة وقرية في العراق قذيفة تنالها من جنود الاسلام، أو موتاً يلحق بريئاً واحداً، وإن صنع ضرب المدن العراقية ضغطاً على الجيش المقابل.

«إن انتقامكم يجب أن تأخذوه من صدام ومن حزب البعث، والان أنتم في عملياتكم تأخذون الانتقام احذروا من أن تطلقوا قذيفة واحدة على مدنيهم، إن مدنيهم هي كمدننا، فكما هي بهبهان مظلومة كذلك هي البصرة مظلومة أيضاً ومنذلي مظلومة؛ إنهم كلهم مظلومون» (٢٨).

وتلازم الاخلاقية الاسلامية السامية هذا القائد الرسالي الفذ في أصعب الظروف وأشدّها ضغطاً، وفي الوقت الذي أجمع فيه الاستكبار العالمي على القضاء على ايران الاسلام وثورتها الاسلامية المباركة عن طريق العدوان الصدامي المخطط والمدعوم عالمياً؛ فلا هذا الاجماع والدعم، ولا التهور والانفلات الجنوني في العدوان الصدامي على المدنيين الامنين بأسلحة الفتك والدّمار، وخرقه لكل الموازين والقيم إلا قيم الغاب وحضارة الغرب الحيوانية المتهتكة، فلا هذا ولا ذاك استطاع أن يحيد بالقائد المبدئي الصلب عن أخلاقه وقيمه وتساميه: «نحن يجب أن نحفظ الجوانب الانسانية حتى الموت والشهادة» (٢٩)، «إنني أريد أن أقول إن حراسنا هم أعزاء جداً علينا، وكذلك هم القوات المسلحة، ينبغي أن يعوا وأن يعرفوا أن السلاح الذي يحملونه يجب أن لا يصحبه غرور» (٣٠).

إن الشخصية الفولاذية هي التي لا تنهار أمام عدو وبطشه، ولا تستطيع استفزازاته أن تميل بها شيئاً ما عن خط مبدئيتها؛ أمّا الذي يستطيع أن يصمد ويحارب ولكن بغير قيمة فهو ضعيف منهارة؛ فالسيد الامام كبير جداً وحديدي جداً بكل معاني الكلمة وأبعادها، وإنه ليرى القوة كل القوة في الوقوف مع المبادئ مهما كلف الامر وأن الضعف والانهيار في أن يستفزك عدوك للتخلي عن قيمك: «إن قصف المدن الايرانية واستشهاد أعزائكم يجب أن لا يفقدكم السيطرة على أعصابكم وتندفعوا الى الانتقام لذلك... ويجب أن تدركوا جيداً بأن عليكم

(٢٨) الشهيد، العدد ١١٧: ٣، ٢ / ربيع ١ / ١٤٠٤ هـ .

(٢٩) المصدر السابق.

(٣٠) المصدر السابق.

أن لا توجهوا حتى رصاصه واحدة الى المدن العراقية» (٣١)، «وإننى أقول لأولئك الأبطال الذين ينزلون الضربات الساحقة بصدام ومرترته بأن قوتكم وقدرتكم يجب ألا تكون دافعاً للانتقام خلافاً لما تنص عليه الأحكام الإلهية» (٣٢) وما أروع ما تسجله كلمته الآتية فى نفس السياق من صرامة مبدئية وصدق رسالى وخلق نبوى كريم، يأبى أن يطلب النصر بالهزيمة والحق بشيء من الباطل الوبىء: «إن الجمهورية الإسلامية ستواصل التزامها بالجوانب الإسلامية والإنسانية مهما كلف الأمر حتى لو كتبت لها الشهادة أو الموت على هذا الطريق، فإن جمهوريتنا جمهورية إسلامية وإن الإسلام هو الذى يحكمها وإن المقييس لدينا هى مقياس إسلامية بحتة» (٣٣).

هـ - الشدة فى ذات الله:

لا تكون مبدئية ما لم تكن نفس تتحمل ثقل المبدأ فى كل الظروف، وتستعصى على المهادنة للقريب والبعيد فى سبيله، وتمرد على الرغبة والرهب فى الذات وفى الحبيب وفى الصديق وفاء للامانة ونهوضاً بالمسؤولية، ومستوى آخر هو الالىق بموقع القيادة ذلك الذى لا يجد أى معاناة داخلية وهو يقدم مصلحة المبدأ على كل شيء؛ لأن أى شيء لا يملك أن يزاحم موقع المبدأ فى نفسه أو يقاربه؛ فكل ما له حب واحد، واحترام واحد، هو منبع كل حب وكل احترام آخر؛ ذلك هو حب المبدأ واحترامه المترشح عن حب الله واجلاله.

والقيادة أمر ثقيل مرهق للعظماء، إن يتحمله متحمل فمن ذلك المستوى، أو ممن لا يأبه لدين ولا معيار عدا هواه وسفاهه.

مضى الامام الحسين (عليه السلام) لا يلوى على شيء فى طريق الشهادة وقد حاولت دنيا الاعداء والاصدقاء وشفقة المشفقين، وشماتة الشامتين، وأمنيات المغرضين، وعويل أرامل المستقبل ویتاماه، وتخذيل المخدّلين، وخيانة الخائنين أن تستوقفه فى نقطة وأخرى من الطريق؛ إلا أنها لم تجد منه الرجل الذى يسمع شيئاً من ذلك فضلاً عن أن يسبب له موازنه ومراجعة.

وها هو قائد الثورة الشعاع لا يزايل بصره مرضاة ربه، ولا يرمى بطرفه إلى غير أمر الله ونهيه، وكأنه ليس فى دنيا الناس برغائبها ومخاوفها، وما تعارفت عليه من مطاببات وتمنيّات ومجاملات تهدم من المبدئية ولا ترمّمها.

(٣١) صوت الوحدة الإسلامية، العدد ٤٦ : ٢ محرّم / ١٤٠٤ هـ .

(٣٢) المصدر السابق.

(٣٣) المصدر السابق: ٧.

هذه كلمة، وكم تحمل هذه الكلمة من انقضااض عفيف على المؤلف الذى قد يؤلم الكثير من الطيبين طيبة بلا دقة أن يتجاوز، فكيف بهذا الانقضااض الشديد: «وأخيراً يجب أن أقول هذا الكلام والله يعلم بذلك، بأننى لست شديداً على الناس العاديين بقدر ما اكون شديداً على علماء الدين الفاسدين. فالساواك عندى أكثر احتراماً من علماء الدين المنحرفين» (٣٤) وكلمة أخرى موجهة للسيد رجائى الذى يضع فيه ثقته: «فى هذا اليوم يجب أن أقول شيئاً إلى السيد رجائى كالذى قلته إلى الرئيس السابق: إن منصب رئاسة الجمهورية سيؤدى إلى الضلال إذا أصبح همّاً دنيوياً لنا» (٣٥). ويضيف مخاطباً له: «لقد كنت بالامس رئيساً للوزراء وقبلها وزيراً وقبلها معلماً وقبلها طالباً ولا يمكنك التنبؤ بما يصيبك بعد ذلك فلربما انفجرت هنا قبله وقضى على الجميع. إذا كان الامر كذلك فلماذا يختلف الانسان قبل وبعد تصديده لمنصب رئاسة الجمهورية؟ إن من دخل نور التوحيد إلى قلبه يرى جميع العالم شيئاً صغيراً جداً أمام عظمه البارى عزوجل» (٣٦) ويقول فى السياق نفسه: «فلو لم يعمل رئيس الجمهورية طبقاً للإسلام فإن ثلاثة عشر مليوناً سيحاسبون فى اليوم الاخر، وإذا وطئت قدماك طريق الضلال فإن الثلاثة عشر مليوناً سيهتفون غدا بالموت لك» (٣٧).

هذه مساحة وفى مساحة أخرى يقول لرسول البابا يوحنا بولس الثانى: «لماذا لا يفكر قداسة البابا فى حماية الشعوب المستضعفة فى العالم» (٣٨)، «وكنا نتوقع أن يسأل كارتر ويستجوبه لماذا سلطتم هذا الشخص أى الشاه المخلوع على هذا الشعب؟ وأن يسأل كارتر الان لماذا أخذتم شخصاً خان وأجرم خلال أكثر من ثلاثين عاماً واحتفظتم به؟ وتريدون التآمر من هناك؟» (٣٩).

وكانت من السيد الامام فتوى ليس غيره أعلم بما تكلف من ثمن، ولكنه الرجل الذى لا يغلو فى نظره من أجل عزة الاسلام والذود عن حماه ثمن، فانطلق فى فتواه باعدام سلمان رشدى مبدئياً، وثبت عليها فولادياً، وميزته فى هذا الموقف ككل موقف له الخشونة الصلبة فى ذات الله، وقد وهم الكفر العالمى أن اعلامه ومختلف تهديداته وضغوطه يمكن أن تردّ قراراً لسليلى الحسين (عليه السلام) وراءه وعى

(٣٤) الشهيد، العدد ٢٨٥، ذو الحجة / ١٣٩٩ هـ .

(٣٥) الشهيد: ٢، ١٨ / شوال / ١٤٠١ هـ .

(٣٦) المصدر السابق: ٣ .

(٣٧) المصدر السابق: ٣ .

(٣٨) الشهيد، العدد ٣٠: ٧، ٨ / محرم / ١٤٠٠ هـ .

(٣٩) المصدر: ٨ .

مدرسته وتقواها وعزيمتها، وكأن كلمات القائد الكبير أرادت هزءاً بالكفر حينما قال: «إن الاستكبار العالمي يتصور أنه إذا جرى باسم السوق المشتركة والحصار الاقتصادي فإننا سنتراجع ونغض النظر عن تطبيق الأحكام الإلهية» (٤٠)، واستبق الأحداث محدراً ضعاف النفوس من انهيار مستقبلهم أمام لغة الأرض وحساباتها: «اننى أخشى أن يأتى محللو هذه الايام بعد عشر سنوات ليقولوا إن حكم الله - يقصد فى حق سلمان رشدى - كانت له آثاره وتبعاته السيئة على علاقاتنا مع السوق الاوربية المشتركة والدول الغربية، وأنه كان ينبغي علينا أن نغض النظر عن الذين وجَّهوا الاهانة والاساءة للإسلام» (٤١).

ذلك هو الامام القائد الذى لا يفوت وعيه أى شيطان مارد وراء القدر سلمان رشدى، وأى تحطيم أريد لهيبه الاسلام، وأى اختبار استهدفه الاشرار. والرجل الذى لا تضعف عزيمته أن يواجه الاستكبار كله، ولا يكبر تقواه أن لا يخشى إلا ربّه. عشقه لله وثقته به تجعلانه فى مواطن الرضا الإلهى لا يسأل: مَنْ سيضاده؟ ولا ما هى الخسائر الدنيوية المترتبة على موقفه؟ وممن تكون التخطئة وممن يكون التصويب؟

و - التسليم والرضا:

من القيادات من يتمتع بالمعنويات الكبيرة ما دام نصر وتفوق، وإذا كانت هزيمة استولى عليه ما يستولى على الصغار من الاندكاك، وقد يؤدى به الامر إلى الانتحار؛ ذلك نمط من القيادات أكبر ما فى طموحه أن ينتصر، والنصر عنده غلبة خارجية فيها الظهور والمكسب المادى والانتفاخ.

وأما الذين لا يرون لهم نصراً إلا فى مرضاة الله، ولا هزيمة إلا فى غضبه فلا يصغرون بشيء ما داموا على طريقه، وكل سعيهم أن يؤدوا حقّ المولى، ويستفرغوا الوسع فى نصره دينه ليستقبلوا النتائج الخارجية من بعد ذلك لهم أو عليهم برضاً وتسليم، مواصلين السعى ما ملكوا جهداً على طريق الله. ومن سخط وهو لا يجد باباً مفتوحاً على ما يرغب ذاب وانفجر وانتحر، وهذا لا يأتى على مجاهد فى سبيل الله وفى

(٤٠) العمل الاسلامي، العدد ٢٩٢، ١٤٠٩ هـ.

(٤١) المصدر نفسه.

واخلص وإن أحاطت به الهزيمة من كل صوب لأن ما في وعيه وشعوره أنه في موطن الشكر لما وفَّق، وأما النصر الفائت فهو أمرُ ربِّه الذي لا يتحمل هو ضمانته، ولا يشك في قدرة الله عليه وحكمته في تأخيرهِ.

هذان التسليم والرضا سمتان بارزتان في القيادة المبدئية يحفظان منها توازنها دائماً، ويبقيانها على الوقار، ويحميان معنوياتها من التصدع، فلا تعرف من هزيمة الداخل شيئاً، ولا من شعور الخسارة ولو فتيلاً.

وهذه وقفه مع أبي عبدالله (عليه السلام) في عاصفات الشدائد: «كأنني بأوصالي تقطعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملان مني أكراشاً جوفاء وأجريةً سغبى لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضا الله رضانا أهل البيت» (٤٢).

وفي جواب كلمة الفرزدق: «قلوبهم معك وسيوفهم مع بنى أمية» قال: «إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريره» (٤٣) والمطلوب كل المطلوب عنده (عليه السلام) الاستقامة على الدرب وأن لا ينحدر حدث مهما طغى بالمرء عن الخط.

وجاء من كلماته سلام الله عليه في اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة في الدنيا وقد اجتمعت عليه كل أصناف الآلام ولم تبق إلا روحه الطاهرة القدسية لم يمسسها ضنى، ولم تل منها الكوارث فكانت منبع الصبر والاحتمال ومحل الرضا والاطمئنان؛ جاء من كلماته: «صبراً على قضائك يا رب لا اله سواك يا غياث المستغيثين، ما لى رب سواك ولا معبود غيرك. صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له...» (٤٤) والكلمة تتجاوز الصبر والنهوض بثقل الآلام والهموم بكفاءة، إلى الاقرار بالمن من الله والعناية واللفظ: «ما لى رب سواك»، فالمقام عنده (عليه السلام) وهو من أشد الكُرب مقام اعتراف بالجميل الإلهي حيث الربوبية المتفردة والامداد والتدبير والعناية والاكرام، ومقام التوحيد العبادى الذى ينطوى على الشكر الخالص والحمد الجليل والثناء الجميل والتكبير والتقديس والتنزيه.

(٤٢) الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين (عليه السلام)، عبد الكريم القزويني: ٧٧، عن مقتل الحسين للامين: ٦٣.

(٤٣) المصدر السابق: ٨٢، عن الطبري ٤: ٢٧٨.

(٤٤) المصدر السابق: ٢٥٢، عن أسرار الشهادة: ٤٢٣، ورياض المصائب: ٣٣.

وينطلق الامام الراحل في التسليم لبارئته والرضا بقضائه وقدره من عبودية الكائنات المحضة المطلقة للمالك الحق الذي لا تخرج من ملكه ذرة ولا ما هو أقل. وفي ظل هذا الوعي المتجذر والشعور المتمكن الضارب تخف على النفس الهلوعة آلامها وتفقد النوازل الثقيلة وزنها: «إن ما يخفف لوعة هذا المصاب وفداحته هو أننا لا نملك شيئاً من أنفسنا وأننا لله وأنا إليه راجعون; وكل ما نملكه أمانة من عند الله تفضل بها علينا ونعود كلنا إليه ثانية» (٤٥).

وكيف يسخط عبد لم يأت عليه آن يملك فيه مما أوتي من نفسه وغيره شيئاً إذا ما استردَّ المالك ما آتى عدلاً وحكمة ولطفاً؟! ما ينبغي أن يقال هنا هو أن مهمات القيادة مهمات ثقال وأن آلام الموقع آلام تدك الجبال، فإما قائد لا يشعر بمحنة ما سلمت له نفسه وشهوته، وذاك في راحة البهائم حتى يحاصر الخطر حياته ومنصبه فيكون الانهيار والتضعع، وإما قائد يحمل همّ الأمة، ويشعر بكل جراحاتها لكن بقلب كبير يمدّه وثوقه بالله، ورضاه بقدره، وتسليمه له صبراً وتفوقاً واستعلاء على ضغط المحن، واستحالة على الذوبان.

٢ - الرؤية الموضوعية المتقدمة:

هذا هو البعد الثاني من بعدين قلنا بالاختصار عليهما في الكلام عن محور القيادة والقيادة الاصيله كما أنها فهم مبدئي معمق شامل، وخبرة اسلامية واسعة، واستيعاب دقيق للاطروحة عقيدة، ومفاهيم، وأخلاقية وأحكاماً، وكما أنها روح زكية نقيه وتقوى ونزاهة، ونفسية عالية صلبة، ومعنويات كبيرة فكذلك لا بد من توفرها على الرؤية الموضوعية الدقيقة والخبرة الميدانية الصادقة والتقدير العملي المتميز، وتشخيص الاوضاع الحاضرة، والنظر الثاقب للتحويلات المتوقعة، وما يمكن أن يتمخض عنه لون التحرك من نتائج من نوع السلب والايجاب.

وتختلف دراسة الموضوع الاجتماعي ومدخلاته عن دراسة الموضوع العلمي البحث; لدخول البعد النفسي بشدة في الدراسات الاجتماعية دونها عادة في الدراسات المقابلة; وترتبط الدراسة الاجتماعية وتشخيص الموضوع المتصل بها بالبعد النفسي بدرجة أشد، حين ترتبط نتائج هذه الدراسة في بعض فروضها بما يقتضى التضحيات الضخمة والمخاطر الهائلة، ولاسيما إذا كان المظنون أو المتيقن أن الكلفة الباهظة تعني عطاء بلا أخذ في هذه الحياة الدنيا.

فى ميدان العلوم البحتة يحتاج الوصول إلى التشخيص الموضوعى إلى الفهم والدقة والخبرة، ويزيد أمر التشخيص الملامس للواقع مؤونة وعدة فى مورد الدراسات الاجتماعية والسياسية مما يرد أن يرتب عليها تحرك تغييرى لا يغرى بمصالح ذاتية وإن أغرى بمصلحة المبدأ.

تشخيص الموضوع هنا محتاج إلى المبدئية التى تقدمت بعض ملامحها، وإلى بصيرة نافذة وخبرة جامعة، بالإضافة إلى نفسية مقاومة لا تغزوها التشكيكات الواهمة فتحول علمها جهلاً، وطمأنيتها اضطراباً، واليقين عندها وهماً، وإلى شجاعة فائقة لا يردّها خطر، ولا يصيبها خور.

فمن غير تلك المبدئية ينقلب الأبيض أسود فى النفس التى لا تحرز فى التحرك مصلحة دنيوية؛ وسطحية النظر وضآلة الخبرة لا يمكن أن تقع على حقيقة موضوع بهذا العمق وله امتداداته المستقبلية الغامضة، والنفس الموهونة لا تصمد لها قناعة أمام التشكيك، وهو كثير فى هذا المجال من الصديق والعدو ومن له شأن ومن ليس له شأن. وإذا لم تكن شجاعة بحجم التحديات، فإن رأى المستتبع للمخاطر تردّه النفس وتسفّفه فلا يكتسب حد القناعة.

وما كان رأى فيه مواجهته لموت محتم وهزيمة مادية واضحة، وتضحية بالولد والعشيرة والاحبة والمخلصين من أهل المودة وتعريض الخلف من الصغار والحريم للاذى البالغ، كما كان فى رأى الذى تشخّص عند الامام الحسين (عليه السلام) وثبت عليه قبل وبعد ما وصلت اليه المعلومات الدقيقة الموثوقة بقتل رسوله إلى الكوفة مسلم بن عقيل، والارتداد عن بيعته تحت عوامل الترغيب والترهيب واساليب البطش الطاغوتى التى مارسها عبيد الله بن زياد.

وقد كان للامام الحسين (عليه السلام) من موفور المواهب الالهية فى ذاته من دون العصمة فوق ما يطمع فيه الكثير من ذوى النباهات والادراكات المتميزة، وهو الذى عايش تقلبات الساحة الاجتماعية والسياسية منذ نعومة الاظفار، ووقف على مراكز القوى ونمط العلاقات، وما يطبع مختلف التيارات والطبقات المهمة بالشأن السياسى آنذاك، وتلك التى تمثّل وفود التحركات، وذلك من خلال الاحتكاك برجال تلك القوى باللقاء والمواجهات، ومن خلال موقعه الملتصق بمركز صنع القرار حيناً، والمعارضة حيناً آخر.

وهذا فضلاً عما له من جهه موروث الوحي ومعين العصمه جعل الوصول إلى صوابه تشخيصه والحكمه الفائقه في قرار الاستشهاد، وما حفّ ذلك من تحضيرات وإعداد كأخذه النساء والاطفال إلى ساحة المعركة في صحراء كربلاء، لا يتمّ لذوى النظر الثاقب إلا من بعد زمن من استشهاد (عليه السلام).

ولقد كان له من يقين الرؤيه، ويقين الوظيفه والتكليف، ومن بنائه النفسى المحكم، وفولاذيه شخصيته ما أفقد الكلمات المخدله، والاقتراحات بتغيير المسار ولو أتت من أكثر الناس شفقه وأصدقهم نصحاً وخبره أن تنال من يقينه، أو تميل بوجهه نظره، وقد سمع منها الكثير المبالغ في الالحاح والتمنى.

ولقد جاء النصّ المبكّر عنه (عليه السلام) الذى يجمع بين شهادته وشهادة صحبه وبين الفتح المبين، فتّمت الشهادة، وكان النصر الذى لم يكن يراه قبل أحد من أهل النظر الحديد، هذه كلمته التى حدّدت الوسيله وأعلنت النتيجة فى أول الطريق: «فإنه من لحق بى منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح» فهو الفجر الذى يشعّ به دم الشهادة والنصر المنطلق من أحضانها.

ونظر قائد الثورة الشعاع بعد زمن فرأى وقته الاقدام كما كان قد رأى الاقدام سيده الحسين (عليه السلام). نظر فشخص، وشخص فقرّر، وقرّر فانطلق لا يستوقفه نداء يستريح ركه المغدّ على الطريق المتعب الطويل.

رأى مأساه أمّه، وشخص ما بيد الاصلاح، وما تملكه يد الافساد الضارب المستطير، وقرّر أن تكون ثورة؛ ثورة كلمه ودم فى وجه عدّه وعتاد، ودعم عالمى ليزيد عصره فى ايران، فى وجه سادس نظام تسليحى فى العالم، ورأى أن يكون فتح لا يلزم أن يكون الفتح العسكرى القريب، ولكنه الفتح الاعمق الذى عبر عنه بفتح الفتوح، ألا وهو حياة الارواح وحياة القلوب، وحيث يكون هذا الفتح الغايه الذى سبق أن استهدفته كربلاء الحسين (عليه السلام) لا بد أن يكون نصر عسكرى ولو من بعد حين.

ومضى السيد القائد مع رؤيته وقراره منطلقاً وحده فى أول الطريق وكلما أسرع الخطا امتدت اليه ألسنه يصل سمعه منها نداءات بتريث، ونداءات باشفاق وتخاذيل، ونداءات بنقد لاذع مرير، ولكن شيئاً منها لا يخترق فؤاده الحصين، حتّى توغل به طريق الكفاح ولحقت به قوافل التأثيرين إلى أن كان التيار المتعاضم والطوفان الكبير.

المحور الثالث: النخبة والامة

أقرب الناس إلى الثورة بعد القيادة فكراً وروحياً ونفسياً واستلهاماً، وقدره على التمثيل لرؤاها وقيمها وآدابها، وعلى التحمل لآعبائها ومسؤولياتها، ومواصلة الطريق هم النخبة الذين تجمعهم والقيادة مدرسه رساله واحده، وهم الشرايين التي تغذي الامه بوعى الرسالة وحسها، وتتدفق بالدم الجديد الذي يعطى لها حياتها ومعنوياتها؛ والامة هي المخزون الكبير الذي يمد الثورة بمقومات المواجهه الشاملة وبالنخب المتجددة، ويتحمل مسؤوليتها على المدى البعيد، والامة هي حقل الثورة الذي تستهدفه بالاعمار، وحضورها الفاعل واستعدادها لان تعطى كل شىء للنصر يجعلان يومه قريباً، ووزنه هائلاً؛ فلا بد من نخبة وامة، والثورة التي لا تجد نخبة واعية، ولا امة فاعلة تبدأ أول ما تبدأ بايصادهما.

ولنقف قليلاً مع كل من النخبة والامة في الثورة الام والثورة الشعاع:

١ - النخبة:

تتميز كل من الثورتين الاصل والامتداد بنخبة نادرة وقعت الموقع المتقدم في نظر القيادة الثائرة، حتى إن كلمة الامام الحسين (عليه السلام) وهو المعصوم الذي لا تخطئ على لسانه الكلمة ولا تأتي أوسع من معناها، قد ذهبت بمنزلة أصحابه في الوفاء والاخلاص وتجسيد القضية والتضحية والفداء عالياً جداً، فلم تقدم عليهم أنصاراً من كل الرساليين من قبل ومن بعد إلا ما أخرجه النص الخاص من امام معصوم، كأمر المؤمنين (عليه السلام) في صحبته ونصرته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). يقول سيد الشهداء (عليه السلام): «أما بعد، فإنى لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابى ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتى» (٤٦) فأصحابه (عليه السلام) على سمو من كلمة، وعلى عظمه من موقف، وعلى سموهم وإخلاصهم قولاً تجدهم اعظم موقفاً وجهاداً فلقد مشوا الى الموت في سبيل الله بقدّم ثابتة، مختارين غير مكرهين، راضين غير ساخطين، مستقلين ما أعطوا غير مستكرهين؛ يرون الموت بأم أعينهم وفرص الحياة مفتوحة أمامهم من إمامهم ومن عدوهم فلا يرون في الحياة طعماً أمام لذة الشهادة في سبيل الله، ولا يوقعون الشهادة منفعلين، وإنما يخوضون اللجة قاصدين لها ببصيرة الموقنين، ووعى حملة الرسالة، وروح البررة الاطهار، والحب والاخلاص لله ودينه وللمؤمنين؛ يقذفون بأنفسهم في قلب معركة طاحنة لا

(٤٦) تاريخ الطبري ٥: ٤١٨، ط. دار المعارف.

يتطلعون فيها إلى نصر ولا دولة يعزّ فيها القريب وينعم الحبيب، بل كلّ تطلعهم أن يبعثوا الامّة من جديد ويُعزّوا الدين على المدى البعيد مرضاة لله وطلباً للقائه.

وهذه مواقف وكلمات من صفوة بعثت أمّة وأحيت ديناً، وحفظت منجزات لتاريخ ضخم من صنّع الرسل والأنبياء والأوصياء العظام، وهى مواقف وكلمات لا زالت قادرة على أن تصحّح وأن تعمر وأن تشيد وأن تنسف بناء فاسداً متهرّئاً، وتقيم مكانه البناء السليم القوى المتين؛ وكلمات أخرى قيلت فيهم تضعهم حيث هم منارات هدى وشوامخ عزّ ونماذج إيمان.

أ - قمة وعى وبصيرة وإيمان:

حبيب بن مظاهر يسجل كلمة تقيّم لأولئك الصفوة وهو يدعو حيّاً من بنى أسد لنصرة أبى عبدالله (عليه السلام): «إنى أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم؛ أتيتكم أدعوكم إلى نصر ابن بنت نبيكم فإنه فى عصابة من المؤمنين الرجل منهم خير من ألف، رجل لن يخذلوه ولن يسلموه أبداً» (٤٧).

هذا التميّز الضخم يطلقه حبيب ليتناول أبعاداً وأبعاداً من الشخصية الإسلامية السويّة بما فيها من دقّة التشخيص والبصيرة فى الدين والاصرار عليه، ومواجهة كل الاحتمالات فى سبيله.

وهذه كلمة أخرى لهذه الشخصية الإسلامية الموعلة فى الايمان والوعى: «أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذريّة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته، وكبار أهل هذا المصر المجتهدين بالاسحار والذاكرين الله كثيراً» (٤٨).

أولئك الذين باتوا ليلة العاشر من المحرم ينتظرون مطلع شمس تخضبه دماؤهم الزكية، باتوا مقبلين على الله بين رакع وساجد وقائم وقاعد فى خشوع المصلّين من ذوى الالباب، وبين تال للقرآن ومستغفر، ولهم دوى كدوى النحل، لكنه الدوى الصاعد إلى السماء الخالد على الدهر، المعلم للأجيال، المتضوّع بعقب التقوى فى وعى، وأريج الايمان فى سداد ورشد.

(٤٧) الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين (عليه السلام): ١٢٥، عن مقتل الحسين: ٩٥.

(٤٨) المصدر السابق: ١٤٢، عن الطبري ٤: ٣١٨.

واحدهم كان برير الذى تقول النوار لقاتله زوجها كعب بن جابر: «أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء؟ لقد أتيت عظيمًا من الامرا! والله لا أكلمك من رأسى كلمة أبدًا» (٤٩).

ومسلم بن عوسجة الذى يستثير شُبَّ بن ربعى - وهو عدو - فرح قاتيله فيقول: «ثكلتكم أمهاتكم! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذللون أنفسكم لغيركم. تفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة! أما والذى أسلمت له، لربّ موقف له رأيته فى المسلمين كريم؛ لقد رأيته يوم سلق أذربيجان قتل ستة من المشركين قبل تمام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟!» (٥٠).

نعم إنهم فرسان مصر وأهل البصائر: يقول بالاول أنهم ثبتوا للموت حين لا يثبت إلا قليل فى الخلق، وبالثانى أنهم لم يعدلوا بالحسين شيئاً.

ب - أمانة قمة ورسالية

مثل: قيس بن مسهر الصيداوى وقد وقع فى يد الحصين بن تميم يمزق رسالته من الامام الحسين (عليه السلام) إلى أهل الكوفة، ويمثل أمام ابن زياد فيرفض أن يعطى معلومه تخدم العدو وإن أنجته من قتل، ويقبل أن يصعد المنبر بعرض من ابن زياد ليذكر سبط رسول الله بما لا يجرى به لسان مؤمن؛ ولكن لا ليفعل وإنما ليؤدى رسالته جاء يفديها بالحياة، وليقول كلمه فيها نصره للقضية وان كان الثمن أن يستثير الطاغية ويواجه بذلك أشد تنكيل، وأقصى عقوبة. صعد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى وآله وأكثر من الترحم على على والحسن والحسين، ولعن عبيد الله بن زياد وأباه وعتاة بنى أمية. ثم قال: «أيها الناس هذا الحسين بن على خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله (عليه السلام) وأنا رسوله اليكم وقد خلفته بالحاجر فأجيبوه» (٥١).

(٤٩) مقتل الحسين للمقرم: ٢٥٠.

(٥٠) تاريخ الطبري ٥: ٤٣٦ ط. دار المعارف.

(٥١) الوثائق الرسمية: ٨٨، عن مقتل الحسين للامين: ص ١٧، والطبري ٤: ٢٨٩.

ويطبق الامام الحسين (عليه السلام) في مورد خبره قوله عز من قائل: (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) (٥٢) لم يردهم عن خط المبدأ، والوفاء بالعهد، وأداء حق الامانة الثقيلة ضئياً ولا موت ولا صعاب.

ج - الوعي الذروة:

«وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين (عليه السلام) فقال: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب عليه وعليهم السلام فقالوا: ما تريد؟ فقال: أنتم يا بني أختي آمنون؛ فقالت له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟!» (٥٣).

هذا وعى ايماني وسياسي ناخج ذروة، يواجه العرض الرخيص من شمر وإن كان فيه الابقاء على الحياة. إن أشبال علي (عليه السلام) ليدركون أن الحسين (عليه السلام) هو الاسلام، والحياة في معزل من خطه حياة في معزل من الاسلام، وهي حياة خواء لا تساوي شيئاً؛ فالشمر هنا إنما يعرض على الفتية الاباء حياة الذل والهوان، ويعرض عليهم خيانة القضية ورمزها الكبير؛ انه يريد أن يأخذ منهم كل شيء والثمن أمان ملعون على حد تعبير الفتية الكرام، ملعون لانه عار، ولانه سقوط وهوان، ولانه انفصال عن الجنة والتحاق بالنار.

هنا وعى ايماني يقدم مرضاة الله على حياة الفانين، ووعي سياسي لا يرى أمناً حقيقياً لجماهير الامّة ونخبها مفصلاً عن أمن القضية والقيادة، ويرى أنه بعد اضطهاد الاسلام ورمزه ليس للآخرين إلا الاضطهاد.

د - القتال المبدئي:

يقف عمرو بن قرظة الانصارى أمام الحسين (عليه السلام) يقية من العدو، ويتلقى السهام ب صدره وجهته فلم يصل إلى الحسين سوء، ولما كثر فيه الجراح التفت إلى أبي عبدالله وقال: «أوفيت يا بن رسول الله؟ قال: نعم أنت أمامي في الجنة فأقرئ رسول الله مني السلام واعلمه أنني في الاثر، وخر ميتاً» (٥٤).

(٥٢) الاحزاب: ٢٣.

(٥٣) مصنفات المفيد المجلد ١١ : ٨٩ .

أَمَّا زهير بن القين فهذا رجزه وهو في الحملة على الاعداء:

أنا زهير وأنا بن القين أذودكم بالسيف عن حسين (٥٥)

ورجز على الأكبر:

أنا على بن الحسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبى

تا الله لا يحكم فينا ابن الدعى (٥٦).

واسمع للعبّاس بن علي (عليهما السلام):

نفسى لسبط المصطفى الطهر وقا إني أنا العبّاس أغدو بالسقا

ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى (٥٧)

ويقول:

والله إن قطعتم يمينى إني أحامى أبداً عن دينى

وعن امام صادق اليقين نجل النبى الطاهر الامين (٥٨)

(٥٤) مقتل الحسين، للمقرم: ٢٤٨.

(٥٥) المصدر: ٢٤٧.

(٥٦) المصدر: ٢٥٧.

(٥٧) المصدر: ٢٦٩.

(٥٨) المصدر السابق.

هذه النماذج تتحدث عن مبدئية حيّة في حضور قوى فاعل لا تتابها غيبوبة لحظة الغليان العاطفي وفوران مراحل الحماس، وهي اللحظة التي تتحدى العقول وتطيش فيها الكلمات؛ فشهداء الطف شهداء الفضيلة والمبدأ والوفاء للإسلام وقيادته بحق، فوعى الهدف وروح الفداء للإسلام والاخلاص الايماني بقيت المنطلق الوحيد الحيّ والمحرك لكل الفعاليات الجهادية والقتالية عندهم حتى لحظة الشهادة، وبهذا يتصف القتال عندهم بالمبدئية الصادقة بحق.

وتتمتع الثورة الشعاع بنخبة من سنخ هذه النخبة لتبرز نموذجاً انسانياً رفيعاً يعلم الوعي والمبدئية والوفاء والفداء. وهذه بعض كلمات القائد الكبير التي تسجل شهادات الرفعة والسمو لعدد من هذه النخبة:

«إن ذكرى الشهيد مطهرى تركت في نفسي وحياتي القصيرة ذكريات خالدة؛ فقد كان هذا الرجل شعاعاً نيراً حتى الضمير، له نفس تعشق الرسالة السماوية... لقد كان الامل أن نقطف من هذه الشجرة الغنية بثمار العلم والايمان أكثر من الثمار التي في أيدينا الان» (٥٩).

«لقد اختطف يد الاجرام الامريكية اليوم، يوم الجمعة، يوم العبادة والصلاة، احدى الشخصيات القيمة الذي كان مريباً كبيراً وعالمًا عاملاً وملتزمًا بالاسلام» (٦٠) وهو يعني هنا السيد دست غيب أعلى الله مقامه.

«ومن أولى بالشهادة من شهيدنا الكبير والفقير الرسالي وفدائي الاسلام الشهيد العزيز صدوقي رضوان الله عليه» (٦١).

«لقد سفكوا دماء أكثر من سبعين مؤمناً ملتزماً وابناً باراً للإسلام كان كل منهم شجرة غزيرة الثمر» (٦٢).

«وهل خسرت ثورة ايران العظيمة عندما قدمت سبعين شهيداً في لحظة واحدة والالاف من الشباب العاشقين لله سبحانه وتعالى؟» (٦٣).

(٥٩) صوت الامة، العدد ١٥، شعبان / ١٤٠١ هـ.

(٦٠) رسالة الثورة الاسلامية، العدد ٦: ٥، ربيع ١ / ١٤٠٢ هـ.

(٦١) كيهان العربي العدد ٨٦، الخميس ١٦ / شهر رمضان / ١٤٠٢ هـ، ٨ / تموز / ١٩٨٢ م.

(٦٢) رسالة الثورة الاسلامية العدد ١٢ - ١٣: ٦ شهر رمضان - شوال / ١٤٠٢ هـ، وقد قال الامام (رضي الله عنه) هذا القول بعد مقتل الشهيد بهشتي مع اثنين وسبعين آخرين من أعضاء الحزب الجمهوري في طهران عام ١٩٨١.

(٦٣) كيهان العربي، العدد ٨٦، الخميس - ١٦ شهر رمضان / ١٤٠٢ هـ، ٨ / تموز / ١٩٨٢ م.

وها هو اليوم القائد العظيم آية الله سماحة السيد على الخامنئي وهو احد رجالات الثورة المباركة وفدائيتها وناشطيتها، صورة حيّة من الامام الراحل الكبير وعياً وصموداً وغيره شديدة على الاسلام، ومواجهته عنيفة للاستكبار، وحنكة سياسية، ورؤية علمية، وشجاعة في الحق وأمانة على مصالح الدين ومكتسبات الثورة، وبعداً عن المحاباة، وشدة خشونة في ذات الله. نعم إنه القائل صدقاً بعد تجربة من العمل الشاهد حقاً: «ماضون على نهج الامام حتى الرمح الاخير» (٦٤) ذلك الامام الذي قال فيه عند اصداره لحكم تنصيبه رئيساً للجمهورية: «وقد منّ الله علينا إذ هدى الرأي العام لانتخاب رئيس جمهورية ملتزم ومكافح وعلى خط الاسلام المستقيم وعالم في الدين والسياسة» (٦٥).

٢ - الامة:

الامة هي المخزون الضخم الذي تستمد منه الثورة عنصر المواجهة مع العدو في الجبهة الامامية والخلفية للمعركة؛ فحين تكون الامة مستوعبة لقيم الثورة، مؤمنة بها، ملتفة بقيادتها، مستعدة للعطاء من أجلها، تكون الثورة مؤمنة إلى حد كبير من حيث متطلبات المواجهة الطويلة المدى، الواسعة الاطار في الكثير من ميادينها، وتعتمد الثورة في مواقعها الشعبية - للتسلح بمقومات المواجهة الحاسمة مع الانظمة الطاغوتية المبنية بناء محكم من ناحية تنظيمية وعسكرية - على عنصر الايمان الفاعل، والارادة الحية المتحركة، وروح العطاء والتضحية عند الامة، في مقابل ما تعتمد عليه تلك الانظمة السلطوية الدنيوية في هذه المواجهة من عنصر الاغراء المادي من جهة والارهاب والبطش من جهة أخرى.

واقدام القيادة والنخبة على المواجهة الحادة مع أى نظام في حالة من غياب الامة، وسقوط فكرها، أو تحجّر ضميرها، أو شلل ارادتها إنما يعنى - في الحالة الواعية غير الانفعالية، والحالة الخاضعة للتخطيط، غير المحكومة للفوضى والانفلات - انتحاراً رسالياً، ورسالة دموية إلى فكر الامة وضميرها و ارادتها، وصوتاً راعداً مزجراً يخترق حالة الجمود والتحجّر الذي تعيشه الامة في وعيها ووجدانها وفاعلية انسانيتها.

والواضح أن ثورة كربلاء لم تجد الامة التي ترتفع إلى مستوى كلفتها، وأكثر ما كانت تعاني منه الامة في كثير من أقاليمها يوم ذاك الانحدار الهائل في مستوى الارادة الايمانية الفاعلة للتأثير السلبي المخطط على القيمة الايمانية ومنطلقات الايمان في النفوس من جهة،

(٦٤) الثقافة الاسلامية: ٧ ربيع ١ - ربيع ٢ / ١٤١١ هـ .

(٦٥) الوثائق الرسمية، عبد الكريم القزويني: ١١١، عن مقتل الحسين للامين. ٩٠.

ولعوامل الارهاب والتحقير والتقزيم التي توسَّل بهما الحكم الاموى للهبوط بنفسية الامَّة، مع القضاء على بؤر الوعي الثورى الايمانى فى عملية تتبع واسعة لحملة الفكر العلوى والنماذج الرسالية الصلبة، والقادرة على الاشعاع والبعث من أبناء هذه المدرسة، وأما التقييم الفكرى فأكثر من وقع فى أسره أهل الشام مركز الخلافة الاموية.

والامام الحسين (عليه السلام) من أعرف النَّاس بالنَّاس من بعد زمانه وعلى مدى المستقبل البعيد، فكيف بأهل زمانه؟ فلم يكن الذى ينخدع بكلمة كاذبة أو وعد غير صادق أو تظاهرة ليس وراءها جد. اسمعه يضع النَّاس كل الناس فى اطار واقعهم الايمانى والنفسى والعملى وربما كانت ترمى كلمته الحكيمه بنظرها بصورة أخص إلى جمهور النَّاس فى الخارج يومذاك ممن يراد لهم أن يشكّلوا جمهور الثورة يقول (عليه السلام): «الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على السنتهم، يحوطونه ما درت معاشهم فإذا مُحْصوا بالبلاء قل الدَّيَّانُون» (٦٦) وتشهد فى كلمته الاخرى فتوراً فى ايمان النَّاس وشللاً فى ارادتهم الايمانية: «ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه» (٦٧)، وهل تخفى عليه نفسه أهل الكوفة يومذاك وهو الذى وقف على أكثر من تجربة من نكوصهم وخيانتهم؟ يقول (عليه السلام): «أجل والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث ثمر، شجاً للناظر وأكلة للغاصب» (٦٨).

سقوط الامَّة هذا السقوط الذريع، والقرار الاموى الحاسم بالاجهاز عليها انتماءً وهوىً، وانعدام الفرصة لتربية الامَّة وبعثها عن غير طريق الثورة وشهادة القيادة والصفوة، حدّدت الطريق امام أبى عبدالله (عليه السلام) لثورة الاستشهاد، وطلب النصر بموت الابهة الكرام فى مواجهة الطغاة اللثام.

كانت الكلمة البركان طوع مقولة الشريف وقد جرَّب كل وسيلة ممكنة لاستئثار الامَّة كى تنتفض لدينها وكرامتها وذاتها، إلا أنها كانت من السقوط والجمود وضياح القيم بحيث لا يستيقظ لها ضمير ولا يهتز لها وجدان ولا تنبث لها ارادة عن طريق الكلمة، ولو كانت كلمة الحسين (عليه السلام) البركان والثورة.

(٦٦) المصدر السابق.

(٦٧) المصدر السابق: ١٧٤.

(٦٨) رسالة الثورة الاسلامية، العدد ١٢، ١٣ / شهر رمضان - شوال / ١٤٠٢ هـ.

فلم يكن بدّ من لغة الدم الاقوى من البركان، والاكثر اشعاعاً من الشمس والاشد دويّاً من الرعود، وليس كل دم كذلك؛ فلا بد من دم الحسين (عليه السلام) والصفوة من عشاق الحسين (عليه السلام)، هذا الدم الفاعل المغيّر القهّار الذي يجدونه دون غيرهم ويجدون به كما لا يجود أحد.

ذلك الدّم، وهو رسالي وجادٌ وفوّار، هو الذي صنع الامة الرسالية الجادة الثائرة، أمة الامام الخميني، وأمة الثورة الشعاع؛ هذه الامة التي تدفّق شبيها وشبابها واليافعون من أبنائها على الجبهات وقصدوا إلى القيادة يتوسلون أن تدعو لهم بالشهادة.

نعم قد نالت يد التغريب والتخريب الاثمة من أبناء ايران الاسلام، وهي يد النظام الشاهنشاهي القذرة، بما أفسد وخرّب وشوّه بالفعل وأحدث في هذا الشعب غربة بشعة عن الاسلام، وبعداً عملياً عن قيمه في مساحة كبيرة من حياة الكثير من أبنائه، إلا أن أمصال الثورة كانت تصل بمادة الحياة والتعلق بالكرامة والحرية والمبدئية إلى أعماق إنسان هذه البلاد من أجيال ثورة كربلاء، عبر منبر الثورة وموكبها وشعارها وثقافتها وروحيتها وهادفتها وتضحويتها مما لم يمكن للخسف أن يصل بتدميره إلى الجذور، وأن ينال أصل الاستعداد للتفجّر يوم البركان ويوم ينادى سليل الحسين (عليه السلام) الخميني الكبير بـ «الثارات الحسين» فكانت كربلاء الثورة الامّ تحضيراً لامة تحمل رسالتها في يوم من الايام وتحمل أعباءها الثقيلة بكفاءة كما كان أنصار الحسين، وتحقق نصراً ساحقاً تحت قيادة مؤمنه فولاذية من صناعة مدرسة الحسين (عليه السلام).

والامام الخميني (قدس سره) أعرف بعطاء كربلاء، واكثر ايماناً بفضلها، وقد حرص أن تسجل كلماته الشريفة هذا الايمان العميق تعليماً للامة وتذكيراً لها واصراراً على انشادها بيوم الحسين (عليه السلام)، يقول (قدس سره): «وثقوا أن انتفاضة (١٥) خرداد لم تكن لتحدث لولا هذه المجالس والموكب، ولولاها أيضاً لما استطعنا أن نحبط كل تلك المؤامرات العالمية التي تحاك ضدنا من جميع الجهات» (٦٩). وهو يرى أن هذا البكاء يصنع شعب الملاحم (٧٠).

(٦٩) المصدر السابق .

(٧٠) سلسلة الولاية للثقافة ١٥ : ٥ - ٦ .

وكلمة أخرى: «البكاء على الشهيد هو لبقاء الثورة حيّة، وحتى الذي يُظهر الحزن على قسّمات وجهه ويتباكى فهو يحافظ بدوره على هذه الثورة، ويشارك في المحافظة على ثورة الحسين» (٧١) ومن هذه الكلمات المشاعل: «يجب أن نعلم جميعاً أن طريق الوحدة بين المسلمين هو هذه المراسم السياسيّة، مراسم عزاء الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) ولا سيما سيد المظلومين وسيد الشهداء أبى عبد الله (عليه السلام)، وهى الصائنة لهوية المسلمين وبالأخصّ شيعة الأئمّة الاثني عشر عليهم صلوات الله» (٧٢) والمآتم عنده (رضى الله عنه) تستثير عواطف الخير على طريق الثورة الاسلاميّة المباركة وتحشد الهمم، وتزرع التوق اللاهب للشهادة: «إن إقامة المآتم هى التى تحرك عواطف النَّاس وتجعلهم على استعداد للقيام بكل شىء، والنَّاس حينما يرون أن سيد الشهداء ضحّى بشبابه هكذا، فستهون عليهم التضحية بشبابهم، وهذا هو المعنى الذى انعكس على جميع جوانب ثورتنا، وإن جميع أبناء شعبنا يتمنون الاستشهاد فى سبيل الله» (٧٣) فأئمّة الثورة الخمينيّة المباركة هى من صناعة الثورة الحسينيّة المعطاء، وهذا ما تصرّح به ثانيّة الكلمة الاتية: «إن مجالس العزاء والنياح على سيد المظلومين وابرار مظلوميّة انسان ضحّى بنفسه وأولاده وأصحابه فى سبيل الله ورضوانه، هى التى صنعت الشباب الذين توجهوا نحو جبهات القتال وهدفهم نيل الشهادة فى سبيل الله، ويفتخرون بالاستشهاد ويحزنون إن لم يستشهدوا فى هذا الطريق، وهى التى صنعت الامهات اللاتى حينما يفقدن شبابهن يقلن: ما زال لدينا واحد أو اثنان من الاولاد، إن مآتم العزاء ودعاء كميل وسائر الادعيّة هى التى تربي النَّاس بهذه الصورة» (٧٤).

فثورة كربلاء وهى المدرسة الحيّة المتحركة قادرة بما تزخر من دروس الفداء والتضحية والتلاحم والايثار وتجاوز الذات، وبما يتفجر عنها من هدى ونور وأشواق إلى الله، وتتدفّق به من معانى المروءة والشجاعة والاباء، ويشع من كل جنباتها من وعى وبصيرة؛ قادرة على أن توجد أمة الثورة، وأجيال الجهاد.

(٧١) المصدر السابق: ٧ - ٨ .

(٧٢) المصدر السابق: ٩ - ١٠ .

(٧٣) المصدر السابق: ١٠ .

(٧٤) صوت الامّة، العدد ١٠ - ١١: ٩، صفر - ربيع ١ / ١٤٠١ هـ .

ولقد كان ايمان السيد الامام بالامّة التي صنعتها كربلاء وقيمها الرفيعة ودروسها الحيّة ايماناً كبيراً وثقته بها عالية، واهتمامه شديداً، وعنايته فائقة وتعويله عليها بعد الله واضحاً، ولم يفتأ تشيّد كلماته بشعب الثورة وتضحياته الكبار وملاحمة البطولية الرائعة، ونهافته على الشهادة في سبيل الله واعزاز دينه ومن أجل الارض الاسلامية الغالية ومكتسبات الثورة المقدسة. وهذه كلماته التي يعبر فيها عن اعجاب كبير بشعب الحسين (عليه السلام) شعب الثورة الشعاع فيقول: «لم ير التاريخ الاسلامي - سوى في برهة من تاريخ صدر الاسلام - شباباً مثل شباب ايران اليوم، ولم يسجل التاريخ في طياته عن شعب مثل شعبنا؛ ففي أى جزء من التاريخ يمكنكم العثور على شباب يندفعون بمثل هذا العشق للدفاع عن وطنهم وفي أى مكان شاهدتم شعباً يعشق الشهادة؟!» (٧٥).

ويقول: «إن المرأة التي فقدت ابنها في الحرب تأتي وتقدّم أبناءها الآخرين في سبيل الله (الاسلام)، ويأتى الشيخ الذى فقد ولده في الحرب ويطلب أن يذهب بنفسه إلى القتال ليستشهد في سبيل الاسلام، ويأتى شباب يطالبون بالدعاء لهم لكي يستشهدوا في سبيل الله» (٧٦).

وها هو يخاطب خريجي مدرسة عاشوراء في الفداء والعشق الالهي: «أعزائي... يا من تنير للعالمين مجالس ذكركم ودعائكم ومناجاتكم في الليالي... وتضىء كالنجمّة اللامعة في الجبهات... ويصمد يومكم كيوم عاشوراء أمام اليزيديين» (٧٧)، وتراه يسجل بكل تواضع اعترافاً للامة بدورها الضخم وينسى ذاته وعطاءاته الثرة وثورته المحركة وقيادته الحكيمة أمام الشهيد (حسين فهميده) الذي له من العمر ١٢ عاماً فيقول: «إن قائد الامة هو ذلك الطفل الذي له ١٢ سنة من العمر، وإنه بقلبه الصغير أكبر قدراً من مئات ألسنتنا وأقلامنا» (٧٨).

ويأتى تعبيره عن الاهتمام بالشعب المضحي والامة المجاهدة واضحاً صريحاً مشفوعاً بالاشادة والتكريم: «هذا الشعب أوصلنا إلى هذه المنزلة، فالعمل لصالحهم واجب وخدمتهم واجبة، فليعلم السيد رئيس الجمهورية بأن أبناء الشعب الذين يسرون في الازقة والاسواق هم الذين أتوا به إلى هنا من باريس ليصبح رئيساً لهم فعليه القيام بخدمتهم، كما أن على السيد رئيس الوزراء أن يفكر بهذا الامر جيداً، لانه

(٧٥) الشهيد، العدد ٧٣، ١٣ / محرم / ١٤٠٢ هـ.

(٧٦) المصدر السابق، العدد ٨٦ - ١٦ / شعبان / ١٤٠٢ هـ.

(٧٧) سلسلة الولاية للثقافة ٧ : ٢٦.

(٧٨) صوت الامة، العدد ١٠ - ١١ : ٧، ١٤٠١ هـ.

يعلم أن هذا الشعب هو الذى تمكن أن يطلق سراحه من السجن ويجعله الآن رئيساً للوزراء، وكذلك أنتم أيها السادة المحترمون كانت بلادنا سجناً ومعتقلاً عظيماً ونحن السجناء فيه، وهذه الايام التى نعيشها هى من صنع ارادة شعبنا» (٧٩). هذا من خطاب لبنى صدر وبازركان، وفى خطاب لرجائى تغمده الله برحمته ولسائر المسؤولين عند رئاسته للجمهورية قال: «يجب عليكم أن تعملوا وتسعوا من أجل هذا الشعب الذى عانى طوال تاريخه، وضحى بشبابه للقضاء على النظام البائد وجاء بكم إلى الحكم» وأضاف فى السياق نفسه «فيجب عليكم جميعاً أن تبدلوا كل ما فى طاقتكم من أجل خدمة المستضعفين والمحرومين الذين عانوا طويلاً من الاستضعاف والحرمان ولم يحسب لهم أى حساب، فكل ما كان يُنفذ كان يصب فى صالح الطبقات المرفهة والغنية من المجتمع. عليكم دعم ومساندة المستضعفين الذين يضخون بأرواحهم على الجبهات وخلفها» (٨٠).

وهكذا يصبّ الامام الكبير اهتماماً مركزاً على أمة الايمان والجهاد والعطاء والعناية بأمر دينها ودنياها، ملفتاً كثيراً إلى الطبقات المستضعفة والمحرومة لأنها وقود الثورة وخزين مادتها، ولأنها أول ما يكون عنها التشاغل والتغافل؛ فكم كانت الامة وقيّة لقائدها؟! وكم كان قائدها وقيّة لها بحق وصدق!؟.

(٧٩) الشهيد: ٣، ١٨ / شوال / ١٤٠١ هـ .

(٨٠) الوثائق الرسمية، القزويني: ١٠٠، عن الكامل ٣: ٢٨٠، والطبري ٤: ٣٠٠.

تحقيقات

الفاظ حديث « فاطمة بضعة مني » وموارد نقله عن النبي(ص) (٢)

* الشيخ محمد جعفر الطوسي

سبق منا في العدد السابق البحث عن مصادر حديث «فاطمة بضعة مني»، ولا شك بأنه حديث صحيح كما شهد بذلك أئمة أهل الحديث، منهم البغوي المتوفى سنة (٥١٦) في مصابيح السنة (٤ / ١٨٥) وغيره.

وفي هذه الحلقة نشير إلى الالفاظ المختلفة التي نقل بها الحديث الشريف، وكذا نذكر الموارد والمناسبات التي نقل الحديث بشأنها.

١ - فاطمة بضعة ([١]) مني فمن أغضبها أغضبني ([٢]) ([٣]).

٢ - إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ([٤]).

٣ - إنها بضعة مني يرييني ما رابها ويؤذيني ما آذاها ([٥]).

٤ - إنها بضعة مني يغضبني ما يغضبها ([٦]).

٥ - فاطمة شجنة ([٧]) مني يبسطني ما يبسطها ويقبضني ما يقبضها ([٨]).

٦ - إنما فاطمة ابنتي بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها ([٩]).

٧ - إنما فاطمة ابنتي بضعة مني يرييني ما رابها ويؤذيني ما آذاها ([١٠]).

([١]) هناك اتفاق بين أرباب أهل اللغة أن البضعة - بالفتح - بمعنى القطعة، وقد تكسر، وقد صرح بعضهم بأن البضعة القطعة من اللحم. قال ابن دريد (ت / ٣٢١) : «البضعة: القطعة من اللحم، وفلان بضعة من فلان إذا أشبهه» [جمهرة اللغة ١ / ٣٥٢]. وقال ابن فارس (ت / ٣٩٥) ناقلاً عن الأصمعي إن البضعة قطعة من اللحم مجتمعة [معجم مقاييس اللغة ١ / ٢٥٥]. وقال الراغب (ت / ٥٠٢) : «وفلان بضعة مني جار مجرى بعض جسدي لقربه مني» [المفردات في غريب الحديث ٥٠].

([٢]) قال السهيلي: «فهذا حديث يدل على أن من سبها فقد كفر، ومن صلى عليها فقد صلى على أبيها» [الروض الانف ٢ / ١٩٦]. وقال القسطلاني: «وحينئذ فمن آذى فاطمة فقد آذى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأذاه حرام اتفاقاً» [إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري ١ / ٥٩٦].

([٣]) صحيح البخاري ٤ / ٢١٠.

([٤]) صحيح مسلم ج ٤ / ١٩٠٢ ب ١٥٥ ح ٩٥ / ٩٤ / ٩٣.

([٥]) سنن الترمذي ٥ / ٦٥٥ ح ٣٨٦٧.

([٦]) الشفاء: ٢ / ٣٠٨.

([٧]) الشجنة: الشعبية من الشي [لسان العرب ٧ / ٣٩].

([٨]) مسند الامام أحمد ٤ / ٣٢٢.

([٩]) سنن الترمذي ٥ / ٦٩٨ ح ٣٨٦٩.

- ٨ - فاطمة مضغة ([١١]) مئى ([١٢]).
- ٩ - إنها فاطمة بضعة مئى ([١٣]).
- ١٠ - إن فاطمة مئى ([١٤]).
- ١١ - فاطمة بضعة مئى يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها ([١٥]).
- ١٢ - فإنما ابنتي بضعة مئى ([١٦]).
- ١٣ - إن فاطمة جزء مئى ([١٧]).
- ١٤ - إنما فاطمة بضعة مئى ما آذاها آذاني وما رابها رابني ([١٨]).
- ١٥ - إنما فاطمة بضعة مئى يسرني ما يسرها ([١٩]).
- ١٦ - إنما فاطمة بضعة مئى يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما أغضبها ([٢٠]).
- ١٧ - إنما فاطمة بضعة مئى يربيني ما رابها ([٢١]).
- ١٨ - فاطمة بضعة مئى من آذاها فقد آذاني ([٢٢]).

([١٠]) حلية الاولياء لابي نعيم ٢ / ٤٠.

([١١]) المضغة: القطعة من اللحم [إنهاء ابن الاثير ٤ / ٣٣٩].

([١٢]) مسند أحمد ٤ / ٣٢٣.

([١٣]) مسند أحمد ٤ / ٥.

([١٤]) الجامع في العلل ومعرفة الرجال لاحمد بن حنبل ٢ / ٢٢٢.

([١٥]) المستدرک على الصحيحين ٣ / ١٥٨.

([١٦]) مسند أحمد ٤ / ٣٢٨.

([١٧]) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم للصاغانى ١٢١ ح ٣٥١.

([١٨]) نظم درر السمطين للزرندي: ١٧٦.

([١٩]) الصواعق المحرقة لابن حجر ٢٣٠.

([٢٠]) معجم الصحابة للبيغوي ١٤١ على ما في إحقاق الحق ١٠ / ٢٠٥.

([٢١]) أنساب الاشراف للبلاذري ١ / ٤٠٣.

([٢٢]) السنن الكبرى للبيهقي ١٠ / ٢٠١.

١٩ - فهي فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن أذاها فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله (٢٣).

٢٠ - فإن فاطمة بضعة مني يؤلمني ما يؤلمها ويسرنني ما يسرها (٢٤).

٢١ - إنما فاطمة جذية مني يقبضني ما يقبضها (٢٥).

موارد نقل الحديث:

الحديث منقول عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مواطن مختلفة ومناسبات عديدة، نشير إليها كما ورد في النصوص والروايات:

١ - حينما سئل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن خير شيء للمرأة؛ فقد روى البزار (٢٦) عن علي (عليه السلام) أنه كان عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: «أي شيء خير للمرأة؟ فسكتوا، فلما رجعت قلت لفاطمة: أي شيء خير للنساء؟ قالت: لا يراهن الرجال، فذكرت ذلك للنبي فقال: إن فاطمة بضعة مني» (٢٧).

٢ - عندما ربط أبو لبابة نفسه في توبة وأرادت الزهراء (عليها السلام) حله حينما نزلت توبته، فقال: «قد أقسمت ألا يحلني إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال رسول الله: إن فاطمة مضغة مني» (٢٨).

٣ - حينما أراد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعرفها، روى ابن الصباغ المالكي عن مجاهد قال: «خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أخذ بيد فاطمة فقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي» (٢٩).

٤ - ليلة زواجها: روى الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي في المناقب أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاطب الزهراء (عليها السلام) ليلة زفافها قائلاً لها: «يا بنية، نعم الزوج زوجك، ولا تعصين له أمراً، ثم توجه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا علي، فقلت: لبيك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قال: ادخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها فإن فاطمة بضعة مني، يؤلمني ما يؤلمها ويسرنني ما يسرها» (٣٠).

٥ - عند خطبة علي (عليه السلام) ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام، روى الحاكم في المستدرک على الصحيحين بسنده عن سويد بن غفلة قال: «خطب علي ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام، فاستشار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:

(٢٣) [الفصول المهمة لابن صباغ المالكي ١٤٦].

(٢٤) [المناقب للخوارزمي ٣٥٣].

(٢٥) [النهاية في غريب الحديث والآثر لابن الأثير ١ / ٣٥٧].

(٢٦) [أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المتوفى سنة ٢٩٢].

(٢٧) [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي ١١ / ٤٥].

(٢٨) [الروض الانف للسهيلى ٢ / ١٩٦].

(٢٩) [الفصول المهمة في معرفة الائمة ١٤٦].

(٣٠) [المناقب للخوارزمي ٣٥٣].

أعن حسبيها تسألني؟ قال علي: قد أعلم ما حسبيها، ولكن اتأمرني بها؟ فقال: لا، فاطمة مضغة مني ولا أحسب إلا وأنها تحزن أو تجزع، فقال علي: لا آتي شيئاً تكرهه» ([٣١]).

وروى مسلم عن المسور بن مخرمة ([٣٢]) أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذ محتلم، فقال: إن فاطمة مني وإنني أتخوف أن تفتن في دينها» ([٣٣]).

وقفة قصيرة حول الحديث:

الحديث - كما ترى - متفق على اخراجه في الكتب، وهناك أدلة متقنة ([٣٤]) تدلّ على أن القضية مفتعلة من أساسها، نشير إلى بعضها:

أولاً: الاختلاف الموجود في متن الروايات كما يظهر عند المراجعة.

ثانياً: إن ما جاء في هذه الروايات لا يلائم قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فوالله ما أغضبيتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبنتي ولا عصت لي أمراً» ([٣٥]).

ثالثاً: روى الشيخ الصدوق المتوفى سنة (٣٨١ هـ) بسنده عن عمرو بن أبي المقدم وزيد بن عبدالله قالاً: «أتى رجل أبا عبدالله (عليه السلام) فقال له: يرحمك الله هل تشيع الجنازة بنار ويمشي معها بمجمر أو قنديل أو غير ذلك مما يضاء به؟ قال: فتغير لون أبي عبدالله (عليه السلام) من ذلك واستوى جالساً، ثم قال: إنه جاء شقي من الأشقياء إلى فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لها: أما علمت أن علياً خطب بنت أبي جهل؟ فقالت: حقاً ما تقول؟ فقال: حقاً ما أقول، ثلاث مرات... ثم يتحدث الإمام عن اطلاع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الأمر إلى أن يقول: فقال رسول الله: يا علي، أما علمت أن فاطمة بضعة مني وأنا أذاها فقد أذاني ومن أذاني فقد أذى الله، ومن أذاها بعد موتي كان كمن أذاها في حياتي، ومن أذاها في حياتي كان كمن أذاها بعد موتي. قال علي: بلى يا رسول الله. قال: فما دعاك إلى ما صنعت؟ فقال علي: والذي بعثك بالحق نبياً ما كان مني مما بلغها شيء، ولا حدثت بها نفسي، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): صدقت وصدقت» ([٣٦]).

وروى أيضاً في الامالي بسنده عن صالح بن علقمة قال: «فقلت للصادق (عليه السلام): يابن رسول الله، إن الناس ينسبوننا إلى عظام الامور، وقد ضاقت بذلك صدورنا، فقال (عليه السلام): يا علقمة، إن رضا الناس لا يملك، وألسنتهم لا تضبط. وكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله؟ ... ألم ينسبوا سيد الاوصياء أنه كان يطلب الدنيا والملك؟ ... ألم ينسبوه إلى أنه (عليه السلام) أراد أن يتزوج ابنة أبي جهل على فاطمة (عليها السلام)، وأن رسول الله شكاه على المنبر إلى المسلمين فقال: إن علياً يريد أن يتزوج ابنة عدو الله على ابنة نبي الله؟ ... ثم قال الصادق (عليه السلام): يا علقمة، ما أعجب أقاويل الناس في علي (عليه السلام)» ([٣٧]).

([٣١]) الحاكم: ١٥٨ / ٣.

([٣٢]) مسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي، أبو عبد الرحمان الزهري له ولأبيه صحبة. توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وله من العمر ثمانين سنين، راجع تهذيب الكمال للمزي ٢٧ / ٥٨١، ومختصر تاريخ دمشق ٢٤ / ٣٠٦.

([٣٣]) صحيح مسلم ٤ / ١٩٠٣، كتاب فضائل الصحابة، ح ٩٥.

([٣٤]) راجع في أسطورة الحديث مجلة تراثنا، العدد ٢٣، والصحيح من سيرة النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ٤ / ٥٦.

([٣٥]) راجع كشف الغمة للاربلي ١ / ٣٦٣.

([٣٦]) علل الشرائع: ١٨٥، ب ١٤٩ ح ٢.

([٣٧]) أمالي الصدوق: ٩١، المجلس ٢٢، ح ٣.

فنرى في هاتين الروايتين عن لسان المعصوم عن الخطأ إنكار قضية الخطبة والزواج، وقول الامام جعفر الصادق(عليه السلام) إن تلك من أقاويل الناس في حق سيد الوصيين علي بن أبي طالب(عليه السلام).

رابعاً: في محاوراة بين عمر وابن عباس، كان مما قاله ابن عباس له: «يا أمير المؤمنين، إن صاحبنا من قد علمت، والله إنه ما غير ولا بدل، ولا أسخط رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أيام صحبتته له، فقال: ولا في ابنة أبي جهل وهو يريد أن يخطبها على فاطمة رضي الله عنها؟.. قلت: قال الله في معصية آدم(عليه السلام): (ولم نجد له عزماً)»([٣٨])، فصاحبنا لم يعزم على إسحاق رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن الخواطر التي لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه. وربما كانت من الفقيه في دين الله، العالم بأمر الله، فإذا نبه عليها رجع وأناب.. فقال: يابن عباس، من ظن أنه يرد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى بلغ قعرها، فقد ظن عجزاً»([٣٩]).

فابن عباس يصارح الخليفة بأن علياً لم يغضب الرسول، ولا أراد ذلك، ولا عزم عليه، وأنكر قضية بنت أبي جهل، واعتبرها من الخواطر التي ربما تمر، ولا يقدر أحد على دفعها، وصدقه بذلك عمر([٤٠]).

خامساً: قال السيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ في ردّ هذه القضية: «فأين كان أعداؤه من بني امية وشيعتهم عن هذه الفرصة المنتهزة؟ وكيف لم يجعلوها عنواناً لما يتخروصونه من العيوب والقروف؟ وكيف تمحلوا الكذب، وعدلوا عن الحق؟ وفي علمنا بأن أحداً من الاعداء متقدماً لم يذكر ذلك، ودليل على أنه باطل موضوع»([٤١]).

سادساً: كيف يعبر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عن بنت أبي جهل بـ (بنت عدو الله) على المنبر، وهو الذي منع الناس من أن يقولوا لعكرمة أخيها: ابن عدو الله؟ وقال كلمته الخالدة: «يأتيكم عكرمة مهاجراً، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤدي الحى»([٤٢]).

سابعاً: إن المسور بن مخرمة (الراوي للحديث) قد ولد في السنة الثانية للهجرة، فكيف يقول إنه سمع النبي يخطب على المنبر؟ وكيف يمكن أن يكون في وقت سماعه للحديث محتتماً كما جاء في الحديث؟

وقد وجّه ذلك ابن حجر بأن المراد بالاحتلام كمال العقل([٤٣]) ويخالف هذا التوجيه كلاً من اللغة والعرف، فلا يقال لطفل عمره ست سنين إنه محتلم مهما كان له من الدراية، ومن العقل والفتنة([٤٤]).

هذا ما عثرنا عليه خلال البحث عن ألفاظ الحديث وموارد نقله وقد يظفر باحث بأكثر من ذلك.

([٣٨]) طه / ١١٥.

([٣٩]) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢ / ٥١ «وقد يلاحظ أن ابن عباس أيضاً تأثر بدوره بنفس الاكثوية، فترى أنه يتحدث عن الخواطر التي لا يقدر أحد على دفعها: وهذا يناقض ما نقلناه آنفاً عن الامام الصادق: والذي بعثك بالحق نبياً ما كان مثي مما بلغها شيء ولا حدثت بها نفسي» (التحرير).

([٤٠]) انظر الصحيح من سيرة النبي الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) ٤ / ٥٦.

([٤١]) تنزيه الانبياء / ١٦٩.

([٤٢]) انظر الصحيح من سيرة النبي الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم).

([٤٣]) فتح الباري ٩ / ٢٨٦.

([٤٤]) راجع الصحيح من سيرة النبي الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) ٤ / ٦٠.

العبد، المولى نقاط التماس (الدعاء نموذجاً)

* محمد كاظم الكرماني

ليس غريباً أن يكون مفهوم الدعاء هو الاقرب إلى نقاط التماس والتواصل بين الانسان المخلوق الزائل، وبين المولى الخالق الازلي، وسط زحام العبادات وتعددتها، وتداخل المفاهيم وتشابكها، وليس ثمّة شك في أن انتفاء وجه الغرابة يرجع إلى ناحية كون الدعاء ممارسة وجدانية، وتجربة ذاتية واعية، يتواصل فيها الانسان مع الله عزّ وجلّ مباشرة، دون اية واسطة. ورغم وضوح هذه النقطة وجلاء معالمها، وانعكاس ضيائها في قلب الانسان المؤمن والكافر على حدّ سواء، كما سيتضح ذلك من خلال هذه الدراسة، لكنّ من المؤسف جداً أن يكون حضور الدعاء لدى غالبية المسلمين عبادة طقوسية رتيبة، تهتم بالشكل دون المحتوى، وبالنص دون الواقع، أو وسيلة يركن اليها الانسان لنيل الخير، أو لدفع الشر عنه حينما تتربص به الدوائر، وتلمّ به الصعاب، أو أن نجد إلى جانب مَنْ يرى الدعاء انعكاساً لحالة النكوص، ومخرجاً يندلف إليه الداعي نتيجة للضعف والفشل، مَنْ يرفض اية إيجابية للدعاء، بل الاغرب من ذلك أن نجد مَنْ يرى الدعاء إجهاضاً لسنن الله تعالى، وقوانين الحياة، بل يعتبرها تدخلاً سافراً في شؤون الرب.

لذا خلق هذا التصوّر فهماً يشوبه الانحراف لدى شريحة عريضة من المجتمع الاسلامي، نأى بها هذا الفهم الخاطي عن وظيفة الدعاء ورسالته.

من هنا سنحاول في هذا البحث أن نتعرف على دلالة هذا المفهوم، وتقرير هويته ورسم أبعاده، كما سنعمد إلى كشف شمولية هذا المفهوم الاسلامي، واتساعه، ليضم بين دفتيه مطلق العبادة من خلال العلاقة بين النص - الدعاء - وواقع الداعي.

الدلالات المعجمية للدعاء:

الدعاء لفظ مشترك وله دلالات معجمية متعددة، وسنكتفي بإلقاء الضوء على بعض ما يخص البحث منها، فقد جاء في المعجم المفصل أن الدعاء هو طلب فعل شيء، أو الكف عنه، واشترط أن يكون الطلب مخصوصاً من أدنى لاعلى؛ لانه إن كان من أعلى إلى أدنى فهو أمر، وإن كان بين متساويين فهو التماس (١).

(١) د. أميل يعقوب و د. ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والادب، ١: ٦٢٥، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

كذلك انظر: د. أميل يعقوب، موسوعة النحو والصرف والاعراب: ٣٦٨، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

وقد أكد محققاً الاخوند الخراساني ضرورة اعتبار العلو في معنى الامر، إذ قال: «الظاهر اعتبار العلو في معنى الامر، فلا يكون الطلب من السافل أو المساوي أمراً، ولو أطلق عليه بنحو من العناية» (٢).

وأضاف الطبرسي في كون الامر ترغيباً في الفعل، وزجراً عن تركه وله صيغة تنبئ عنه وليس الدعاء كذلك» (٣).

والدعاء عند الراغب الاصفهاني كالنداء، وقد يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر (٤)، في حين فرق الطبرسي بين الدعاء والنداء، باعتبار أن الاول قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام، ولكن بإشارة تنبئ عن معنى، ولا يكون النداء إلا برفع الصوت وامتداده (٥).

وخصّ أبو البقاء الدعاء بالقرب، والنداء بالبعد، ولذلك قال الاعرابي: أقرب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ كما قيّد النداء برفع الصوت وظهوره وإن كان صوتاً مجرداً دون المعنى الذي يقتضيه الكلام، وإياه عنى بقوله تعالى: (إلا دعاءً ونداءً) (٦).

وهكذا يرى العلامة الطباطبائي أن الدعاء أعم من النداء، فإن النداء يختص بباب اللفظ والصوت، والدعاء يكون باللفظ والاشارة وغيرهما، والنداء إنما يكون بالجهر، ولا يقيد الدعاء (٧)؛ ولأجل ذلك علل نور الدين الجزائري عدم إسناد النداء إلى الله سبحانه وتعالى بخلاف الدعاء (٨)، واستند في اعتماد هذا الرأي إلى النص القرآني التالي: (والله يدعو إلى دار السلام) (٩)، وقوله: (والله يدعو إلى الجنة) (١٠).

وربما كان ثمة خطأ عند من اعتمد هذه النظرة، إذ الصحيح يتبين فيما نشته من الاشارات التالية:

(٢) محمد كاظم الخراساني، كفاية الاصول: ٨٣، تحقيق ونشر جماعة المدرسين - قم، ط ٣، ١٤١٥ هـ.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان ١: ١٢٢، نقلاً عن نور الدين الجزائري، فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات: ٤٨، تحقيق د. محمد رضوان الدابي، مكتب نشر الثقافة الاسلامية - قم، ط ٣، ١٤١٥ هـ. كذلك انظر: معجم الفروق اللغوية، تنظيم بيت الله بيات: ٢٣١، تحقيق ونشر جماعة المدرسين - قم، ط ١، ١٤١٢ هـ.

(٤) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن: ١٧٠، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.

(٥) الطبرسي، مجمع البيان ٢: ٤٢٤.

(٦) أبو البقاء الكفوي، الكليات: ١٧٠، ايران، طبعة حجرية، ١٢٨٦ هـ.

(٧) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ١٠: ٣٩، نشر جماعة المدرسين - قم.

(٨) نور الدين الجزائري، فروق اللغات: ١٢٩.

(٩) يونس: ٢٥.

(١٠) البقرة: ٢٢١.

١ - أنه تعالى قد أسند إليه النداء أكثر من مرة في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: (هل أتاك حديث موسى * إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى)(١١)، وقوله: (ونادينه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا)(١٢)، وقوله: (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة)(١٣).

٢ - أن الخطاب القرآني قد تجاوز مستوى الشكل والمادة للمفردة اللغوية من حيث كونها معنىً محدداً وثابتاً، وذا دلالة معجمية واحدة، إلى كونها خزينةً دلاليةً تُقرأ تحتشد عنده المفاهيم والمبادئ، وتشع منه أنوار الإعجاز القرآني التي لا يمكن لها أن تصدر من المفردة ذات الدلالة المعجمية الواحدة.

٣ - أنه لا ينبغي أن يكون فهم المفردة مشبعاً بتأويلات بعض المتكلمين والفلاسفة، كالمجسم مثلاً، وإنما يجب أن يكون المنطلق في ذلك هو القرآن أولاً وآخرًا.

٤ - هذا مع غض النظر عن إمكان وقوع النداء الخفي - أي دون رفع الصوت وامتداده - نحو قوله تعالى: (ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداءً خفياً)(١٤).

٥ - ويبدو أن المعنيين بهذا الرأي يرون أن بين الدعاء والنداء عمومًا وخصوصاً من وجه، فكل نداء دعاء، وليس كل دعاء نداء، والحال إنما سمي الدعاء دعاءً لأن الإنسان يصدر جميع دعواته بنداء نحو: يا الله، يا رحمن، يا رحيم(١٥).

وقد يستعمل الدعاء استعمال التسمية، نحو: دعوت ابني زيداً أي سمّيته(١٦). ونحو قوله تعالى: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً)(١٧).

ومن معاني الدعاء القول(١٨)، نحو قوله تعالى: (دعواهم فيها سبحانك اللهم)(١٩) كما يرد الدعاء بمعنى السؤال، نحو قوله تعالى: (قالوا ادع لنا ربك)(٢٠) أي سأل(٢١) وكذلك يأتي الدعاء بمعنى الاستعانة والاستغاثة، وتارة يكون الدعاء عبادة(٢٢)، ففي معنى الاستعانة

(١١) النازعات: ١٥ - ١٦.

(١٢) الصافات: ١٠٤ - ١٠٥.

(١٣) الاعراف: ٢٢.

(١٤) مريم: ٢ - ٣.

(١٥) ذكر العلامة ابن منظور قريباً من هذا المعنى، انظر: لسان العرب ٤: ٣٥٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

(١٦) الراغب الاصفهاني المفردات في غريب القرآن: ١٧٠.

(١٧) النور: ٦٣.

والاستغاثة جاء قوله تعالى: (فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)(٢٣)، وقوله: (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء)(٢٤)، وقوله: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً)(٢٥).

وفي معنى العبادة نحو قوله تعالى: (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)(٢٦).

وربما يكون مدلول الاستعانة هو الوجه الآخر للعبادة، ففي قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين)(٢٧) يتضح تداخل هذين المدلولين - أعني الاستعانة والعبادة - واشتراكهما في إيقاع واحد هو العبادة عن إخلاص.

ومن دلالات الدعاء أيضاً الرغبة إلى الله عز وجل(٢٨)، نحو قوله تعالى: (ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين)(٢٩)، وقوله: (وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين)(٣٠)، وقوله: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً)(٣١).

(١٨) ذكر السيوطي للدعاء في القرآن ستة أوجه: العبادة، والاستعانة، والسؤال، والقول، والنداء، والتسمية. راجع: معترك الاقران في إعجاز القرآن ٢: ١٧٥، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٩٨٨.

(١٩) يونس: ١٠.

(٢٠) البقرة: ٦٨ - ٧٠.

(٢١) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن: ١٧٠.

(٢٢) ابن منظور، لسان العرب ٤: ٣٥٩.

(٢٣) البقرة: ٢٣.

(٢٤) النمل: ٦٢.

(٢٥) الاسراء: ٥٦.

(٢٦) غافر: ٦٠.

(٢٧) الفاتحة: ٤.

(٢٨) ابن منظور، لسان العرب ٤: ٣٦٠.

(٢٩) الانبياء: ٩٠.

(٣٠) الاعراف: ٥٦.

(٣١) السجدة: ١٦.

«ودعا دعاءً له: رجا له الخير، ودعا عليه: طلب له الشر، ودعاه: ناداه، رغب إليه واستعانه» (٣٢).

نستنتج مما سبق أن الدعاء لغه هو الطلب المتضمن للاستغاثة والسؤال تارةً، وبمعنى الرغبة إلى الله تعالى وعبادته تارةً أخرى.

موضوع الدعاء:

وأما موضوع الدعاء فإنه يتلخص بأحد أمرين:

الاول: ما يتضمن توحيدة تعالى وتمجيده وتسبيحه وتحميده وذكر آلائه واسمائه الحسنی والثناء عليه، ونحو ذلك، مثل قوله تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) (٣٣)، وقوله: (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) (٣٤)، وقوله: (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنی يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) (٣٥).

الثانى: ما تضمن الحظ والخير من الدين والدنيا، وإليه ينتمى طلب الهداية والعفو والمغفرة، والحظ من الحكمة والعلم، واستدراار الخيرات، وزلفى الدرجات، ونجاة الدارين، والصلاة على عباد الله الصالحين ونحو ذلك، مثل قوله تعالى: (رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين * واجعل لى لسان صدق فى الآخرين * واجعلنى من ورثة جنه النعيم) (٣٦)، وقوله: (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (٣٧)، وقوله: (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) (٣٨).

صيغة الدعاء وهيئته:

يأتى الكلام هنا عن صيغة الدعاء، فغالباً ما تكون بإحدى الصور التالية مع إرادة الدعاء منها:

(٣٢) راجع: المنجد فى اللغة: ٢١٦، دار المشرق، بيروت ط . ٣٠، ١٩٨٨م.

(٣٣) آل عمران: ١٨ .

(٣٤) الانبياء: ٢٢ .

(٣٥) الحشر: ٢٢ - ٢٤ .

(٣٦) الشعراء: ٨٣ - ٨٥ .

(٣٧) البقرة: ٢٠١ .

(٣٨) الاحزاب: ٥٦ .

١ - صيغة الامر، وقلنا الامر عنائاً ومجازاً، ونقصد به هنا مادة الطلب، نحو قوله تعالى: (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون)(٣٩)، وقوله: (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)(٤٠)، وقوله: (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً)(٤١).

٢ - المضارع المسبوق بلا الناهية، نحو قوله تعالى: (وزكريا إذ نادى ربه ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين)(٤٢)، (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)(٤٣)، (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم)(٤٤).

٣ - المضارع المسبوق بلام الامر نحو قولنا: ليغفر الله لي، أى اغفر اللهم لي، ولم نجد لهذه الصيغة في القرآن الكريم مورداً ذلك أن لام الامر غالباً ما تستعمل للمخاطب الغائب، والله تعالى هو الموجود الحق والشاهد على كل شيء.

٤ - المضارع المشتق من مادة (عوذ) كما في المعوذتين، ونحو قوله تعالى: (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون)(٤٥)، وقوله: (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)(٤٦).

٥ - المصدر النائب عن فعله، نحو قوله تعالى: (وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)(٤٧)، وقوله: (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)(٤٨)، وقوله: (ويل لكل أفاك أثيم)(٤٩).

(٣٩) الدخان: ١٢.

(٤٠) المؤمنون: ١١٨.

(٤١) الفرقان: ٧٤.

(٤٢) الانبياء: ٨٩.

(٤٣) البقرة: ٢٨٦.

(٤٤) الممتحنة: ٥.

(٤٥) المؤمنون: ٩٧ - ٩٨.

(٤٦) البقرة: ٦٧.

(٤٧) البقرة: ٢٨٥.

(٤٨) يونس: ١٠.

(٤٩) الجاثية: ٧.

٦ - المصدر المؤول من أن والفعل مع فعل الرجاء، نحو قوله تعالى: (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار)(٥٠)، وقوله: (وقل عسى أن يهدين ربّي لأقرب من هذا رشداً)(٥١)، وقوله: (عسى ربنا أن يُبدّلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون)(٥٢).

٧ - جملة اللام الموطئة للقسم، نحو قوله تعالى: (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين)(٥٣)، وقوله: (لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين)(٥٤)، وقوله: (فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين)(٥٥).

٨ - الجملة الشرطية، نحو قوله تعالى: (وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)(٥٦).

٩ - الخبر المقصود منه الدعاء، نحو قوله تعالى: (وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضرّ وأنت أرحم الراحمين)(٥٧)، وقوله: (ربّ إني لما أنزلت إلی من خير فقير)(٥٨)، وقوله: (ونادى نوح ربه فقال ربّ إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين)(٥٩).

١٠ - صيغة فعل نحو:

سَقَيْتُهُ، أى دعوت له بالسقيا. وَعَوَّذْتَهُ بِاللّهِ اى اعذته به تعالى.

(٥٠) التحريم: ٨ .

(٥١) الكهف: ٢٤ .

(٥٢) القلم: ٣٢ .

(٥٣) الانعام: ٦٣ .

(٥٤) الاعراف: ١٤٩ .

(٥٥) الانعام: ٧٧ .

(٥٦) المائدة: ١١٨ .

(٥٧) الانبياء: ٨٣ .

(٥٨) القصص: ٢٤ .

(٥٩) هود: ٤٥ .

١١ - لام الاستغاثة، نحو قولنا: يا لله للمستضعفين، وتأتي اللام مفتوحة مع المستغاث به، ومكسورة مع المستغاث لاجله.

كل ما سبق من الصيغ كان مخصوصاً بالدعاء المتضمن الاستغاثة والسؤال، أما الدعاء الدال على التنزيه والتوحيد ونحوهما فلا صيغة خاصة تحده، ومما يجدر الإشارة إليه أن أهل البيت (عليهم السلام) دعوا إلى الاسترسال في الدعاء بعيداً عن الصنعة والتكلف، فقد روى عن زرارة قال: «قلت لأبي عبد الله: علّمني دعاءً، فقال: إن أفضل الدعاء ما جرى على لسانك» (٦٠).

وذكر الابشيهي أن إبراهيم بن ادهم ركب في سفينة، فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك، وكان إبراهيم نائماً في كساء، فاستوى جالساً وقال: «أريتنا قدرتك، فأرنا عفوك، فذهب الريح وسكن البحر» (٦١).

وطبيعي أن استرسالاً كهذا يكشف عن توافق القلب واللسان، بل يجعل الدعاء نصاً جماعياً للجوارح في الاقبال والتوجه تجاه الحق.

وهذا لا يعني أن الدعاء ممارسة منحصرة بذات الداعي، فيكتفي حينئذ بتجربته ودعائه المرسل، تاركاً الادعية والنصوص الواردة عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم؛ ذلك أن الدعاء الوارد عنهم «يفترق عن سائر ألوان التعبير الفني بكونه يجسد (تجربة) داخلية تتواصل مع الله مباشرة... كل ما في الامر أن التجربة المذكورة لم تخضع لصياغة (الداعي) بل للصياغة الشرعية. وبكلمة جديدة: المشرع الاسلامي هو الذي يتكفل بصياغة تجربة الداعي، ويقدمها له ليتمثلها - هذا الاخير - وكأنها من نتاج ذاته.

من هنا يفترق (الدعاء) عن سائر الفنون التعبيرية الاخرى بكونه (تجربة داخلية)، لا أنها (افكار منقولة) إلى الشخص، كما هو شأن الخطبة، والرسالة، والخطبة، وغيرها من أشكال الفن التي تتكفل بعملية (نقل) للمواقف، بنحو يكون كل منا مجرد (مقلد) حيالها، في حين أن (الدعاء) يحول كلاً منا - مضافاً لما تقدم - إلى (مُنشئ) وجداني في توجهنا بالكلام إلى الله» (٦٢).

وهناك صيغتان للدعاء على أساس صيغة المتكلم (الداعي):

١ - صيغة المفرد أو الجمع للنفس، ولنعبر عنها بـ «صيغة الاثر»، نحو قوله تعالى: (رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين * واجعل لي لسان صدق في الآخرين * واجعلني من ورثة جنة النعيم) (٦٣)، وقوله: (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزننا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) (٦٤).

(٦٠) ابن طاووس، الامان من أخطار الاسفار والازمان: ١٩، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث، ط ١، ١٤٠٩ هـ.

(٦١) شهاب الدين الابشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف ٢: ٥٣٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦.

(٦٢) د. محمود البستاني، الاسلام والفن: ١٧٠، مجمع البحوث الاسلامية، ايران، ط ١، ١٤٠٩ هـ.

٢ - صيغة المفرد أو الجمع للغير، ولنقل «صيغة الايثار»، نحو قوله تعالى: (رب اجعل هذا بلدًا آمناً وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر)(٦٥)، وقوله: (ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك انت العزيز الحكيم * وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك الفوز العظيم)(٦٦).

مفهوم الدعاء في الفكر القرآني:

يشغل مفهوم الدعاء في إحدائيات الفكر الاسلامي موقعاً هاماً تتقاطع فيه جملة مفاهيم وقضايا هامة، ومازل يفرض نفسه في ذلك الموقع صرحاً معطاءً وواحة خضراء يتألق فيها النسخ الصاعد أبداً بالكلم الطيب والعمل الصالح نحو الكمال المطلق والمثل الاعلى؛ رغم كل المحاولات التي سعت حثيثاً إلى استغلال هذا المفهوم المقدس، ومصادرة حقيقته من خلال تسطيحه وتحريف موقعه، بالدس فيه، وإغراقه في الاشكاليات والجمود، بعيداً عن التفكير والامل، والجهاد والعمل؛ والحقيقة أنهم ما أرادوا بذلك إلا الاستطالة على معتقدات هذا الدين الحنيف، ببعث أمة التفكير وانشاء قواعد الجهل بين المسلمين، والنيل من معتقداتهم، لاسيما معتقدات مدرسة «حي على خير العمل» التي اختص الدعاء بها، وامتازت به، وكان أن بقي الدعاء معلماً شامخاً يتماس فيه الانسان مع اللاهوت وقدرته، وبركاناً هائلاً يتفجر في ذات الداعي أفقاً يزدان بأخلاق الله وصورته. وها هو دعاء الثلة الطاهرة من أهل البيت (عليهم السلام) بين يدي التأريخ الانساني، فأساً إبراهيمياً يحطم كل أنواع الصنميات المستحدثة، ويأد الشرك بجميع أشكاله، في زمن تداعي فيه الانسان بين المسوخ المضطلة بالفكر المادي، وتناسل الخيانات، والحروب المتخمة بالفقر والتخلف. ولهذا نرى النصوص ما برحت تؤكد هذا الموقع السامي للدعاء، بل تدعو له، وتحث عليه، وترغب فيه، حتى أصبحت تلاوة الدعاء أفضل من قراءة القرآن الكريم(٦٧)؛ لان الله عز وجل قال: (قل ما يعابكم ربي

(٦٣) الشعراء: ٨٣ - ٨٥ .

(٦٤) آل عمران: ١٩٣ - ١٩٤ .

(٦٥) البقرة: ١٢٦ .

(٦٦) غافر: ٧ - ٩ .

(٦٧) ١ - محمد بن الحسن باسناده عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن معاوية بن عمار قال: «قلت لابي عبد الله (عليه السلام): رجلين افتتحا الصلاة في ساعة واحدة، فتلا هذا القرآن فكانت تلاوته أكثر من دعائه، ودعا هذا فكان دعاؤه أكثر من تلاوته، ثم انصرفا في ساعة واحدة، أيهما أفضل؟ قال: كل فيه فضل. كل حسن فقلت: إني قد علمت أن كلاهما حسن، وأن كلاهما فضل. فقال: الدعاء أفضل أما سمعت قول الله عز وجل: (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)؟ هي والله العبادة، هي والله أفضل...». الحر العاملي، وسائل الشيعة ٦: ٤٣٨، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لآحياء التراث، قم، ط ١، ١٤٠٩ هـ .

٢ - «وفي المكارم عنه (عليه السلام): الدعاء أفضل من قراءة القرآن؛ لان الله عز وجل قال: (قل ما يعابكم ربي لولا دعاؤكم)، وروي ذلك عن الباقر والصادق (عليهما السلام)». الطباطبائي، الميزان ٢: ٣٥ .

لولا دعاؤكم(٦٨)، وجاء في آية أخرى: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)(٦٩).

«فالاية تدعو إلى الدعاء وتعد بالاجابة، وتزيد على ذلك حيث تسمى الدعاء عبادة بقولها: (عن عبادتي)، أى عن دعائي، بل تجعل مطلق العبادة دعاء»(٧٠).

وعن النعمان بن بشير أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «الدعاء هو العبادة، وقرأ (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) فقوله: «الدعاء هو العبادة» معناه أن معظم العبادة، وأفضل العبادة، كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «الحج عرفة» أى الوقوف بعرفة هو الركن الاعظم»(٧١).

وورد عن سيد الساجدين (عليه السلام) ما يؤكد هذا المعنى: إذ قال مخاطباً المولى عزوجل: «فسميت دعاءك عبادة وتركه استكباراً، وتوعدت على تركه دخول جهنم داخرين»(٧٢).

وعن حنان بن سدير عن ابيه قال: «قلت للباقر: أى العبادة أفضل؟ فقال: ما من شيء أحب إلى الله عزوجل من أن يُسأل، ويُطلب ما عنده، وما من أحد أبغض إلى الله عزوجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأله ما عنده»(٧٣).

وفى هذا الاطار أيضاً جاء قوله تعالى: (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون)(٧٤)؛ ويعدّ هذا النص القرآنى آية فى الاسلوب والبيان، يتجلى فيه إعجاز القرآن. وبعد مراجعة الكم الهائل لكتب التفسير فى المكتبة العربية، كان الميزان هو الارجح والاوفى فى إعطاء هذه الاية حقها، وها هو الطباطبائي قد عدّ فى ميزانه لهذه الاية سبع نكات تنبى بالاهتمام بأمر الدعاء واستجابته والعناية بهما، فقد: «وُضع أساسه الاية على التكلم وحده دون الغيبة ونحوها، وفيه دلالة على كمال العناية بالامر، ثم قوله: (عبادى) ولم يقل: الناس وما أشبهه يزيد فى هذه العناية، ثم حذف الواسطة فى الجواب حيث قال: (فإنى قريب)، ولم يقل: فقل إنه قريب، ثم التأكيد بأن، ثم الاتيان بالصفة دون الفعل الدال على القرب ليدل على ثبوت القرب ودوامه، ثم الدلالة على تجدد

(٦٨) الفرقان: ٧٧.

(٦٩) المؤمن: ٦٠.

(٧٠) الطباطبائي، الميزان ٢: ٣٤.

(٧١) الفخر الرازي، التفسير الكبير ٣: ١٠٦.

(٧٢) عز الدين الجزائري، شرح الصحيفة السجادية: ٢٢٦، دار التعارف، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

(٧٣) رضي الدين الطبرسي، مكارم الاخلاق: ٢٦٨، منشورات الشريف الرضي، قم، ط٢، ١٤٠٨هـ.

(٧٤) البقرة: ١٨٦.

الاجابة واستمرارها حيث أتى بالفعل المضارع الدال عليهما، ثم تقييده الجواب أعنى قوله: (أجيب دعوة الداع) بقوله: (إذا دعان)، وهذا القيد لا يزيد على قوله: (دعوة الداع) المقيد به شيئاً، بل هو عينه، وفيه دلالة على أن دعوة الداع مجابة من غير شرط وقيد، كقوله تعالى: (ادعوني أستجب لكم) (٧٥)... مع كون الآية قد كرر فيها - على إيجازها - ضمير المتكلم سبع مرات، وهي الآية الوحيدة في القرآن على هذا الوصف» (٧٦).

وليس ثمة شك في أن النص القرآني حركة تصاعديّة تتجدد في كل قراءة، لذا أضاف الشيخ مكارم الشيرازي إلى ما سبق من النكات التفاتة أخرى، وهي إشارة المولى عزوجل في هذه الآية إلى عباده سبع مرات أيضاً، وهذا ما جاء في تفسيره الامثل: «ويلفت النظر في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أشار إلى ذاته المقدسة سبع مرات وأشار إلى عباده سبع مرات، مجسداً بذلك غاية لطفه وقربه وارتباطه بعباده» (٧٧).

ولو أمعنا النظر قليلاً، لما خفى عن الذهن ما للعدد (سبعة) من أهمية بالغه في خارطة الفكر البشري، فهو، أي العدد (سبعة) يرمز إلى التمام، والكمال، والكثرة، والكل، والقوة (٧٨)، وهذا بدوره يشعرنا بحضور الاتصال الوثيق بين الله الكامل المتعالى، وبين عباده المخلوقين، وكذلك يدلنا على مدى كريس المولى عزوجل تمام عنايته وكمال لطفه ورأفته بهم عبداً مكرّمين.

ومما يجدر الإشارة إليه في هذه الآية أيضاً، أنه تعالى قال: (أجيب دعوة الداع)، ولم يقل: أسمع دعوة الداع، وكلنا يعلم أن بين السمع والاجابة بونا يتضاءل أمامه ما بين الارض والسماء.

ومع هذا فإننا إذا عاينا الآية من نافذة القلب فس نجد المولى عزوجل لم يصدر الجواب فيها بكلمة (قل)، على خلاف جميع آيات الاستئله، فإنها جاءت مصدرة بها، نحو قوله تعالى: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) (٧٩)، وقوله:

(٧٥) المؤمن: ٦٠.

(٧٦) الطباطبائي، الميزان ٢: ٣١.

(٧٧) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ١: ٤٦٣، مؤسسة البعثة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

(٧٨) علي الشوك، هل افترق الساميون عن الهنود - الاوربيين عند الرقم ٧: ٦، مجلة الكرمل ٣٩، ١٩٩١ نيقوسيا.

(٧٩) الاسراء: ٨٥.

(يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)(٨٠)، وقوله: (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي)(٨١).

فإن هذا الامر - أى حذف الواسطة وإن كانت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - إنما يدل على تأكيد قربته تعالى من عباده، ولطفه بهم، وقد يكون تنبيهاً على الانقطاع بالسؤال اليه وحده دون غيره، والتوجه في الدعوات إلى من بيده ملكوت السموات والارض رب العرش العظيم: «لان الدعاء يعنى الاعتماد على القدرة المطلقة التى تحكم الكون»(٨٢).

الدعاء فى روايات أهل البيت(عليهم السلام):

فلا غرو إذن أن تأتي أحاديث أهل بيت النبوة(عليهم السلام) ورواياتهم شعاعاً كألوان الطيف القرآنى، لتجعل الدعاء سلاحاً للمؤمن، وعموداً للدين(٨٣) ومفتاحاً للرحمة، ونجاحاً للحاجة(٨٤) وكهفاً للاجابة(٨٥)، فهو أحب الاعمال إليه تعالى، ونوره فى السموات والارض، وأفضل العبادة(٨٦)، بل مخها(٨٧)، وبه تدر الارزاق(٨٨)، ويرد القضاء بعدما أبرم إبراماً، وفيه الشفاء من كل داء(٨٩) والسلامة من كل بلاء(٩٠).

(٨٠) الانفال: ١.

(٨١) الاعراف: ١٨٧.

(٨٢) عز الدين الجزائري، شرح الصحيفة السجادية: ٩.

(٨٣) عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض» بحار الانوار ٩٣: ٢٨٨.

(٨٤) عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) قال: «الدعاء يرد القضاء بعدما أبرم إبراماً، فأكثرُوا من الدعاء، فإنه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة...» مكارم الاخلاق: ٢٦٩.

(٨٥) عبد الله بن ميمون القداح، عن الصادق(عليه السلام) قال: «الدعاء كهف الاجابة...» مكارم الاخلاق: ٢٦٩.

(٨٦) سئل الباقر(عليه السلام): «أي العبادة أفضل؟ فقال: ما من شيء أحب إلى الله من أن يسأل ويطلب مما عنده...» مكارم الاخلاق: ٢٦٨.

(٨٧) قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «الدعاء مخ العبادة» بحار الانوار ٩٣: ٣٠٢.

(٨٨) قال(صلى الله عليه وآله وسلم): «ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم، ويدر أرزاقكم؟ قالوا: بلى قال: تدعون ربكم بالليل والنهار فإن سلاح المؤمن الدعاء» وسائل الشيعة ٤: ١٠٩٩.

(٨٩) قال الصادق(عليه السلام): «عليك بالدعاء؛ فإن فيه شفاء من كل داء» مكارم الاخلاق: ٢٧١.

(٩٠) «ادفعوا أمواج البلاء عنكم بالدعاء» بحار الانوار ٩٣: ٢٨٩.

الدعاء في اصطلاح المعاصرين:

وعلى ضوء هذا التأكيد الذي فرضته النصوص الشرعية على أهمية الدعاء، وتركيز موقعه في خارطة العبادات، وضع العلماء الاسلاميون له فصولاً وابواباً في مؤلفاتهم، بل كتبوا العديد من المصنفات التي تتناول جمع الادعية الماثورة، وذكر فضائلها، والثواب المترتب على تلاوتها، وآدابها، والاقوات أو الاماكن التي تستجاب الدعوات فيها، وشروط الاستجابة، وغير ذلك.

بيد أنهم لم يتناولوا الدعاء دراسة تحليلية وتحقیقاً موضوعياً كاملاً يحيط بكل جوانبه ويستقصى جميع آثاره، لذا ظل الدعاء يحدّ بنحو عريض من المنعطفات والتساؤلات التي باتت تلازم تعريفه، وتلحّ في الاشكال على مفرداته، ومثل ذلك التحقيق يحتاج إلى مجال أرحب مما نحن بصدد الان، لذا سنشير باختصار إلى ما ذكره بعض المعاصرين في اصطلاح الدعاء بما يتناسب والمقال.

قال العلامة الطباطبائي: «الدعاء والدعوة توجيه نظر المدعو نحو الداعي، والسؤال جلب فائدة، أو در من المسؤول يرفع به حاجة السائل بعد توجيه نظره، فالسؤال بمنزلة الغاية من الدعاء، وهو المعنى الجامع لجميع موارد السؤال، كالسؤال لرفع الجهل، والسؤال بمعنى الحساب، والسؤال بمعنى الاستدراار وغيره» (٩١).

وفي موضع آخر من الميزان أشار العلامة (رحمه الله) إلى أن «الدعاء من العبد لربه عطف رحمته وعنايته إلى نفسه، بنصب نفسه في مقام العبودية والمملوكية والاتصال بمولاه بالتبعية والذل؛ يعطفه بمولويته وربوبيته إلى نفسه وهو الدعاء» (٩٢).

بينما أوجز الشيخ مكارم الشيرازي مفهوم الدعاء بـ (نوع من التوعية وإيقاظ القلب والعقل وارتباط داخلي بكل مبدأ لطف وإحسان) (٩٣).

وأما الشيخ الاصفى فإنه يرى حقيقة الدعاء بإقبال العبد على الله، والاقبال على الله روح العبادة، والعبادة هي الغاية من خلق الانسان (٩٤).

وإنما لاحظ الاصفى ذلك من خلال ما استند عليه من علاقة وثيقة ورابطة متينة بين قوله تعالى: (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (٩٥)، وبين قوله تعالى: (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) (٩٦).

(٩١) الطباطبائي، الميزان ١: ٤٦٣.

(٩٢) المصدر السابق ١٠: ٣٨.

(٩٣) ناصر مكارم الشيرازي. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ١: ٤٦٣، مؤسسة البعثة، بيروت، ط ١.

(٩٤) محمد مهدي الاصفى، الدعاء عند أهل البيت (عليهم السلام): ١٣، المجمع العالمي لاهل البيت، قم، ط ١، ١٤١٥ هـ.

(٩٥) المؤمن: ٦٠.

(٩٦) الذاريات: ٥٦.

ثم يخلص إلى القول باختصار الدعاء في ثلاث كلمات:

١ - الفقر إلى الله.

٢ - وعى الفقر.

٣ - رفعه ونشره وبثه بين يدي الله تعالى.

فإن الفقر غير وعى الفقر، فقد يكون فقيراً إلى الله تعالى، وهو غير واع لفقره إلى الله، وقد يكون واعياً لفقره إلى الله، ولكنه لا يحسن أن يرفع فقره إلى الله وينشره ويبثه بين يديه تعالى، ولا يحسن السؤال والطلب والدعاء لله عز وجل (٩٧).

وهناك من يرى الدعاء أنه تعبير طبيعي عن إحساس نفسي وشعور حي لدى الإنسان الذي يدرك وجود حقيقتين في حياته هما الله، والإنسان؛ ويدرك النسبة الحقيقية بين الوجودين:

وجود الله الذي هو مصدر الغنى والكمال والافاضة في هذا العالم، ووجود الإنسان الذي هو وعاء الفقر والحاجة والمسكنة المتقوم بالافاضة والعطاء المستمر (٩٨).

أقسام الدعاء:

وصنف الشهيد الشيخ مرتضى المطهري الدعاء إلى قسمين كل حسب حالته: فالاول يلتجئ إليه الانسان مقهوراً مضطراً حينما تنقطع به الاسباب، وتغلق بوجهه الابواب فيكون دعاؤه اضطرارياً ولاجل ذلك لا يعدّ هذا النوع من الدعاء كمالاً للنفس الانسانية، بينما يعدّ الثاني - الدعاء الاختياري - كمالاً للنفس حيث يسمو الانسان بدعائه حينما يرفض بإرادته واختياره كل الاسباب، وينقطع إلى الله تعالى في دعائه (٩٩).

في حين عبر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي عن الدعاء الصادر لدى الاضطراب، وبعد بذل كل الجهود والطاقت بـ «الدعاء المستجاب»، وكان دليله في ذلك قوله تعالى: (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) (١٠٠).

(٩٧) الاصفى، الدعاء عند أهل البيت (عليهم السلام): ٣١.

(٩٨) الدعاء تربية وعبادة: ٧، دار التوحيد، طهران، ط ١، ١٩٨٠م.

(٩٩) مرتضى المطهري، الدعاء: ١١، منظمة الاعلام الاسلامي، طهران، ١٤٠٢.

(١٠٠) النمل: ٦٢.

وأما الدعاء الاختياري فإنه تعبير الداعي عن عدم استقلال قدرته عن قدرة البارئ تعالى (١٠١).

وهناك نوع آخر من الدعاء نسميه بـ «الدعاء الغريزي» وهو ما أضافه العلامة الطباطبائي إلى أقسام الدعاء عند تفسيره الآية الكريمة: (فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضى) (١٠٢).

ولعلّ طلب الولد هو أجلى مظاهر الدعاء الغريزي، «فهو مما فطر الله عليه النوع الانساني سواء في ذلك الصالح والطالح والنبى ومن دونه، وقد جهز الجميع بجهاز التوالد والتناسل وغرز فيهم ما يدعوهم إليه، فالواحد منهم لو لم تنحرف طباعه ينساق إلى طلب الولد، ويرى بقاء ولده بعده بقاء لنفسه، واستيلاءهم على ما كان مستولياً عليه من أمتعة الحياة - وهذا هو الارث - استيلاء نفسه وعيش شخصه.

والشرائع الالهية لم تبطل هذا الحكم الفطري ولا ذمّت هذه الداعية الغريزية، بل مدحته وندبت اليه، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على ذلك، كقوله تعالى حكاية عن إبراهيم (عليه السلام): (رب هب لي من الصالحين) (١٠٣)، وقوله: (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء) (١٠٤)، وقوله حكاية عن المؤمنين: (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) (١٠٥). إلى غير ذلك من الايات» (١٠٦).

هذا وقد قسّم الشيخ جعفر السبحاني الدعاء إلى دعاء عبادة، وآخر لاصلة بينه وبين العبادة: «فلو كان الداعي والمستعين بالغير معتقداً بالوهية المستعان ولو ألوهية صغيرة كان دعاؤه عبادة، ولاجل ذلك كان دعاء عبدة الاصنام عبادة لاعتقادهم بألوهيتها، قال سبحانه: (فما أغنت عنهم آلهم التي يدعون من دون الله من شيء) (١٠٧)، (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) (١٠٨)، (إن الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم) (١٠٩).

(١٠١) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل ١: ٤٦٣.

(١٠٢) مريم: ٥.

(١٠٣) الصافات: ١٠٠.

(١٠٤) إبراهيم: ٣٩.

(١٠٥) الفرقان: ٧٤.

(١٠٦) الطباطبائي، الميزان ١٤: ١٤.

(١٠٧) هود: ١٠١.

(١٠٨) الاسراء: ٥٦.

(١٠٩) الاعراف: ١٩٤.

وهناك قسم آخر منه لا صلة بينه وبين العبادة، وهو فيما إذا دعا شخصاً بما أنه إنسان وعبد من عباد الله، غير أنه قادر على إنجاز طلبه بإقدار منه تعالى، وإذن منه، فليس مثل هذه الدعوة عبادة، بل سنة من السنن الإلهية في الكون؛ هذا هو ذو القرنين يواجه قوماً مضطهدين يطلبون منه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً، فعند ذلك يخاطبهم ذو القرنين بقوله: (ما مكّني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً) (١١٠)، وها هو الذي من شيعه موسى يستغيث به، يقول سبحانه: (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه) (١١١)، وهذا هو النبي الأكرم يدعو قومه للذبّ عن الإسلام في غزوة أحد وقد تولّوا عنه، قال سبحانه: (إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) (١١٢).

فهذا النوع من الدعاء قامت عليه الحياة البشرية، فليس هو عبادة وإنما هو توسل بالاسباب، فإن كان السبب قادراً على إنجاز المطلوب كان الدعاء أمراً عقلائياً، وإلا يكون لغواً وعبثاً (١١٣).

وما دفع الشيخ السبحاني إلى ذلك التمييز إلا تفسيره لمفهوم «العبادة»، والآخرى دفاعه عن الشبهة الواردة حول الشفاعة، إذ أراد بذلك التقسيم أن يدحض دعوى القائلين بأن الدعاء عبادة والعبادة لا تجوز إلا لله، فمن دعا غير الله فقد أشرك أو كفر، ونحن لا يسعنا دخول هذا الباب الآن، ولكن يمكننا مناقشة هذا التمييز للدعاء، وردّ الذين أشكلوا على عدم جواز دعوة غير الله بما قلناه سابقاً من أن الدعاء لفظ مشترك، وله دلالات معجمية متعددة، ومما جاء في لسان العرب في معنى قوله: (وادعوا شهداءكم من دون الله): استغيثوا بهم، وهو كقولك للرجل إذا لقيت العدو خالياً فادع المسلمين، ومعناه استغث بالمسلمين، فالدعاء هاهنا بمعنى الاستغاثة (١١٤) ولا صلة بينه وبين العبادة، فلا حاجة إذن لهذا التقسيم.

خصوصية الداعي والبعد الغيبي للدعاء:

الدعاء إذن مقولة تحدّ بطرفين، طرفها الأول «الداعي» وهو مخلوق ضعّف لخلقه، وطرفها الآخر «المدعو» وهو الخالق البارئ المتعالى الذي بقدرته قهر كل الأشياء، وبرحمته أفاض عليها الوجود والمعنى ومن هنا يتضح أنه من المستحيل فهم الدعاء بمعزل عن البعد الغيبي، والاطار الإلهي، إذ إن فهم هكذا مفاهيم ينبغي أن يكون من خلال نافذة السماء، وحيث السلوك والسير نحو السماء لا بد أن يكون بأدوات ذات أبعاد غيبية سماوية، لذا يلزم في تحقق الدعاء أن يكون الداعي متصلاً بالله تعالى اتصالاً شخصياً مباشراً يؤهله لاقبال الله تعالى عليه،

(١١٠) الكهف: ٩٥.

(١١١) القصص: ١٥.

(١١٢) آل عمران: ١٥٣.

(١١٣) جعفر السبحاني، العبادة حدّها ومفهومها: ٦١.

(١١٤) ابن منظور، لسان العرب ٤: ٣٥٩.

وإجابته له، ولا يتم هذا الاتصال إلا بالسعى الحثيث، والكدح الدؤوب نحوه تعالى، وفي هاتين الممارستين: ممارسة الاتصال والارتباط بمبدأ الفيض، وممارسة الكدح والسعى الشديدين نحوه، يتبين كيف أن الدعاء يحاith الإنسان ليوسع في مفهوم شخصيته، حيث تتم في مثل هذه الأبعاد المفعمة بالحركة المتدفقة بالصعود والارتقاء نحو الخالق الحق، تحولات الروح التي تنهيا للعودة إلى الله الملك القدوس. فالغاية إذن واضحة جلية، فلا إيهام ولا غموض، وآخر الطريق وعد الله ولقاؤه. أما المسير فيبدأ من النفس الداعية؛ إنه الطريق الذي يبدأ به الإنسان الداعي عبداً فقيراً، ينشد الخير والكمال، أو مسيئاً عاصياً مذنباً يرجو رحمة الله وعفوه، وينتهي به مخلوقاً إلهياً يتصل بمبدأ كل خير ولطف وينتمى إلى حيث الخير والجمال، وما يكون التجاوز في هذا الطريق الرحيب إلا على أساس حلمه تعالى وعفوه ومغفرته ورحمته، ولو لم تكن تلك المحطات الإلهية لأقفر المكان، وأظلم الدرب، واستوحش المسير، وانقطعت الصلة وبانت العلاقة بين العبد ومولاه.

بهذا المنظار يتكشف أن الفقر والحاجة والنقص وشائج قائمة في أبعاد الإنسان، وأن الغنى الحميد أعطى الإنسان القدرة على رفع هذه السلبات بالفرار إليه، والحضور بين يديه، ويؤيد هذا الانكشاف والتفسير ما جاء في الذكر الحكيم من معان نحو قوله تعالى: (ففرؤا إلى الله)(١١٥).

(يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه)(١١٦).

التمييز بين حركة الإنسان المؤمن والكافر تجاه الحق تعالى:

في مثل هذه القراءة الشاحصة لحركة الإنسان إلى ربه يتجلى كيف أن الله سبحانه وتعالى هو الغنى المتعالى، منتهى الحاجات، وغاية الامال، وجواب كل سؤال، وكيف أن الإنسان هو ميدان الفقر والسلبات، ووعاء منخوب بالحاجات، كما يتبين أن المسير إلى الله تعالى هو ممارسة جبلية وحركة فطرية، يستوى بها الإنسان المؤمن والكافر، فكلاهما مدفوع بلا نهاية نحو اللامحدود، وإلى تخوم السماء، والحقيقة أن هذا التوجه الفطري، والدعاء الغريزي الذي وهبه الله لعبده، إنما هو نافذة للخلاص، وينبوع للخير والكمال، يسد به نقصه، ويشبع حاجته، وهذا ما أبرزته النصوص القرآنية التالية:

(وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور)(١١٧).

(هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين)(١١٨).

(١١٥) الذاريات: ٥٠.

(١١٦) الانشقاق: ٦.

(١١٧) لقمان: ٣٢.

(هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)(١١٩).

لكن سرعان ما يفترق المؤمن والكافر فى الطريق عند هذه النافذة التى ما برحت الحد الفاصل بين الكفر والايمان؛ إذ إن الافتراق هنا يعنى التفاوت فى الحركة، والتمايز فى مصدر الدفع والتوجه، فالإنسان المؤمن يجعل من ايمانه بالله وتوحيده له نقطة انطلاق للسير فى طريق الطمأنينة والامل إنه السير نحو مصدر الفيض، ومنبع الخير، وموطن السلام. وهذا الحنين الهائل لدى الانسان المؤمن إلى المولى الحق لا يستدعى المثل بين يديه بالدعاء غريزياً فحسب، بل يتجاوزه ليدعوه (رغباً ورهباً) أو (خوفاً وطمعاً)، فالذين آمنوا أينما يولّوا فثم وجه الله يتجلى لهم، فهم لا ينفكون عن الاتصال به تعالى قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ولذا يسرون بقلوب مقبلة عليه، وبتعجيل مقداره قربهم منه تعالى، ولهذا كان العمدة فى آداب الدعاء «الاقبال بالقلب، لأن من لا يقبل عليك لا يستحق إقبالك عليه»(١٢٠)، «ولولا الاجل الذى كتب الله عليهم، لم تستقر أرواحهم فى اجسادهم طرفه عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب»(١٢١). ومن الطبيعى أن يتجلى الاقبال فى أسنى صورة له، عندما يتجاوز العبد المؤمن هذا الحد من الدعاء إلى أسمى درجات المثل بين يدي المولى عز وجل، حينما تكون سراية اللاهوت إلى جميع شؤون، سراية تلغى معها كل المسافات والاعراض الفردية، وفى مثل هذا الوعى اللامحدود، والحضور الواعى يقول على(عليه السلام): «إلهى ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً فى جنتك، بل وجدتكم أهلاً للعبادة فعبدتكم»(١٢٢)؛ إذ يتضح الاتصال بالله هنا، عندما نصب الامام(عليه السلام)نفسه فى مقام العبودية التامة والتبعية الخالصة لله، وكأنه يحيا بانكساره فى الافق الالهى المطلق، ولعل فى هذا يكمن السر فى استحقاقه(عليه السلام)وسام النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) عندما قال فيه: «لا تلوموا علياً، فإنه ممسوح فى الله»(١٢٣)، أو «فإنه ممسوس فى ذات الله»(١٢٤).

(١١٨) الاعراف: ١٨٩.

(١١٩) يونس: ٢٢.

(١٢٠) عبد الله شبر، الاخلاق: ٦٢، منشورات بصيرتي، قم، ط٥، ١٤٠٨.

(١٢١) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: ٣٠٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

(١٢٢) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار ٤١: ١٤، دار إحياء التراث العربى / مؤسسة الوفاء، بيروت ط٢، ١٩٨٣م.

(١٢٣) محمد حسين الطباطبائي، علي والفلسفة الالهية: ٣٠، الدار الاسلامية، بيروت.

(١٢٤) ابو نعيم الاصفهاني، حلية الاولياء ١: ٦٨، دار الفكر، بيروت.

نعم، هكذا نرى الدعاء يحرك العبد المؤمن لـ «ينصب فيها نفسه في مقام المملوكية والاتصال بمولاه بالتبعية والدلة؛ ليعطفه بمولويته وربوبيته إلى نفسه» (١٢٥).

في حين نرى في الجهة الثانية الانسان الكافر يسير نحو المولى عز وجلّ بلا ريب البتة، لكن بحركة بطيئة ضئيلة، يثاقل في مسيره إلى الارض وصدره ضيق حرج كأنما يصعد في السماء، وربما تكون حركته معدومة، أو بوجه مدبر وبتعجيل نحو قفاه، وكأنه (خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) (١٢٦)، والحق أنه لا يلتجئ إلى القدرة اللامتناهية إلا عندما يتوزعه الشر، أو يحيط به الاضطراب، كما تبين ذلك من الايات السابقة الدالة على اشتراك المؤمن والكافر في الدعاء الغريزي، إلا أنه سرعان ما ينسحب طغيانه وغروره بعد ذلك الدعاء ليطوّق اتصاله الفطري، وحركته الوجدانية نحو الرب ويجعلها في خبر كان. ولو تتبعنا تلك الايات وما بعدها لأتضح (إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى) (١٢٧).

وهاك بعض النصوص القرآنية التي تفضح هذا الانحراف عن الحق، والزيغ عن الكمال، قال تعالى: (وإذا مسّ الانسان ضرّاً دعا ربه منياً إليه ثم إذا خوله نعمه منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار) (١٢٨)، وقال: (وإذا مسّ الانسان الضرّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مرّ كأن لم يدعنا إلى ضرّ مسّه كذلك زوّين للمسرفين ما كانوا يعملون) (١٢٩)، وقال: (وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشرّ فذو دعاء عريض) (١٣٠).

واضح إذن أن هذا التباعد والخروج عن الصراط السوي لا يتم إلا عندما يكون الانسان اسير الغرور والطغيان، ورهين الترف والشيطان، وواضح أيضاً أن الاستغناء مدعاة لكفر الانسان بـ «يوم التلاق»، ولكن الحق هو «أن من كانت مطيته الليل والنهار فإنه يُسار به وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً» (١٣١).

(١٢٥) الطباطبائي، الميزان ١٠: ٣٨.

(١٢٦) الحج: ٣١.

(١٢٧) العلق: ٦ - ٧.

(١٢٨) الزمر: ٨.

(١٢٩) يونس: ١٢.

(١٣٠) فصلت: ٥١.

(١٣١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٦: ٩٣، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٦٧م.

فحرى بنا أن نعيد عن عالم الأشياء الباطلة، ونبادر المولى بكلمات الانكسار في أفق اللاهوت ولو من صمت؛ علّة يشملنا بلطف النداء: (ارجعى إلى ربك راضية مرضية) (١٣٢)، لا أن ننساق إليه بسطوة الجحيم، وسيط ملانكة غلاظ شداد، يصرفون: (لئن لم ينته لنسفن بالناصية) (١٣٣)

الدعاء والاستجابة:

فى مثل هذا البناء الروحى المتواصل بين العبد والمولى، وحينما يُعدّ الدعاء ممارسة وجدانية طرحت أساساً فى ميدان التواصل بين الداعى والمدعو، أى إنها تجربة ذاتية للداعى مهما كانت درجة الانفعال الوجدانى فيها من الوعى ضئيلة أو عالية، فإنها بالتالى من ثم تسعى للوصول إلى الوجود اللامتناهى وإلى إحداث استجابة ما لديه تعالى، وهذا ما عبر عنه الطباطبائى بتوجيه نظر المدعو نحو الداعى (١٣٤).

ولفهم هذا التوجيه، ومعرفة مدى انعكاساته، ينبغى مبدئياً أن نعرف أن الباب لا يفتح دون أن يطرق، وأن المصباح الكهربائى لا يتوهج ما لم تسرى فيه شحنة الكترونية. ولكن تكون هنالك استجابة للمدعو حيال الداعى، لابد أن يتحقق الاتصال ويتأسس التماسّ بسريان الشحنة الوجدانية من العبد تجاه المولى، و «من قرع باب الله سبحانه وتعالى فتح له» (١٣٥)، فإنه تعالى لم يشترط فى استجابة الدعاء أى شرط أو قيد «إلا أن يكون هناك دعاء حقيقة، وأن يكون ذلك الدعاء متعلقاً به وحده» (١٣٦).

وهذا ما تكشفه الايات القرآنية التالية نحو قوله تعالى: (ادعونى أستجب لكم) (١٣٧).

(أم من يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) (١٣٨).

(وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) (١٣٩).

(١٣٢) الفجر: ٢٨.

(١٣٣) العلق: ١٥.

(١٣٤) الطباطبائى، الميزان ٢: ٣١.

(١٣٥) عبد الواحد الامدى، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٣، مكتب الاعلام الاسلامى، ط ١.

(١٣٦) الطباطبائى، الميزان.

(١٣٧) المؤمن: ٦٠.

(١٣٨) النمل: ٦٢.

(١٣٩) البقرة: ١٨٦.

من هنا جاءت كلمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلّي (عليه السلام): «لا يقبل الله دعاء قلب ساه» (١٤٠).

وكلمة علي (عليه السلام) عن الصادق (عليه السلام): «لا يقبل الله عزّ وجلّ دعاء قلب لاه» (١٤١).

كما يتضمن هذا المعنى ما روى عن الصادق (عليه السلام) حين قرأ: «أم من يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء» فسئل: مالنا ندعو ولا يستجيب لنا؟ فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه، وتسالون ما لا تفهمونه» (١٤٢) أي (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) (١٤٣).

إذن «حقيقة الدعاء والسؤال هو الذي يحمله القلب ويدعو به لسان الفطرة، دون ما يأتي به اللسان الذي يدور كيفما أدير صدقاً أو كذباً، جداً أو هزلاً، حقيقةً أو مجازاً» (١٤٤).

يتجلى لنا من خلال ما تقدم أن الاجابة منوطه بتحقيق الدعاء، والدعاء لا يتحقق إلا بحركة العبد نحو المولى حركة يكون فيها القلب واعياً متصلاً به تعالى، لا كما يتوهم البعض من أن «الجواب يتجه للمشكلات، والماء يتجه للموضع المنخفض. لا تبحث عن الماء بل دع نفسك تظماً فحينئذ سيصل إليك الماء من كل جانب» (١٤٥)، أي إن الاجابة تتحقق بتحقيق الحاجة.

ومن نافلة القول أنه من التوهم بمكان أن يكون الاعتكاف بيت من الشعر أولى من الاعتكاف بصريح عامر بأحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، فنحن لا نرى لهذه الكلمة تطبيقاً إيجابياً يعايش مفردات الدعاء؛ إذ إن حركة العبد نحو مولاه تحليق في آفاق الغنى اللامتناهي، وورود على مناهل الخير والعطاء، وهنا - أي عند هذا البيت - لا نلتمس الدعوة في قبول الظماً فحسب، بل نجد الدعوة لطلب الظماً وتأكيده، وهي مفردة سلبية هشة؛ إذ «إن أعجز الناس من عجز عن الدعاء» (١٤٦)، ولم يستطع أن يتجه بحاجته نحو السماء، فאלله يدعو عباده للسؤال منه و«يحب الملحّين في الدعاء» (١٤٧)، حتى قيل في الحديث القدسي: «يا موسى، سلني كل ما تحتاج إليه، حتى علف

(١٤٠) الصدوق، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٣٩.

(١٤١) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي ٢: ٤٧٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨ هـ.

(١٤٢) عبد الله شبر، الاخلاق: ٦٣.

(١٤٣) آل عمران: ١٦٧.

(١٤٤) الطباطبائي، الميزان.

(١٤٥) هذا البيت للشاعر جلال الدين الرومي المعروف بالمولوي، وقد ذكره الشهيد المطهري في اثناء كلامه عن الدعاء: ١٤، والشيخ الاصفى في كتابه الدعاء: ٣٥.

(١٤٦) مكارم الاخلاق: ٢٦٨.

(١٤٧) بحار الانوار ٩٣: ٣٠٠.

شأتك، وملح عجينك» (١٤٨)، كما روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «لتسألن أو ليقبضن عليكم» (١٤٩)، وعن الامام الصادق (عليه السلام): «ولو أن عبداً ساء فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً، فسل تعط» (١٥٠). «سلوا الله عز وجل ما بدا لكم من حوائجكم حتى شسع النعل، فإنه إن لم ييسره لم يتيسر» (١٥١)، وهكذا أسئلة تعنى تأكيد الصلة وتعميق الثقة بين العبد ومولاه، فى حين أن تأكيد الفقر والحاجة والظما لا يعنى بثه ونشره بين يدى الله تعالى، ومن ثم فليس هناك اى دعاء، ومن جهة ثانية فإن طلب الظما والبحث عنه يفترض عدم السعى والعمل لسد الخلة ورفع العجز، وهذا ما ياباه العقل وترفضه النصوص الاسلامية لنحو: «الداعى بلا عمل كالرامى بلا وتر» (١٥٢).

ويضاف إلى ما سبق أن الله عز وجل يغضب إذا لم يسأله العبد، بل يدخل من أعرض عن دعائه النار: (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) (١٥٣)، «والاستكبار عن العبادة فى هذه الاية الكريمة هو الاعراض عن الدعاء، فإن السياق يدعو إلى الدعاء، يقول تعالى: (ادعوني استجب لكم)، وبعد ذلك مباشرة يقول: (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين)، إذن الاعراض عن الدعاء فى هذه الاية الكريمة بحكم الاستكبار عن العبادة لانه إعراض عن الله» (١٥٤).

هذا ومن المحتمل أن يكون هناك معنى إيجابى يريده الشاعر، لكن سيبقى خارجاً عن دائرة الدعاء بالتأكيد.

نخلص مما تقدم أن الاستجابة تتأتى من الدعاء نفسه، اى إنه إذا كان هناك دعاء حقيقة، فهناك إجابة قطعاً وإلا فلا.

الدعاء ونظامى التكوين والتشريع:

ينبغى الإشارة إلى نكتة كاد يتفق عليها كل من كتب عن العلاقة بين الدعاء والاستجابة، وهى اشتراطهم الجواب بالأى يكون الدعاء اختراقاً لسنن الله تعالى فى الطبيعة، والكون، والمجتمع، والتأريخ، وبعبارة موجزة: ألا يكون الدعاء مخالفاً لنظامى التكوين والتشريع؛ إذ إن سنن الله تعالى لا تتحول، ولا تتبدل.

(١٤٨) أحمد بن فهد الحلبي، عدة الداعي ونجاح الساعي: ٩٨، مكتبة الوجداني، قم.

(١٤٩) المصدر السابق: ٢٦.

(١٥٠) المصدر السابق: ٢٣.

(١٥١) المجلسي، بحار الانوار.

(١٥٢) نهج البلاغة.

(١٥٣) غافر: ٦٠.

(١٥٤) الاصفى، الدعاء عند أهل البيت (عليهم السلام): ١٨.

فإنه «ليس كل ما يسأله الانسان ممكناً في حساب النظام الكونى العام، فقد يدعو الانسان الله تعالى بما لا يمكن في حساب النظام العام (القضاء والقدر) فلا يستجاب له» (١٥٥)، «أمثال المطالبة بالخلود في الدنيا» (١٥٦). وعلى الرغم من ذلك فإنهم يجمعون على أن «الدعاء مفتاح الرحمة» (١٥٧)، وسنة إلهية تحكم الحياة بلا ريب، وأن قوله تعالى: (ادعوني أستجب لكم) (١٥٨) قانون إلهي لا يصل إليه الشك قطعاً، وأن عطاءه تعالى لا يمكن أن يحد. والحق أن ما جاء في القرآن الكريم والمأثور من روايات أهل البيت (عليهم السلام) لا يتماشى مع هذا الرأي؛ فقد روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «لا يرد القضاء إلا الدعاء» (١٥٩)، وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبراماً» (١٦٠).

وهذا - على الأقل - موقع الدعاء في روايات أهل البيت (عليهم السلام)، لكن لو أمعنا التدقيق في آيات الله وأحاديث أوليائه، وطالعنا ما يدور حولنا من الاجابات الالهية التي لا حصر لها لدعوات المؤمنين كما كان هناك تسويغ في اعتماد هذا الرأي «ذلك أن مفهوم الدعاء هو طلب تهيئة الاسباب والعوامل الخارجة عن دائرة قدرة الانسان، وهذا الطلب يتجه به الانسان إلى من قدرته لامتناهية، ومن يهون عليه كل أمر» (١٦١). وكما أشرنا في تعريف الدعاء وكيف أنه يتأسس ببعدين أحدهما كان غيبياً، هذا البعد الذي جعل الدعاء يدمج الطبيعي بما هو غير طبيعي وبما هو فوق طبيعي لبلوغ أغراض مكملّة وأسباب مؤثرة، وهذا هو وجه العلاقة بين الدعاء والاستجابة، ينتج عن ذلك أن من يلتجئ إلى الدعاء فإنه يعتصم بالله تعالى، وهو السبب الحقيقي الذي يكمن وراء جميع الاسباب العادية والظاهرة.

كما لا يكتمل جدوى الدعاء عند وقوفه ضمن الاسباب العادية فقط، ولم يكن مخترقاً للسنن غير المألوفة. وتوثيقاً لما سبق نقدم ثلاثة موارد قرآنية تمثيلاً لا حصرأ، كان فيها الدعاء مخالفاً حسب الظاهر للقوانين الطبيعية المألوفة للانسان:

١ - (قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين) (١٦٢).

(١٥٥) المصدر السابق: ٤٨.

(١٥٦) المطهري، الدعاء: ١٧.

(١٥٧) إشارة إلى رواية عبد الله ابن سنان المذكورة آنفاً. كذلك ما روي عن علي (عليه السلام): «الدعاء مفتاح الرحمة»، بحار الانوار ٩٠: ٣٠٠.

(١٥٨) غافر: ٦٠.

(١٥٩) مكارم الاخلاق: ٢٦٨.

(١٦٠) وسائل الشيعة ٧: ٢٧.

(١٦١) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل ١: ٣٦٤.

(١٦٢) الحجر: ٣٦ - ٣٧.

٢ - (ذكر رحمه ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفياً * قال ربّ إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم اكن بدعائك رب شقياً * وإني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتى عاقراً فهب لي من لدنك ولياً * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيعاً * يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً * قال ربّ أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً * قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا)(١٦٣).

٣ - (قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين)(١٦٤).

وأما ما ورد عن أمير المؤمنين(عليه السلام): «يا صاحب الدعاء لا تسأل ما لا يكون وما لا يحل»(١٦٥)، فربما أراد بما «لا يكون» الطلب العبثي أو طلب المترف الضال، أو أن يطلب ما لا يفهم كما ورد في كلام الامام الصادق(عليه السلام) آنفأ، وكل هذه الموارد لا يتحقق بها الدعاء. وواضح أن «ما لا يحل» هو مخالفه السنن التشريعية لله تعالى.

دور الدعاء في العلاقة بين الانسان والتكون:

ثمّة وضوح فيما سبق من إشارات يدلّنا على مفردات، نحو: حركة، توجه، إقبال، نزوع، وما شاكل هذه المعاني الدالة على اندفاع الداعي بقلبه ووعيه نحو الخالق الحق، هذا النزوع الذي يسبق الكلمات «النص» إن لم تكن قد ولدت - هذه الكلمات - معه سابحة في هذا التحرك نحو فضاء الغيب والتموج فيه. وهذه الكلمات الدائبة في معانيها هي التي تشكل تجربة الداعي، وممارسته الوجدانية حيال الله تعالى، في الوقت الذي فيه يسجّل حوار مع مولاه. ولا يهمنّا شكل هذه الكلمات، فربما تكون صراخاً عالياً في وجه الكون، أو همساً تتناجى معه معاناة الروح وشجونها، أو صمتاً يُنبئ عن ذهول العبد وحيرته تجاه الملىء المطلق، أو سرّاً يتنامى فيه فرح العبد بقاء محبوبه ومعشوقه الاول. لكنّ المهمّ أن هذه الكلمات ذات الايقاع الملائكى الجميل هي التي ستخترق الحجب، وفوضى المفردات الصديئة، إلى حيث التحرر والاعتناق. أجل، إن هذا النص الدعائي المشحون بدلالات العبودية والتضرع والسؤال هو الذى سيكشف أفقاً من الاسئلة سرعان ما تعيد خلق الانسان من جديد، أو على الأقل اكتشافه بين يدى الله تعالى والانسان الاخر، والطبيعة معاً. فعندما يكون الانسان راغباً إلى ربه بدعائه ومحركاته، سيخلق هذا النزوع رؤيةً تمكّنه من الحضور بين يدى الله تعالى والنظر إلى وجهه، وإن هذه الرؤية تتغير بتغير الداعي، وتغير موقعه وبعده المعرفى، فتارةً نراه فى موضع الاستكانة والاعتراف، وأخرى يستمّح سيّد العذر ويسأله العفو، وثالثةً فى مقام توبيخه نفسه على جرمه وجريته، ورابعةً يستدرّ من حلم الله وعفوه أملاً فى غفران ذنوبه وستر عيوبه، وخامسةً يغلظ القسم ويؤكد العهد على

(١٦٣) مريم: ٢ - ٩.

(١٦٤) المائدة: ١١٤ - ١١٥.

(١٦٥) المجلسي، بحار الانوار ٩٠: ٣٢٤.

ترك ما اقترف من المعاصي، وسادسهُ يكون قد انمحي في ايقاعات الأنس، ونفحات القرب بحبيبه ومعشوقه، وسابعهُ، وثامنهُ، وهكذا يعيش الداعي تغيّر حالاته، وكأنّه يتموج في أفق الكشف والشهود، حتى يتأسس حضوره ويتجلى بشكله الاكمل عندما يكون العبد بين يدي مولاه مملوكاً مخلصاً له الدين، حاضراً دون غياب، بينما يكون في المقابل المولى رب الارباب حاضراً حاكماً مطلقاً، لا إله إلا هو يعلم الجهر وما يخفى وهو بكل شيء محيط.

في تلك اللحظات الكاشفة لهذين الحضورين يمتدّ إيقاع حوارات الانسان لربّه ليلتمس الجذوة الابديه، والنور الذي يأبى أن يطفأ، ولو لم يمسه نار، نور على نور، لحظات انفجار ينابيع النور والخير والعمل الصالح، والدفق المستمر بالحياة، إنها لحظات ولادته مبشراً أهله وبنى جبلته: (إني آنست ناراً سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون)(١٦٦)، وما ذلك الشهاب إلا كلمة الله وشريعته، وحيث تكون كلمات الله تكون الحياة، ويكون الخير والمورد الذي لا ينضب.

قال تعالى: (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)(١٦٧).

وطبيعي أن يرتقى الداعي بمثل هذه القراءات إلى حيث الكمال، فهو باتجاهه صوب الحق وحضوره بين يديه تعالى يتعلم كيف ينقل صورة الله عزّ وجلّ وصفاته إلى الانا / الآخر والكون معاً، كما يتعلم كيف يحيد عن المعصية والباطل، ولعل من الاهمية بمكان تأكيد أن الظامئ يذبل فؤاده وتتلفى أحشاؤه إذا لم يرد المنهل العذب، كذلك الدعاء فإنه بالقول وحده يتداعي إذا كان دون تجليات السعي والكدح والحركة المتدفقة بالصالح والتقوى، فإنه «لن يجدى القول حتى يتصل بالفعل»(١٦٨)، وإن الله تعالى ذم الذين يقولون ما لا يفعلون بقوله: (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)(١٦٩).

ينتج عن ذلك، أن حضور الداعي بين يدي مولاه هو الذي يخلع على وجوده معنى يستمدّه من الحي القيوم، حينما يكرّس العبد جميع قواه ليغلب بها قوى الشرّ والكفر كافه، وبعبارة القرآن الكريم يغلب نفسه اللوامة على النفس الامارة بالسوء، والانتهاه إلى حيث لا حكم إلا حكم الله، إذ (فمن كان يرجو لقاء الله فليعمل عملاً صالحاً)(١٧٠).

(١٦٦) النمل: ٧.

(١٦٧) الانعام: ١٢٢.

(١٦٨) الامدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٥٣.

(١٦٩) الصف: ٣.

(١٧٠) الكهف: ١١٠.

من هنا فاضت تضاعيف كتب الحديث لتغمر استجابة الدعاء بطاعة المولى والاعتصام بمواثيقه، والعمل بحدوده، نحو السعى الجاد من أجل حياة كريمة مفعمة بفعل البر والاحسان والمطعم الطيب، والمكسب الحلال، والابتعاد عن المعاصي والآثام، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر....

هكذا تتكشف شمولية الدعاء وتتضح كيفية توسع مفهومه ليشمل مطلق العبادة حينما يكون قول الداعي - النص - مطابقاً لفعله وواقعه، سواء كان ذلك الفعل على المستوى الشخصي للداعي، أو على مستوى الآخر والجماعة والطبيعة معاً.

نصوص من أدعية أهل البيت (عليهم السلام):

إن نظرة سريعة لبعض فقرات الادعية الماثورة عن أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم ستكشف لنا عن ثورة تمور داخل الذات، وأول ما تستدعي هذه الثورة هو بعث الروح في ذات الداعي، ومدّها بمقومات الديمومة، وعناصر التدفق، والثاني هو إحداث انفجار يتناول الواقع والمحيط الخارجي، انفجاراً سيغير صورة الواقع ووجهه، بتغير علاقات الداعي مع الأشياء، نتيجة للرؤية الجديدة المتحققة والقائمة بوشائج الارتباط والتماس بين العبد والمولى، حين يكون الانسان محلّقاً في عالم النور المشرق بوجه الله تعالى، حيث التوحيد، والتنزيه، والتسبيح، والتهليل، وكل المعاني الكامنة وراء إبداع الخالق وآياته.

هكذا إذن تمتد كلمات الله ومعاني الدعاء السامية لترعى العلاقة «الانساكونية» كلما امتدّ تطلع الداعي نحو الخير والكمال، لكن كيف تشرّب لغة المناجاة لتعيد خلق الانسان وبعثه؟ ومتى أصبحت مفردات الدعاء قوة ترعى الانسان وعلاقاته مع الأشياء؟ مايلي من نقاط سيوجز الاجابة على مثل هذه الاسئلة:

١ - إن قراءة الانسان للدعاء تعني بدئياً قراءتين: الاولى: قراءته لنفسه، والثانية: قراءته للمولى عزّ وجلّ، ومن ثم العمل لاقامة العلاقة والصلة بين هاتين القراءتين من خلال تأصيل العبودية للداعي في الوقت الذي يتم فيه تأكيد المولوية للمدعو تعالى، وجميع الادعية تتضمن هذا البعد إلا أنه يبرز جلياً في مناجاة مولى الموحدين على بن ابي طالب (عليه السلام) التالية: «مولاي يا مولاي أنت المولى وأنا العبد، وهل يرحم العبد إلا المولى. مولاي يا مولاي، أنت المالك وأنا المملوك، وهل يرحم المملوك إلا المالك؟ مولاي يا مولاي، أنت العزيز وأنا الذليل، وهل يرحم الذليل إلا العزيز؟ مولاي يا مولاي، أنت الخالق وأنا المخلوق، وهل يرحم المخلوق إلا الخالق؟ مولاي يا مولاي، أنت العظيم وأنا الحقير، وهل يرحم الحقير إلا العظيم؟...» (١٧١).

٢ - إن الدعاء منبر يتحمل - على المستوى الفكري والعقائدي - مسؤوليّة التعريف لعقائد الاسلام ومفاهيمه، وتركيزها في النفوس، كالتعريف بوحدانية الله تعالى وعدله وباقي صفاته، أو التعريف للنبوة، والوحي، والكتاب، والمعاد وغير ذلك.

(١٧١) عباس القمي، مفاتيح الجنان: ٣٩٩.

ولعل دعاء الامام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفه هو الاشهر بين الادعية الدالة على معاني التوحيد وبيانها. وإليك فقره مباركه منه: «إلهي... كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي توصل إليك؟...» (١٧٢).

كذلك نرى سيماء كتاب الله المجيد واضحة الدلالة في دعاء الامام علي بن الحسين (عليه السلام) عند ختم القرآن: «اللهم إنك أعتنى على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً، وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلته، وفضلته على كل حديث قصصته، وفرقنا فرقت به بين حلالك وحرامك، وقرأنا أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتاباً فصلته لعبادك تفصيلاً، ووحياً أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلاً، وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه، وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاه لا يضل من أم قصد سنته، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروه عصمته...» (١٧٣).

وعند قراءة فقره من دعائه (عليه السلام) بعد الفراغ من صلاة الليل، يضطرب القلب خوفاً من صورة النار واهوالها وكأنه اراد بدعائه (عليه السلام) أن يعرف هذه المفردة: «اللهم إني اعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك، وتوعدت بها من صدف عن رضاك، ومن نار نورها ظلمة، وهينها أليم، وبعيدها قريب، ومن نار يأكل بعضها بعض، ويصلو بعضها على بعض، ومن نار تذر العظام رميماً، وتسقي حميماً، ومن نار لا تبقى على من تضرع اليها، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عمن خشع لها، واستسلم اليها. تلقى سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال وشديد الوبال، واعوذ بك من عقاربها الفاغرة افواهاها، وحياتها الصالقة بانيابها، وشرابها الذي يقطع امعاء وافئدة سكانها وينزع قلوبهم...» (١٧٤).

٣ - أما على المستوى السياسي فالدعاء يتصدى لعرض الفكر السياسي الاسلامي، من خلال تحديده لمقومات الامة الاسلامية، وكشف هوية الخط القيادي الذي ينبغي أن يكون الجهاز الحاكم لهذه الامة، أو تعريضه بالسلطان المتعسف الجائر، أو فضح وتعرية حكام المسلمين المنحرفين، أو تحديده لمفهوم الحرية، وذلك من خلال العلاقة الطردية التي يقيمها الدعاء بين حرية الفرد المسلم، وبين عبوديته المطلقة لله تعالى، هذا مضافاً إلى العديد من المنجزات السياسية الاخرى للدعاء كحرص الصفوف، ووحدة الكلمة، ودعم الثورة والثوار، وبعث الروح الرسالية، وتنشيط الوعي السياسي للفرد والامة، ومن امثلة الادعية الواردة في رسم الخط القيادي وتشخيصه ما جاء في دعاء الندبة: «... فلما انقضت ايامه (صلى الله عليه وآله وسلم) واقام وليه على بن ابي طالب صلواتك عليهما وآلهما، إذ كان هو المنذر ولكل قوم هاد، فقال والملا أمامه: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من ولاءه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

(١٧٢) المصدر السابق: ٢٧٢.

(١٧٣) عز الدين الجزائري، شرح الصحيفة السجادية: ٢٠٤.

(١٧٤) المصدر السابق: ١٧٧.

وقال: من كنت أنا نبيّه، فعليّ أميره وقال: أنا وعلى من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى، وأحلّه محلّ هرون من موسى فقال له: أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وزوّجه ابنته سيدة نساء العالمين، وأحلّ له من مسجده ما حلّ له، وسدّ الأبواب إلا بابيه، ثم أودعه علمه وحكمته، فقال: أنا مدينة العلم وعلى بابها، فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها، ثم قال: أنت أخي ووصي ووارثي. لحملك من لحمي، ودمك من دمي، وسلمك سلمى، وحربك حربى، والإيمان مخالط لحملك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وأنت غداً على الحوض خليفتي، وأنت تقضى ديني، وتنجز عدايتي، وشيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي في الجنة، وهم جيراني، ولولا أنت يا على لم يعرف المؤمنون بعدي. وكان بعده هدى من الضلال، ونوراً من العمى، وحبل الله المتين وصراطه المستقيم، لا يسبق بقرابه في رحم، ولا يسابقه في دين، ولا يلحق في منقبه من مناقبه، يحذو حذو الرسول صلى الله عليهما وآلهما، ويقاقل على التأويل ولا تأخذه في الله لومة لائم..» (١٧٥).

وما جاء عن الامام على بن الحسين (عليهما السلام) في دعاء اليوم الثالث عشر من شهر رمضان المبارك، فانه مثال للدعاء الفاضح لهويّة الظالمين وممارساتهم المزيفة وأعمالهم الشائنة: «اللهم إن الظلمة جحدوا آياتك، وكفروا بكتابك، وكذبوا رسلك، واستكفوا عن عبادتك، ورغبوا عن ملّة خليلك، وبدلوا ما جاء به رسولك، وشرعوا غير دينك، واقتدوا بغير هداك، واستنوا بغير سنتك، وتعدّوا حدودك، وسعوا معاجزين في آياتك، وتعانوا على إطفاء نورك، وصدّوا عن سبيلك وكفروا نعماءك، وشاقوا ولاة أمرك، ووالوا أعداءك وعادوا أولياءك، وعرفوا ثم نكروا نعمتك، ولم يذكروا آلاءك، وأمّنوا مكرك، وقست قلوبهم عن ذكرك، واجترؤوا على معصيتك، ولم يخافوا مقتك، ولم يحذروا بأسك، واغترّوا بنعمتك.

اللهم إنهم اتخذوا دينك دغلاً، ومالك دولا، وعبادك خولاً... اللهم إنهم اشتروا بآياتك ثمناً قليلاً، وعتوا عتواً كبيراً، اللهم إنهم أضاعوا الصلوات، واتبعوا الشهوات،...» (١٧٦).

ومثلما يشدّ الدعاء الانسان المؤمن للتصدى ضد الظلم والاستبداد، ومقارعة الظالمين وفضحهم، يأخذ بيديه ناشداً إقامة العدل، وإفشاء السلام وإرساء قواعد الدولة الإسلامية، كما يحمله الدور الريادي والطلائعي في تحقيق هذا الهدف العظيم والامر الجسيم، فقد جاء في دعاء الافتتاح: «اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الاسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة...» (١٧٧).

(١٧٥) مفاتيح الجنان: ٥٣٢.

(١٧٦) محمود البغدادي، النظرية السياسية عند الامام زين العابدين، المجمع العالمي لاهل البيت (عليهم السلام)، ط ١.

(١٧٧) مفاتيح الجنان: ١٨٢.

٤ - على الصعيد الجهادي لم يكن الدعاء كما يظن البعض محاولةً للافلات من معترك الحياة، أو حافزاً للضعف والكسل والخمول، أو منتجاً يستدرّ منه الداعي الدعة واللين، بل إن الدعاء هو حشد زاهر بإشارات الثورة والنهوض تتنامى في جميع أطراف الداعي لتبقيه في حالة توثب دائم، وعطاء لا ينفد؛ ذلك أن رجاء التماس والاتصال بالمطلق يستدعي العطاء المطلق. قال تعالى: (فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى) (١٧٨).

هذا المستوى من المعاني التي ينطوي عليها الدعاء هي التي جعلت الانسان يسمو ويشمخ وهو يرنو لوجه الله الحي الذي لا يموت، وكيف يرغب الداعي إلى الخنوع وهو يرجوه تعالى أن يعيد بعثه كي يعيد الكربة ضد الكفر والظلم والشرور؟ نعم هكذا علمنا الامام الصادق في دعاء العهد أن نردد في صبيحة كل يوم: «اللهم إني أجدد له في صبيحة يومى هذا وما عشت من أيامى عهداً وعقدأً وبيعاً له في عنقى، لا أحول عنها ولا أزول أبدأ، اللهم اجعلنى من أنصاره وأعوانه، والذابين عنه، والمسارعين إليه في قضاء حوائجه، والممتملين لاوامره والمحامين عنه والسابقين إلى إرادته والمستشهادين بين يديه. اللهم إن حال بينى وبينه الموت الذى جعلته على عبادك حتماً مقضياً، فأخرجنى من قبرى مؤترراً كفى شاهراً سيفى، مجرداً قناتى، ملبياً دعوة الداعى فى الحاضر والبادى...» (١٧٩).

وفى مناجاة للامام الرضا (عليه السلام): «اللهم ... واجعلنا ممن تنتصر به لدينك وتُعزّ به نصر وليك، ولا تستبدل بنا غيرنا فإن استبدالك بنا غيرنا عليك يسير وهو علينا كثير» (١٨٠).

ومن المعاني الدالة على التفانى والاستشهاد ما جاء فى دعاء الافتتاح: «وقتلأ فى سبيلك فوق لنا» (١٨١).

من هنا صار ملاحظة جانب النهوض والكفاح فى الادعية لا يحتاج إلى دراسة متأنية.

٥ - وفيما يتصل بالجانب التربوى والاخلاقي يظل الدعاء معلماً واضحاً يرفد الانسان المؤمن بالمعاني السامية والاخلاق الفاضلة، والسجيا المحموده، ويرقى به فى مسير تكاملى مفتوح، لذا لم يفتأ الدعاء فعالاً يمكن الانسان من تقويم سلوكه، وتهذيب ضميره، ويحملة على محاسبة نفسه، ويبعث فيه القدرة على تمييز الخبيث من الطيب، والحق من الباطل، فتغدو مفاهيم الخير والفضيلة من سجايه، فيسارع إلى الخيرات، ويتنافس على الفضائل؛ لأن وقوف الانسان بين يدي الله عز وجل واعترافه بذنوبه، والمعاهدة الصادقة على التوبة النصوح فى

(١٧٨) الليل: ٥ - ١٠.

(١٧٩) مفاتيح الجنان: ٥٣٩.

(١٨٠) المصدر السابق: ٥٤٢.

(١٨١) المصدر السابق: ١٨٣.

حضوره، هي التي ستشكل مسار حركة سلوكية تصاعديّة مفعمة بمفاهيم الاستقامة ومعاني الخير والصلاح، وحيثما تتصاعد صيحات الاعتراف بالذنب، وتتعالى صرخات الانابة والتوب، ويتأصل الاحساس بالندم، يتأتّى معنى التطهير والولادة الجديدة، فيعي الانسان نفسه، ويكتشف حقيقة ذاته فيرغب حينئذ بالمسير إلى الحق، بالتزام جانبه، والاقلاع عما سواه، ويجتهد في بناء شخصيته بعيداً عن عوامل الانحراف ونوازع الفساد.

وإلى هذا يشير أبو حمزة الثمالي بدعائه عن الامام زين العابدين (عليه السلام): «اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والفشل، والهم، والجبن، والبخل، والغفلة والقسوة، والمسكنة، والفقر، والفاقة، وكل بليّة والفواحش ما ظهر منها، وما بطن، وأعوذ بك من نفس لا تقنع، وبطن لا تشبع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع...» (١٨٢).

والمسير في أيّ من الادعية المأثورة يوصلنا دون عناء إلى خلوات النفس وخلجاتها، ويكشف لنا مدى التأثير الذي يمارسه الدعاء في بناء الشخصية السويّة، من خلال تأسيس عناصر التربية الذاتية في الانسان، أو رعاية الجوانب التربويّة والاخلاقية فيه وإنمائها.

٦- يؤثر عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنّه قال: «الهي وهذه أزمنة نفسى قد عقلتها بعقال مشيئتك، وهذه أعباء ذنوبى درأتها برحمتك ورأفتك، وهذه أهوائى المضلة وكتلتها إلى جناب لطفك، فاجعل اللهم صباحى هذا نازلاً على بضياء الهدى والسلامة فى الدين والدنيا، ومسائى جنة من كيد العدى ووقاية من مُرديات الردى...» (١٨٣).

بهذه الفقرة المباركة من دعاء الصباح نتبين حنين الانسان إلى الله تعالى، ومحركاته يمثل الركيزة الاساس والدعامة الاولى لاطمئنان النفس وسعادتها، ففي الوقت الذي يكون فيه الدعاء داعياً إلى بناء الذات، وإعداد الانسان فرداً صالحاً ينهض بأعباء رسالته الانسانية، يتيح له أن يبتعد عن منطقة التمشكل والازمات النفسية، فالانسان حينما يبت الشكوى والعتاب، أو يظهر اللجوء إلى الله تعالى للخلاص من الاحزان والالام التي ولدتها الاهواء والذنوب، بالاعتراف بها، والاستقالة منها، والندامة عليها، والانكسار بين يديه عزّوجلّ طلباً للعفو والمغفرة، فإنه

(١٨٢) المصدر السابق: ١٩٧.

(١٨٣) محمد صالح الجوهري، ضياء الصالحين: ٣٠٣، دار الفيروزآبادي، قم، ٣، ط ١٤١٢ هـ.

سيدخل عالماً مشرقاً بنور الله ورحمته، وهذا ما يمنح الانسان التحرر من أعباء الذنوب، وعذاب الضمير، ويفتح على النفس منافذ الامل والطمأنينة، والسعادة الابدية، ذلك أن الله هو الغفار الرحيم والحنان الرؤوف، والسميع المجيب.

وهذا الشعور كفيل بأن يأخذ الانسان إلى دروب النور والتفائل، متخطياً علامات اليأس والظلام، ليطلّ على فرح المزيد من الحضور، وعرس اللقاء.

٧ - فيما تقدم كان واضحاً أثر الدعاء على الفرد معنوياً، وتربوياً، أو على أفقه الفكرى والمعرفى، لكن هناك أثراً آخر يظهر للمتأمل فى أبعاد الدعاء ووظيفته، هو بناء الكتلة الصالحة والجماعة الطيبة المؤمنة، من خلال توطيد العلاقة بين الداعى والاخر، أو من خلال تكوين عناصر البناء لتلك الجماعة بإعداد الفرد الصالح، فالانسان حينما يقف بين يدى الله عزوجل يرى أخاه المؤمن صورة له، ويرى نفسه مرآة للآخر. وهذا المجال يظهر فى أدعية الايثار - المذكورة آنفاً - وهى رجاء الداعى وتضرعه من أجل الاخرين، أو الادعية التى تجعل الانسان مرتبطاً بجماعة الايمان، كما فى دعاء نبي الله نوح(عليه السلام): (رب اغفر لى ولوالدى وللمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً)(١٨٤).

أو نحو دعاء ابراهيم الخليل(عليه السلام): (رب اجعل هذا بلدآ آمناً وارزق أهله من الثمرات)(١٨٥).

ونحو قوله تعالى: (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى)(١٨٦).

وبهذه الايقاعات الروحية يخلع الانسان المؤمن ثياب الوهم والفردية عنه ليزدان بزي الله ولباس الجماعة الصالحة، ويخرج من شرنقة الانا وثقل ظله الشخصى، ليدخل عالم النور المطلق، ودنيا الحقيقة والواقع، لذا ما برح الاولياء والمرسلين من التأكيد لرجاء لزوم الجماعة

(١٨٤) نوح: ٢٨.

(١٨٥) البقرة: ١٢٦.

(١٨٦) النمل: ٥٩.

الصالحه وكتله التوحيد. من هنا جاء دعاؤهم مستغرقاً كافة عوامل الاتصال بمجتمع الايمان، ومما يؤثر عن القرآن الكريم في هذا الصدد:

(رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين)(١٨٧).

(وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)(١٨٨).

(ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين)(١٨٩).

كما جاءت روائع الادعية الدالة على الارتباط بالكتلة الصالحة في آثار أهل البيت(عليهم السلام)، نحو ما روى عن الامام الباقر(عليه السلام): «اللهم أحييني حياة محمد وذريته، وأمتني مماتهم، وتوفني على ملتهم واحشرنى في زميرتهم، ولا تفرق بيني وبينهم طرفه عين...»(١٩٠).

أو ما جاء في دعاء مكارم الاخلاق للامام السجاد(عليه السلام): «اللهم صل على محمد وآله، وحلني بحليه الصالحين، وألبسني زينه المتقين، في بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة، وضم أهل الفرقة وإصلاح ذات البين، وإفشاء العارفة، وستر العائبة، ولين العريكة، وخفض الجناح، وحسن السيرة، وسكون الريح، وطيب المخالقة، والسبق إلى الفضيلة، وإيثار التفضل، وترك التعيير، والافضال على غير المستحق والقول بالحق وإن عز، واستقلال الخير وإن كثر من قولي وفعل، واستكثار الشر وإن قل من قولي وفعل، وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة، ولزوم الجماعة ورفض أهل البدع، ومستعملى الرأي المخترع...»(١٩١).

أجل هكذا جاء الدعاء ليجعل الافراد كلاً مترابطاً وكأنه الجبل، يمسك بجميع أطراف الجماعة ليوصلها بالمطلق المتعال، ومنتهى الامال.

(١٨٧) الشعراء: ٨٣ .

(١٨٨) النمل: ١٩ .

(١٨٩) المائدة: ٨٤ .

(١٩٠) مفاتيح الجنان، دعاء علقمة: ٤٦١ .

(١٩١) شرح الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الاخلاق: ١١٤ .

٨ - سواء دعا الانسان ربّه لنيل حاجاته وإشباع رغباته الماديّة والمعنويّة، أو دعاه من أجل الآخر والجماعة، أو لا لشيء سوى رضاه عزّ وجل ورضوانه، فإنّه يسير في تموجات ذلك الدعاء نحو بلوغ القوة والكمال، ويتحرك باتجاه واحد يرشده إلى لقاء الخير والجمال المطلق، وبقليل من إعمال النظر والتأمل في هذا المسير، نرى أنّه يندرج في الطريق الحق لاكتشاف الذات، والبحث عن هويتها؛ ذلك أن الدعاء هو الذي يفسّر معقولية هذا الوجود من حيث النشأة والمصير؛ لان الانسان لا يعي نفسه إلا بذكر الله وعلاقته به، وإذا غفل عن ذكر ربه ونسيه فإنه سينسى نفسه دون ريب، ولا يعرف من هو، ومن اين جاء، وإلى اين يذهب، وماذا عليه أن يفعل.

قال تعالى: (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم)(١٩٢).

ووعى الذات بين يديه تعالى يعنى نفى كل أسباب التخلف والفقر، ونوازع اليأس والقنوط، وبعث عناصر اليقظة والرشد، وأسباب الغنى واليسار، ونوازع الشعور بالمسؤولية، والانسان في هذا المستوى من الشعور والوعى هو أمين الله وخليفته، وجدير به أن يؤدى رسالته ويعمل لآعمار الكون وازدهاره: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان...) (١٩٣).

من هنا نفهم أن الآخر لم يكن صورة ثانية للداعى، أو امتداداً ذاتياً له فحسب، بل يكون الكون بأسره مرآة يتجلى فيها الداعى ويظهر عليها وضوح رسالته، وعلاقاته بالاشياء، وتبدو هنا العلاقة «الانساكونية» فى أجمل صورة لها، وأرفع مقام.

(١٩٢) الحشر: ١٩.

(١٩٣) الاحزاب: ٧٢.

فنون وآداب(*)

قصيدة: البعد الثابت

* جواد جميل (العراق)

واحةٌ من جراحنا كانتِ البدءَ اكتشفنا بها المدى المجهولا
وطوينا وجهَ الصحارى حَمَلْنَا لهبَ الامسِ والزمانَ القتिला
لم يعدْ غيرُ خطونا والمسافاتِ وحُلْمُ يُخَبِّئُ المستحِلا
ونثار من الدمِ المرَّ شَدَّ الـ غَيمَ فى خيطهٍ وشَدَّ الفصولا
فرؤانا تمرُّدٌ أشعلَ الصخرَ رَ وَرَدَّ الطوفانَ همساً خجولا
كيفَ لا ينحنى النهارُ وخلفَ الـ شمسِ عصفورةٌ تُفدِّى الخيولا
والنجوم ارتعاشهُ فى مآقيـ سنا وأحداقنا المرايا الاولى
نحنُ وعدُّ الماءِ الاسيرِ الذى يطـ لَعُ من شفرةٍ تحزُّ الذبولا
فى يدينا أشياءُ من صخبِ البحرِ رِ رَجَمْنَا بها السكوتِ الطويلا
سافرى يا رماحُ فى ظلمةِ الاضـ سلاعِ منّا وأوقدى القنديلا
أوقديه نريدُ أن يتوارى الـ سدرُ فى لحظةٍ نريدُ الوصولا

* * *

كَانَ صَوْتُ الْحُسَيْنِ مَرْفَأَنَا الْمَوْتَ عَوْدَ وَالِدَفَاءَ وَالْهَرُوبَ الْجَمِيلَا

حَيْثُ نَنسَى ضِيَاعَنَا وَانْكَسَارَا تِ رِؤَانَا وَخَطُّونَا وَالرَّحِيلَا

وَنُغْطِيْ أَسْمَاءَنَا وَنَعُوْذُ الْـ صَلْبَ وَالشُّوْكَ وَالْقُرَى وَالرَّسُولَا

فَاَصْرُخِي يَا قُبُورَ نَا عَلِّمِي الرِّيبَ حَ سُرَاهَا وَعَلِّمِيهَا الصَّهِيلَا

وَاحْصِدِي الضُّوْءَ وَاتْرَكِي غَبْشَ الطِّفْلِ وَسَيَافَهُ يُلْمُ النَّصُولَا

وَإِبْدِئِي فَالْحُسَيْنُ قَدْ أُيْقِظَ الْمَوْتُ تِي وَنَاغِي الْإِسَى وَمَسَّ الذَّهُولَا

دراسات

التعايش السلمي في الإسلام

* السيد محمد شفيعى مازندراني

ترجمة: عباس الاسدي

تعزيز أسس الأخوة والوحدة في المجتمع

اعتبر الدين الاسلامي ترسيخ قواعد الاخوة والوحدة في المجتمع هدفاً من اهدافه السياسية، إذ عزز بطرحه لقضية التآخي (١) بين المسلمين آصرة الاتحاد وروح الاخوة في المجتمع، ووسع من نطاق هذه الوحدة والتعايش السلمي مع سائر الشعوب والامم، من خلال الدعوة إلى اقامة علاقة سليمة تستند على اساس التفاهم، هادفاً من هذا الطرح الوجدوى إلى إيجاد بحر موج واحد من البشر في المجتمع وذلك من خلال قطرات فرادى. ومثل هذه الدعوة إلى توحيد المجتمع لم تقتصر على الدين الاسلامي فحسب، وإنما كانت دعوة جميع الانبياء تصب في سبيل تحقيق هذا الهدف (٢)، ذلك أن الاخوة تساعد على اعمار المجتمع وإقرار أمنه واستقراره، تحقيقاً للهدف المنشود في مجاهدة الكفار وصددهم.

ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو المسلمين دائماً إلى الاخوة الصادقة، فأخى بعد هجرته بين المهاجرين والانصار، وانطلق (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو اتباع الاديان الاخرى إلى الوحدة والتفاهم من خلال توقيعه معها على المعاهدات والمواثيق والعهد... وفى سبيل بلوغ هذا الطموح، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يثنى على الاخوة (٣) والوحدة، وينهى عن الفرقة والتشتت، ويحذر من مخاطر الخلاف (٤).

وثمة آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تدعو إلى الامر المذكور، نثبت منها:

(١) راجع: فريد وجدي، دائرة المعارف، مادة أخ.

(٢) قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...) الشورى: ١٣.

(٣) قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «يُؤَدُّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ». تفسير سورة السجدة لصدر المتألهين: ٢٠.

(٤) قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «مَنْ مَاتَ مَفَارِقًا لِلْجَمَاعَةِ فَقَدْ مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً» انظر: المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي: مادة فرق.

١ - (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) (٥).

٢ - (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) (٦).

٣ - (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) (٧).

وفى الآية فضلاً عن الاخوة إشارة إلى احدى المسؤوليات التي أُلقيت على عاتق المؤمنين، ألا وهى المبادرة إلى الإصلاح ويجاد هذه الاخوة المطلوبة.

نستنتج من الايات الشريفة المذكورة مايلي:

أ - المعيار الرئيسى للاخوة الاسلامية هو الايمان والاعتصام والتمسك بحبل الله، والاستقامة على صراط الايمان؛ ولهذا نرى أن آية الوحدة بدأت بعبارة (اطيعوا الله ورسوله) (٨)، لان هذه الوحدة تتحقق وتحفظ من خلال التمسك بحبل الله، وهو القرآن ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٩) وولاية الائمة الطاهرين (عليهم السلام) (١٠).

ب - تقع على الدولة الاسلامية مسؤولية نبذ التفرقة، واشاعة السلم والاخوة الاسلامية هدفاً من اهدافها الرئيسية.

ج - إن الوحدة والاخوة نعمة ربانية ينبغى الحفاظ عليها، باعتباره نوعاً من انواع الشكر، وفى المقابل تعتبر التفرقة والدعوة اليها وبث الخلافات نوعاً من الكفران والجحود والتمرد على الاوامر الالهية.

(٥) آل عمران: ١٠٣ .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا ابا ذر، انهاك عن الهجران، وان كنت لا بد فلا تهجر ثلاثة ايام». المجلسي: عين الحياة: ١٦٣ .

(٦) الانفال: ٤٦ .

(٧) الحجرات: ١٠ .

راجع: ابن جمعة؛ تفسير نور الثقلين ١: ٣١٣، ذيل الآية: (واعتصموا...) قال أبو جعفر (عليه السلام): آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هم حبل الله الذي امر بالاعتصام به.

(٨) حبل الله عبارة عن القرآن ورسول الله وآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فقد ورد في نهج البلاغة: «عليكم بكتاب الله، فإنه حبل متين» (الخطبة ١٥٦)، وجاء: «فاعتصموا بتقوى الله، فإن لها حبلاً وثيقاً» (الخطبة ١٩٠) و: «ألا وإنكم قد نقضتم ايديكم من حبل الطاعة» (الخطبة ١٩٢).

(٩) راجع: الطباطبائي، الميزان ٣: ٤٠٧ و ٤١٧؛ والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي، مادة حبل.

(١٠) راجع: ابن جمعة، نور الثقلين ١: ٣١٣ ذيل الآية اعلاه.

د - تترك عملية الشكر على نعمة الوحدة والاخوة تأثيرات ايجابية على المجتمع منها.

١ - تبرز في المجتمع ظاهرة التضامن، وتزول عن القلوب آفات الحقد، ويعم السلم والصلح فيه، الامر الذي اكد عليه الاسلام بشدة في تعاليمه، حيث دعا المؤمنين إلى اتخاذ زمام المبادرة في اقرار الصلح والصفاء في المجتمع (١١)، وحث على القيام بدور الوساطة في التقريب والاصلاح بين الناس (١٢).

٢ - تتوفر الارضية المناسبة في المجتمع الاسلامي، لازالة مظاهر النزاع وايجاد الصلح والصفاء.

٣ - تنتشر في المجتمع روح التضامن والتضحية والايثار وخدمه الآخرين.

٤ - تزول عوامل التفرقة في المجتمع أو يضعف شأنها، ومن ثم سيواجه الفشل تلك العناصر التي تتربص للكيد وتفرق صفوف المجتمع.

٥ - يتحقق الاستقلال في المجتمع الموحد، لان العدو لا يجرؤ على مهاجمته.

٦ - يتحقق أيضاً في مثل هذا المجتمع الاكتفاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي، لان التكافل بين الافراد يضمن لهم حياة شريفة دون الحاجة إلى الآخرين.

حدود الاخوة:

الاخوة نوع من الوحدة والانسجام يمكن أن نعبر عنها بالصدقة الاسلامية (١٣)، التي تجمع بين الافراد في ظل الايمان بالله تعالى، وهي شاملة تحوى إذا ما تحققت الكثير من الصفات الانسانية الرفيعة.

يقول الامام الصادق (عليه السلام) عن تأثير الاخوة الاسلامية على الواقع الحيوى: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك الشيء في سائر جسده» (١٤).

وقال (عليه السلام) أيضاً: «المسلم أخو المسلم (١٥) لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه، ويحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون على التعاطف والمواساة لاهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما امركم الله (رحماء بينكم) متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من امرهم، على ما مضى عليه معشر الانصار على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» (١٦).

(١١) «أيما مسلم تهاجرا فمكتا ثلاثة ايام لم يصطلحا ثم ماتا كانا خارجين عن الاسلام» (راجع: المحدث القمي، سفينة البحار، مادة هجر).

(١٢) «اجر المصلح بين الناس كالمجاهد في سبيل الله» (سفينة البحار، مادة صلح).

(١٣) راجع: فريد وجدي، دائرة المعارف، مادة اخ: واكثر ما يستعمل الاخوان في الاصدقاء.

(١٤) انظر: اصول الكافي ٢: ١٦٦، باب اخوة المؤمنين.

بلحاظ الاحاديث المذكورة لابد من القول: إن الوحدة من حيث استخدامها العرفي، لا تقارن بالاخوة التي تعنى رابطة من نوع خاص تحوى الكثير من الخصال الانسانية.

العلاقات مع الامم الاخرى

يهدف الاسلام فيما يهدف إليه إلى إقامة علاقات سليمة مع الشعوب الاخرى، تؤخذ فيها بنظر الاعتبار حقوق الجانبين وتعزيز التعايش السلمى بينهما، وتساعد على استمرار السلم والصدقة، وتستند على قاعدة قرآنية متينة وهي (لا تظلمون ولا تُظلمون)(١٧).

لا ريب في أن الدين الاسلامي يطمح من خلال طرحه لمشروع التآخي بين المسلمين، وإقامة علاقات سليمة بين الامة الاسلامية وسائر الملل والشعوب، إلى تحقيق حالة من الاستقرار والتعايش السلمى العالمى، فثمة آيات كثيرة في كتاب الله العزيز تدعو إلى إقامة علاقات طيبة بين المسلمين والشعوب الاخرى منها:

١ - (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا (١٨) إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ (١٩) بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)(٢٠).

في الآية السابقة دعوة قرآنية لإقامة رابطة سليمة مع أهل الكتاب، أما الآية الاتية فهي تتحدث عن التعايش السلمى مع المشركين أيضاً.

٢ - (وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ فَآتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)(٢١).

نستخلص من الايتين السابقتين أن التعايش السلمى وإقامة العلاقات السليمة لا يشترط فيه أن تنتمى اطراف التعايش إلى عقيدة خاصة، وإنما يُراد منه تأمين الاهداف الرئيسية لهذه العلاقات، التي لا يمكن نقضها بعد ابرامها إلا إذا خرقتها العدو، وقد أمر الله تعالى المسلمين بالصبر

(١٥) انظر: الهيئتي، مجمع الزوائد ٨: ٨٧ .. إن المؤمن من أهل الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لاهل الايمان كما يألم الجسد لما في الرأس.

(١٦) انظر: اصول الكافي ٢: ١٧٤، الحديث ٢٠٦٥.

(١٧) البقرة: ٢٧٩.

(١٨) اورد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الآية في رسالته إلى هرقل، كما تلاها امام يهود المدينة (راجع: السيوطي، الدر المنثور ٢: ٤٠) كما قرأها جعفر بن ابي طالب امام النجاشي (انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ١: ٢٠٥).

(١٩) السواء، العدل - السواء لا إله إلا الله (الدر المنثور ٢: ٤٠).

(٢٠) آل عمران: ٦٤.

(٢١) التوبة: ٤; وانظر أيضاً الممتحنة: ٧.

والمصابرة والمرابطة(٢٢)، فالصبر يراد به الصبر في الشدائد، والصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، والمصابرة هي التصبر وتحمل الأذى جماعةً باعتماد صبر البعض على صبر آخرين، فيتقوى الحال ويشد الوصف ويتضاعف تأثيره، والمرابطة اعم معنىً من المصابرة، وهي ايجاد الجماعة، والارتباط بين قواهم وفعالهم في جميع شؤون حياتهم الدينية(٢٣).

ويمكن تثبيت الحقائق التالية على ضوء الموقف الاسلامي من اقامه علاقات سليمة مع سائر الامم:

أ - يرى الاسلام أن الناس كلهم من معدن واحد، يشكلون أسرة عالمية واحدة: (يا أيُّها الناس اتقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة)(٢٤).

ب - الدين الاسلامي هو دين البشرية جمعاء:

(يا أيُّها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً)(٢٥).

وعليه يجب أن تبلغ الرسالة الالهية التي جاء بها خاتم الانبياء مسامع العالم بأسره: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)(٢٦).

ج - بلحاظ أن المجتمع البشري يشكل أسرة واحدة تنتمي إلى دين واحد ونبي واحد، فإنه مما لا يخفى على أحد ضرورة الارتباط السليم بين اعضاء هذه الأسرة، في سياق ايجاد التعايش السلمي وابلاغ الرسالة الالهية. وقد حمل الاسلام معه رسالة إلى الامم الاخرى يدعوها إلى التعايش والارتباط السليم. وتعتبر قضية التآخي وتعزيز اواصر العلاقات بين المسلمين، اولى الخطوات التي اقدم عليها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) حينما هاجر إلى المدينة، كما دعا إلى اقامة علاقات طيبة مع الطوائف والاديان الاخرى من خلال المعاهدات والمواثيق، ومع المشركين أيضاً من خلال الصلح المعروف بصلح الحديبية، وبعث الوفود إلى زعماء الامم الاخرى وهي تحمل هذه الدعوة المباركة.

وبطبيعته الحال فإن ذلك يدخل في اطار العلاقة مع «اهل الذمة»(٢٧)، وايواء اتباع الاديان الاخرى للعيش مع المسلمين معاً.

(٢٢) راجع: آل عمران: ٢٠٠.

(٢٣) الطباطبائي، الميزان ٤: ٩١، ذيل الآية ٢٠٠ آل عمران.

(٢٤) النساء: ١.

(٢٥) الاعراف: ١٥٨.

(٢٦) سبأ: ٢٨.

(٢٧) قال امير المؤمنين(عليه السلام): «من كان له ذمتنا قدمه كدمنا وديته كديتنا».

دستور الجمهورية الإسلامية والعلاقات السلمية

يحتوى دستور الجمهورية الإسلامية على مواد تدعو إلى إقامة علاقات متكافئة وطبيعية وسلمية مع سائر الأمم والشعوب، فقد نصت المادة (١٥٢) منه على أن السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية في إيران، تقوم على أساس رفض أى نوع من أنواع الهيمنة، وحفظ الاستقلال ووحدته التراب، والدفاع عن حقوق جميع المسلمين وعدم الانحياز امام القوى السلطوية في علاقاتها السلمية المتبادلة مع الدول غير المعادية.

كما صرح الدستور بإمكانية منح اللجوء السياسى ضمن اطار خاص، حيث ورد فى المادة (١٥٥): إن لحكومة الجمهورية الإسلامية فى إيران الحق فى أن تمنح اللجوء السياسى لمن طلبه، إلا أن يكون خائناً ومنحرفاً حسب القوانين الإيرانية.

حقوق الاقليات:

اهل الذمة والجزية:

فى السنة الاولى للهجرة المباركة آخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين المهاجرين والانصار، وعقد الميثاق والعهد مع القبائل اليهودية (بنى النضير وبنى قينقاع وبنى قريظة و....) الساكنة فى المدينة، من اجل ارساء قواعد مجتمع سليم يسوده التعايش والامن والاستقرار، وكان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يأخذ من غير المسلمين الذين يعيشون ضمن المجتمع الاسلامى العهد بعدم القيام باى سلوك، من شأنه أن يخل بالاخلاق والاداب الاسلامية، من ذلك ألا يسخروا من العقائد والسنن الاسلامية، ولا يتعاملوا بالربا، ولا يتزوجوا بالمحارم (٢٨)، وفى مقابل ذلك كانوا يتمتعون بالكثير من الحقوق الاجتماعية، ومنها العمل والكسب والامن والحرية فى اطار قانون اهل الذمة، وقد أعفى هؤلاء من الضرائب والقوى البشرية التى يضعها المسلمون بتصرف الحكومة لتنظيم الشؤون الاجتماعية، فى قبالة دفعهم الجزية التى تحددها الحكومة الاسلامية تحديداً عادلاً، وهى لا تشمل النساء والعجزة والشيوخ والمجانين والاطفال (٢٩).

فالجزية هى اذن ضرائب تفرضها الحكومة الاسلامية بعدالة على اهل الذمة، ومن يعيش فى كنف الدولة الاسلامية.

ويذكر هنا أن الجزية لا تؤخذ من المسلمين، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ليس على المسلمين الجزية» (٣٠)، وإنما تؤخذ ممن يرغب أن يقيم فى ديار المسلمين ويتعايش معهم سلمياً، أو الكفار الذين جنحوا للسلم والصلح، أو الاسرى الذين يفرج عنهم، وتستطيع الدولة الاسلامية أن تفرض ضرائب اخرى غير الجزية عند الضرورة (٣١).

(٢٨) نور الثقلين ٢: ٢٠٢، والبحار ٩٧: ٩٣، ط. بيروت.

(٢٩) نور الثقلين ٢: ٢٠٣، والبحار ٩٧: ٩٣، ط. بيروت.

(٣٠) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي، مادة جزى.

(٣١) نور الثقلين ٢: ٢٠٣.

السياحة:

يوافق الاسلام على السياحة بشكلها الصحيح، بل يدعو لها ويشجع عليها، ويسمح لاتباع الاديان المختلفة بزيارة المدن الاسلامية، والاطلاع على الحضارة التي جاء بها الدين الحنيف، وعلى الاداب والتقاليد السائدة في المجتمع الاسلامي، والجلوس للمناظرة مع القادة والائمة والعلماء (٣٢)، بل يسمح لهم أيضاً بأداء فرائضهم الدينية في المعابد الاسلامية (٣٣).

وفي المقابل أيضاً أعطى الاسلام الحرية لاتباعه بالسياحة في البلدان غير الاسلامية، بل إنه اهتم بالسياحة التي تصب في سياق تحقيق الاهداف الانسانية السامية، وهذه النقطة تحديداً هي التي تميز السياحة في المفهوم الاسلامي عنها في المفاهيم الاخرى، فاية سياحة لا تدخل في اطار تحقيق هدف سام لا يمكن أن نطلق عليها سياحة اسلامية؛ ويدعو القرآن الكريم إلى السير في الارض والنظر فيها واخذ الدروس والعبر منها، من ذلك أنه يدعو إلى النظر في عاقبة المكذبين (٣٤)، والمجرمين (٣٥)، والمشركين (٣٦) والنظر في بدء الخلق والحضارات والاداب والتقاليد والسنن للاقوام البائدة (٣٧).

إن النظر الذي يدعو إليه القرآن في السياحة الاسلامية، والذي يميزها عن غيرها يهدى للناظر آلاف الدروس والعبر المفيدة، التي توقظه من غفلته، وتحذره من سوء المصير. وهذا الهدف بنفسه يرسخ التزام الانسان بالنظام الاخلاقي والقيم الانسانية، والثبات على الصراط المستقيم، ويعمل لبناء عقيدة راسخة، ويعلم كيفية الحياة في الدنيا والاخرة، ويؤدي إلى تكامل العلوم والفنون؛ ولهذا يؤكد امير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته المعروفة بالسير في الارض للنظر في آثار الماضين:

«وسِر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا واين حلّوا ونزلوا» (٣٨).

(٣٢) راجع: توحيد الصدوق، مناظرة الامام الصادق (عليه السلام) مع الزنادقة، وعيون اخبار الرضا للصدوق، مناظرة الامام الثامن (عليه السلام) مع الزنادقة في مرو؛ وراجع أيضاً: مسند الامام الرضا للعطاردي.

(٣٣) راجع: الميزان ٣: ٢٢٢ - ٢٣٠، ذيل آية المباهلة، وقد أدى نصارى نجران شعائرهم الدينية في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

(٣٤) (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين). (النحل: ٣٦).

(٣٥) (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين). (النمل: ٦٩).

(٣٦) (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين). (الروم: ٤٢).

(٣٧) (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة). (العنكبوت: ٢٠).

(٣٨) نهج البلاغة، الرسالة ٣١.

رأى

المرأة والتنمية الاجتماعية من وجهة نظر الاسلام

* الشيخ محمد على التسخيري

قال تعالى: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(١).

إذا كان لنا أن نعرف التنمية الاجتماعية بتعريف عام، امكنا القول: إنّ المراد منها هو (التحرك الاجتماعي الواعي المنظم، والمنسق على مختلف الاصعدة المادية، والمعنوية نحو الافضل انسانياً).

وهذا التعريف يستبطن عناصر من قبيل:

١ - الهدف الانساني المتميز عن الاهداف الحيوانية الغريزية العمياء، وإنما تكتسب الحركة هذه الهدفية إذا كانت منسجمة مع تطلعات الفطرة الانسانية ومؤشراتها.

٢ - الحركة الارادية نحو هذا الهدف الانساني، وهي متميزة أيضاً عن الحركة الحيوانية، لانها حركة وعي واردة وتعقل.

٣ - التناسق، والتنظيم، والتناسب بين كل الجوانب المادية، والمعنوية من خلال هذه الحركة، وهذا شرط اساسي، فالتنمية التي تهمل عنصر التناسب تصاب بتورم ونمو غير طبيعي في جانب أو جوانب، مع خمول الجوانب الاخرى الامر الذي يعرض المسيرة الاجتماعية لاختلال التوازن ومن بعد التمزق أو التطرف.

٤ - الاجتماعية في التحرك، بمعنى أن كل جزء من الاجزاء المكوّنة للمجتمع يجب أن يساهم في هذا التحرك وينمو من خلاله، وبمعنى أن الاثار التي سيتركها هذا التحرك يجب أن تنعكس على مختلف العناصر والمكوّنات الاجتماعية.

(١) النحل: ٩٧.

بعد هذه المقدمة احاول أن يكون حديثى فى موضوعين:

الاول: الاشارة إلى دور المرأة فى عملية التنمية الاجتماعية.

الثانى: الاشارة أيضاً إلى لقاءات ومؤتمرات الامم المتحدة فى هذا الصدد.

النقطة الاولى: دور المرأة فى عملية التنمية الاجتماعية:

والمرأة تارة ننظر اليها بوصفها إنساناً فعالاً فى عملية التنمية، واخرى نركز عليها بما لها من خصائص تنفرد بها باعتبارها الام والبنت والاخت والزوجة، وهى بهذا الاعتبار تمتاز على الرجل بما تحمله من طاقات عاطفية متميزة، وقدرات تكوينية مؤثرة، ومن ثم ما تحمله من وظائف اجتماعية فريدة.

فإذا نظرنا اليها بوصفها إنساناً نشطاً فى عملية التنمية، واخذنا بعين الاعتبار حقيقة (أن الانسان هو محور التنمية)، ومقولة أن (التنمية المستدامة هى تلك التى تحقق انسجاماً متوازناً بين مجموع عناصر التنمية، والاسس التحتية للثقافة المعنوية التى تعمل فى مجال اسقاطاتها)، وادركنا بعد أن مكونات الفطرة الانسانية هى أهم هذه الاسس واعمقها فى وجود الانسان، بل بدونها يفقد الانسان هويته ويتحول إلى (شئ) لا نستطيع أن نتحدث عن (حقوقه) أو (نموه الاجتماعى)، أو (حركته العادلة)، أو (أخلاقيته)، أو حتى (بقائه الحضارى)، وأضفنا إلى كل هذا حقيقة اخرى هى أن الدين (الذى يستمد اصوله من منابع فطرية)، هو الصيغة الاكمل التى وضعها خالق الانسان ليحقق من خلالها تكامله المادى والمعنوى المنسجم، وأن الدين وحده هو الذى يستطيع أن يمنح هذه المسيرة ثباتاً فى الهوية والشخصية، واطمئناناً فى القلب، واملأ دفاقاً بالمستقبل، كما يستطيع أن يحل الاشكاليات الاجتماعية الكبرى من قبيل حل التضاد الدائم بين حب الذات والانانية، والعمل لصالح المجتمع ونسيان الذات فى سبيله، وحل التناقض بين اتجاهات (الالحاد) واتجاهات (الايمان المفرط بالامور النسبية أو ما يسمى بالشرك)، إذا اخذنا بعين الاعتبار كل هذه الحقائق الكبرى ادرکنا أن المرأة الانسان هى محور التنمية وركنها الركين، ولن تستطيع أية عملية تنموية أن تحقق صدقاً مع ذاتها ومدعياتها، إلا إذا طورت الحس الانسانى والفطرى فى وجود المرأة، واعطتها مكانتها الانسانية الطبيعية، ورفعت من البين كل عناصر التفريق - من الجانب الانسانى - بين الرجل والمرأة، ومنحتها الدور الانسانى المتساوى فى هذا المضمار، ثم عادت لتستفيد من هذه الطاقة الانسانية الخيرة لصالح المجموع الاجتماعى بأفضل اسلوب.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن المرأة إن تأصل الثبات في شخصيتها، والاطمئنان في قلبها، والامل بالمستقبل في وجودها منحت كل المسيرة الاجتماعية طاقة كبرى، وهيأت لها كل مقومات المسيرة الصالحة.

المرأة ودورها بملاحظة خصائصها:

وإذا عدنا وركزنا على خصائص المرأة التي تميزها عن الرجل، فسنجد أن خصائصها لا تغير مطلقاً من قيمتها الانسانية بل تزيد عليها، وإنما تترك أثرها الوظيفي في البين، بمعنى أن هناك تقسيماً طبيعياً قدرته الرحمة الالهية بين وظيفة الرجل ووظيفة المرأة، في عملية التنمية الاجتماعية بل الفرديّة أيضاً.

فالمرأة الزوجه والمرأة الام لهما دوران متميزان عن دور الرجل الزوج، والرجل الاب بلا ريب، إلا أن هذين الدورين متكاملان تماماً بحيث لا يمكن أن تستغنى الحياة عن هذين الدورين، بمقدار عدم امكان استبدال احدهما بالآخر تماماً.

بعد هذا نقول: إن للمرأة أثرها الكبير - بهذا الاعتبار - على عملية التنمية أيضاً، ومهما تعددت علل التنمية فشملت (العلل الفاعلية، والعلل الغائية، والعلل الصورية بالإضافة للعلل المادية)، فإن اسقاطات دور المرأة يبقى لها أكبر الاثر في هذا المجال.

ذلك أن المرأة تستطيع أن تترك آثاراً كبرى، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

١ - اعداد وتهيئة وتوفير البيئة العائلية السليمة، وهى بهذا - لو وفقت فيه - تستطيع أن تضع الحجر الاساسى لمجتمع إنسانى سليم ثابت الجأش قوى القلب، منشد للمستقبل.

وبدون هذا سيبقى المجتمع ممزقاً عاطفياً، ومهلهلاً معنوياً تنفشى فيه الجريمة، ويعيث فيه الكسل، ويفقد صفته الاخلاقه شيئاً فشيئاً.

فالزوجه الصالحة والام الصالحة هما قوام الحياة العائلية الصالحة، وهذه بدورها هى قوام المجتمع الصالح (كما تؤكد ذلك النصوص الاسلامية).

٢ - توفير الجو المناسب لتربية الجيل القوى الفاعل.

وقد قلنا: إن الإنسان الصالح هو محور التوسعة، وهو يحتاج إلى عملية تربوية مستمرة تفجر فيه طاقاته، وتبرز فيه مكوناته الذاتية، وهي لا تتفجر ولا تبرز عشوائياً أو تلقائياً، وإنما تحتاج إلى عملية تربوية وجو تربوي مناسب.

ولا ريب أن للمرأة اعظم الاثر فى تربية العناصر الانسانية، ووراء كل عظيم امرأة - كما يقولون - بل ما اكثر العظماء النساء فى تاريخنا الطويل، فآسية بنت مزاحم، ومريم ابنة عمران، وفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) تركزن من الاثر التاريخي ما لا يمكن أن يوصف.

٣ - الاعداد لجو وبيئة حماسيين عاطفيين من خلال الاستعداد الطبيعي للمرأة، لتسد به هذه الحاجة الضرورية للانسان من جهة، وتوفر له الحالة الحماسية الضرورية لتخطى العقبات وصنع تنمية اجتماعية مستديمة.

أما المجتمع الذى يخلو من هذه الحالة العاطفية والحماسية فهو مجتمع خامد، وبيئة جامدة ربما تتقدم فى بعض المجالات المادية إلا أنها تفقد الصفاء الانسانية المطلوب، ومن بعد تفقد القدرة على ايجاد التنمية المتوازنة.

ومن هنا يظهر جلياً أن المرأة لها دورٌ كبيرٌ فى توفير الجو العائلي النظيف، وأن العائلة وتشكيلاتها بما لها من مفهوم كلاسيكى معروف لدى المجتمعات والاديان كلها، هى حجر الزاوية فى عملية التنمية.

كما يظهر أيضاً أن أية ضربة توجه لدور المرأة فى البناء العائلي المشار اليه، وأى تقليل من اهمية الرباط العائلي المقدس، أو محاولة لطرح مفاهيم جديدة، وادعاء مصاديق عصريه له، أو إضعاف روابطه، أو ايجاد بديل مزعوم له. كل هذه المحاولات تترك اعظم الاثار السلبية على مستقبل الانسانية جمعاء، وتفقده الحركية التنموية المطلوبة، بل هى تأمر واضح على كل الوجود الانساني حتى ولو جاء هذا التآمر تحت غطاء الخدمة الدولية لعملية التنمية.

النقطة الثانية: المحاولات الدولية فى مجال التنمية الاجتماعية:

لا ريب فى أن عملية التنمية استأثرت من أنشطة الامم المتحدة بالحظ الوفير، وخصوصاً فى السنوات الاخيرة، وعقدت لها مؤتمرات دولية على مختلف المستويات، كمؤتمر بخارست ١٩٧٤، ومؤتمر مكسيكو سيتي ١٩٨٤ ومؤتمر القاهرة ١٩٩٤ ومؤتمر كوبنهاغن عام ١٩٩٥، وغيرها من الاجتماعات الدولية. وكان التركيز على دور العائلة فى عملية التنمية ملحوظاً تماماً فى كل الاجتماعات الدولية.

إلا أن الملاحظ في مختلف الوثائق المقترحة أنها نُظمت تنظيماً يبعدها عن المسيرة المتوازنة، وينسبها دور الدين في الحياة، ويتغافل أثر العناصر المعنوية في هذا الصدد.

وكانت وثيقة القاهرة المقترحة على مؤتمر السكان والتنمية القنبلة الضخمة التي فجرت الوضع، ورأى المخلصون التآمر الاستعماري الواضح على كل القيم والمقدسات الانسانية، لأنها سعت إلى تفكيك الروابط العائلية، وطرح مفاهيم متنوعة للعائلة، وفسح المجال لعلاقات وروابط خارج الاطار العائلي (اطار الزواج المشروع)، وذلك بحجج الدفاع عن كيان المرأة، ورفع التفرقة العنصرية، وانصافها والدفاع عن توعيتها، وعن دورها الاجتماعي الاصيل.

ومن هنا كان الرد الديني على هذه المحاولة التحليلية قوياً وواسعاً، حتى إن المناقشات ركزت على هذا الجانب وكادت أن تنسى، أو نسيت بالفعل كل عناصر التنمية السكانية الاخرى.

وإذا كان الرد الديني قد نجح إلى حد كبير في ايقاف المدّ التآمري المنحرف، وحماية الانسانية من آثاره السيئة المعادية حتى لعملية التنمية الصحيحة، فإنه ما زال الطريق طويلاً.

والذى أتصوره أن ما حدث في القاهرة قد ترك آثاراً ايجابية على مؤتمر كوبنهاكن للقمّة، حيث جاء السند المقترح على المؤتمر المذكور اكثر ايجابية، وأكثر اعترافاً بدور القيم الثقافية في عملية التنمية الاجتماعية، وقد أكد على عناصر كثيرة منها:

١ - ضرورة ملء الفراغ الاخلاقي بالتعليمات الاخلاقية، لا من خلال المنافع الفردية الضيقة.

٢ - لزوم نفى أى تفرقة بين الرجل والمرأة في المجالات المختلفة.

٣ - ضرورة الترشيح الثقافي المعنوي لدى الانسان.

٤ - ضرورة نفى أى تفرقة عنصرية.

٥ - ضرورة التأكيد على رعاية حقوق الانسان.

٦ - التأكيد على أن الفقر ليس قدراً مفروضاً على الانسان.

٧- التأكيد على اهمية التربية والتعليم.

٨- لزوم منع الاستغلال للآخرين.

٩- التأكيد على المبادئ الانسانية، كالمسؤولية والحرية والعدالة والكرامة.

١٠- التأكيد على أهمية التشكيل العائلي.

هذا، وعلى رغم المواقف المتصلبة للدول القوية في المؤتمر فإنه قد حقق بعض المكاسب.

وأما منا مؤتمرات وملتقيات دولية. حول المرأة تعقد بين حين وآخر، ومن الطبيعي أنه سيحاول اعداء الخلق الانساني استغلال مثل هذه الفرص، لتأكيد قيم التحلل أو لمهاجمة الاسلام، وهو الدين الذي اكرم المرأة وحفظ لها حقوقها الطبيعية، في حين أنهم يسعون إلى نشر الفهم الغربي لحقوق المرأة، على رغم ما فيها من تضيق فاضح لهذه الحقوق، وفسح مريب للعلاقات المتحللة، ومن ثم طمس كل معالم كرامة المرأة الانسانية.

وربما جرت محاولات كتلك التي جرت في كوبنهاكن لطرح وجوه مرفوضة اسلامياً، من قبيل المرأة المنحرفة (تسليمه نسرین)، و(سلمان رشدي) وأمثالهما من اعداء المقدسات الاسلامية، وعليه فينبغي الحذر الشديد من مثل هذه الاساليب الملتوية.

وإنني بهذه المناسبة اقترح ما يلي:

١ - لزوم توحيد الموقف الاسلامي من كل ما يحدث في المؤتمرات والملتقيات الدولية، سواء وثائقها المقترحة أو الأنشطة الاخرى، وذلك بإشراف لجنة تنسيقية تحت اشراف منظمة المؤتمر الاسلامي، تسعى بنشاط لتوعية الوفود الاسلامية بالحوادث الجارية وتنسيق مواقفها وارتباطاتها.

٢ - لزوم الحضور الاسلامي الفاعل في التشكيلات واللجان والاجهزة الرأسيّة والقانونية، وعدم فسح المجال للمنظمات المعادية لتملا الموقف بأباطيلها ولا يتم هذا إلا إذا قامت كل دولة بارسال العناصر النسوية الخيرة فيها، مع منحها قدرة على التأثير المطلوب.

٣ - ضرورة الاتصال المستمر مع الامم المتحدة والدولة المضيفة، ودعم التوجهات الايجابية والوقوف بوجه التوجهات السلبية من خلال معونتهما ونفوذهما هناك.

٤ - لزوم توعية الجميع بالتوجهات الاسلامية السلبية في مجال حماية المرأة وحقوقها، بنشرات ذات محتوى مدروس تحت اشراف مجموعة من الاساتذة والمفكرين .

الشيعترواد في تدوين التاريخ

* محمد علي جناحان

ترجمة: عباس الاسدي

رغم العقبات التي كانت تعترض طريق أتباع آل البيت (عليهم السلام) في صدر الاسلام والقرون الهجرية الوسطى، فقد سجّل لهم التاريخ حضوراً حافلاً في ميادين العلوم والمعارف الاسلامية والاطوساط العلمية والثقافية المختلفة؛ ومن تلك الميادين التي برع فيها كتاب الامامية ونقلوا فيها الحقائق ساطعة دون تشويه تنتقلها الاجيال واحداً بعد آخر، ميدان كتابة التاريخ.

ويبدو في الوهلة الاولى أن الخوض في هذا المجال لا يضاهي من حيث الاهمية كتابة الحديث والانصراف إلى بعض المعارف الاسلامية الاخرى، إلا أن المتأمل المدقق يتوصل إلى أن حكم التاريخ وتقارير المؤرخين كان لها دور كبير في تحديد معالم الشخصيات، ورسم الخطوط الفكرية والثقافية والسياسية، ومن ثم القبول بروايات المحدثين والثقة بكلام العلماء والمفكرين.

فثمة حقائق كثيرة لو لم يبادر إلى تدوينها وتسجيلها، لتغير الكثير من معالم الجغرافيا الثقافية والسياسية للامة الاسلامية حالياً، ولظهرت خطوط وفرق عقائدية على غير الذي عليه الآن. وقد ترك الكثير من الاكاذيب والافتراءات التي تم تناقلها عبر التاريخ تأثيرها على المواقف العلمية والعملية للامة، ولربما يصفني البعض بالمبالغة وأنا أقول: إن نبض العديد من التيارات الفكرية والعقائدية والسياسية للازمنة التالية، قد تحرك من خلال التاريخ بيد مؤرخي الازمنة السابقة ولكن يكفي للإشارة إلى أهمية التاريخ وفاعليته تخصيص القرآن الكريم بعض آياته المباركة لذكر الحوادث التاريخية، وسير الانبياء والامم السالفة، ومنها قوله تعالى: (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً)(١).

(١) مريم: ٤١.

(٢) مريم: ٥١.

(٣) مريم: ٥٤.

(٤) مريم: ٥٦.

(٥) الاعلام، الزركلي ٢: ١٠٥.

(٦) فهرست الطوسي: ٤٥.

(٧) رجال النجاشي: ٩٣.

(٨) تأسيس الشيعة: ٢٣٤، رجال النجاشي: ٩٣.

(٩) رجال النجاشي: ٩٣، فهرست الطوسي: ٤٥، اختيار معرفة الرجال ٣: ٤٣٦، تنقيح المقال ١: ٢٠٤.

(١٠) ميزان الاعتدال ١: ١٧٦، ذيل المذيل: ٩٨؛ تهذيب التهذيب ٢: ٤٦، المنتظم، حوادث سنة ١٢٨ هـ.

(١١) صحاح اللغة ٤: ١٣٣٧، القاموس ٣: ١٢٣؛ معجم البلدان ٢: ١٤٤، تعليقة اختيار معرفة الرجال ٣: ٤٣٦.

(١٢) الاعلام ٥: ٢٤٥.

(١٣) الفهرست: ١١١.

(١٤) الاعلام ٥: ٢٤٥.

-
- (١٥) تنقيح المقال ٢: ٤٤.
- (١٦) اللؤلؤ والمرجان: ٢٨.
- (١٧) الكنى والالقباب ١: ١٥٥، الذريعة ١: ٣١٢.
- (١٨) لسان الميزان ٤: ٤٩٢.
- (١٩) المصدر السابق.
- (٢٠) قاموس الرجال ٧: ٤٤٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٤٥.
- (٢١) فهرست ابن النديم: ١٤٦؛ تأسيس الشيعة: ٢٣٧.
- (٢٢) الاعلام ٨: ٨٧ نقلاً عن لسان الميزان ٦: ١٩٦؛ تاريخ بغداد ١٤: ٤٥؛ مرآة الجنات ٢: ٢٩؛ الذريعة ١: ٣٢٣؛ تاريخ ابن خلدون ٢: ٢٦٢؛ تأسيس الشيعة: ٢٣٨.
- (٢٣) وفيات الاعيان ٢: ١٩٥.
- (٢٤) المصدر السابق.
- (٢٥) راجع: مقدمة كتاب الاصنام: ١٢.
- (٢٦) المصدر السابق: ١٦ و ١٩.
- (٢٧) ميزان الاعتدال ٤: ٣٠٤.
- (٢٨) الاعلام ٦: ٣١١، وفيات الاعيان ١: ٥٠٦، ميزان الاعتدال ٣: ١١٠.
- (٢٩) تاريخ بغداد ٣: ٢١.
- (٣٠) الفهرست: ٩٨، الاعلام ٦: ٣١١.
- (٣١) المصدر السابق.
- (٣٢) قاموس الرجال ٨: ٣٢٥.
- (٣٣) الطبقات ٥: ٤٢٦.
- (٣٤) وفيات الاعيان ٣: ٤٧٣، مقدمة الطبقات ١: ١٢.
- (٣٥) تنقيح المقال ٣: ١٦٦.
- (٣٦) تأسيس الشيعة: ٢٤٢؛ فهرست ابن النديم: ١٤٤.

(واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً)(٢).

(واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد)(٣).

(واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً)(٤).

وكذلك تحدث القرآن الكريم عن الانبياء إسحاق ويعقوب ونوح ولوط وزكريا ويحيى وعيسى والياس ويونس وشعيب وسليمان وصالح ويوسف(عليهم السلام) وغيرهم، وروى مصائر أمم سالفه من مثل قوم نوح وقوم فرعون وقوم عاد وثمود وقوم إبراهيم، وأصحاب مدين وقوم يونس وقوم لوط وقوم هود وقوم صالح وقوم تبع وأصحاب الايكة وغيرهم جملة أو تفصيلاً.

كما خصص القرآن الكريم جزءاً منه لبيان تاريخ بني إسرائيل، وتحدث في سور يوسف ومريم والنمل ولقمان وغيرها عن يوسف وما تعرض له من امتحان كبير، وعن تربية مريم ومكانتها المعنوية وعن شوكة سليمان وقدرته وحكمته.

هذا الاهتمام بالحوادث التاريخية والاستفادة منها لكسب الدروس والعبر واصلاح المجتمعات البشرية، دفع المسلمين إلى التشمير عن ساعد الجد لضبط التاريخ وتسجيله في إطار تحقيق الاهداف الاسلامية والانسانية.

وقد أسسك بالسلطة السياسية والاجتماعية في فترة مهمة من صدر الاسلام والفترات الوسطى من تاريخه، أشخاص انصب تأييدهم بوجه أو بآخر على دعم فكر أهل السنة، ولهذا كانت الاوساط العلمية تحاكي هذا التوجه السياسي الحاكم، كما أن أقلام المؤرخين كانت تجري بما يوافق الاتجاه السائد؛ ومع ذلك انبرى من بين الامامية من تحدى هذه الصعاب، وبذل جهده لثبث الاحداث التاريخية. وفيما يلي نلقي الضوء على بعض مؤرخي الشيعة، لا من باب الاستقصاء، بل التعريف:

١ - جابر بن يزيد الجعفي (ت ١٢٨ هـ):

أبو عبد الله جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي. تابعي من فقهاء الشيعة(٥)، ومن أصحاب الامامين الباقر والصادق(عليهما السلام). توفي في الكوفة، ودفن فيها(٦).

يقول فيه النجاشي: «جابر بن يزيد، أبو عبد الله - وقيل أبو محمد - الجعفي عربي قديم. لقي أبا جعفر وأبا عبد الله(عليهما السلام)»(٧).

من مؤلفاته:

١ - كتاب صفين.

٢ - النهروان.

(٣٧) الاعلام ٨ : ٢٨؛ تأسيس الشيعة: ٢٣٧، كشف الظنون ٢: ١٢٣٧.

(٣٨) ترجمة وقعة صفين: ١٧.

(٣٩) رجال العلامة الحلي: ١٧٥، فهرست ابن النديم: ١٣٧.

٣ - مقتل امير المؤمنين(عليه السلام).

٤ - مقتل الحسين(عليه السلام).

٥ - الجمل(٨).

وصفته مصادر الشيعة بأنه من الرجال البارزين(٩)، إلا أن مصادر أهل السنة اعتبرته من الضعفاء المجروحين(١٠).

وقيل عن سبب تلقيبه بالجعفي كلام كثير، نتجاوزه اختصاراً(١١).

٢ - أبو مخنف (ت ١٥٨هـ):

لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الازدي الغامدي. راوية، عالم بالسير والخبار(١٢).

يقول ابن النديم: «قرأت بخط أحمد بن الحارث الخزاز: قالت العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره»(١٣).

واعتبره صاحب الاعلام إمامياً من أهل الكوفة(١٤).

وكتب العلامة المامقاني: «لا ينبغي التأمل في كونه شيعياً إمامياً كما صرح بذلك جماعة... وقد صرح جماعة منهم من العامة بتشيعه، بل جعل بعضهم تشيعه سبباً لرد روايته»(١٥).

ووصفه المحدث النوري بأنه من كبار المحدثين، وموضع ثقة أصحاب السير والمؤرخين(١٦).

كما اعتبره المحدث القمي من كبار مؤرخي الشيعة(١٧).

وبرغم أن بعض الرجاليين من أهل السنة كأبي حاتم والدارقطني ويحيى ابن معين هاجموا أبا مخنف وعدوا رواياته متروكة(١٨)، اعتمد مؤرخون كبار كالطبري والبلاذري رواياته ونقلوا عنه الكثير، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الهجوم الذي تعرض له أبو مخنف من قبل أبي حاتم وغيره، ليس بسبب عدم وثاقته وعجزه في ضبط الاخبار الصحيحة، وإنما بسبب انتمائه إلى مذهب أهل البيت(عليهم السلام)، كما صرح بذلك ابن عدي(١٩)، ويحمل بعض الاشعار التي ضبطها أبو مخنف في كتاب واقعة الجمل معاني بوصاية علي(عليه السلام)(٢٠)، وهو من دلائل تشيعه، وعدم انصافه من قبل الرجاليين السنة.

ترك ابو مخنف مصنفات تاريخية كثيرة، منها:

١ - كتاب الرد.

- ٢ - كتاب فتوح الشام.
- ٣ - كتاب فتوح العراق.
- ٤ - كتاب الجمل.
- ٥ - كتاب صفين.
- ٦ - كتاب أهل النهروان والخوراج.
- ٧ - كتاب الغارات.
- ٨ - كتاب الحرث بن راشد وبني ناجية.
- ٩ - كتاب مقتل علي.
- ١٠ - كتاب مقتل حجر بن عدي.
- ١١ - كتاب مقتل محمد بن ابي بكر والاشتر ومحمد بن ابي حذيفة.
- ١٢ - كتاب الشورى.
- ١٣ - كتاب مقتل عثمان.
- ١٤ - كتاب المستورد بن علقمة.
- ١٥ - كتاب مقتل الحسين (عليه السلام).
- ١٦ - كتاب وفاة معاوية وولاية ابنه يزيد ووقعة الحرة وحصار ابن الزبير.
- ١٧ - كتاب المختار بن ابي عبيدة.
- ١٨ - كتاب سليمان بن صرد وعين الورد.
- ١٩ - كتاب مرج راهط وبيعة مروان ومقتل الضحاك بن قيس.
- ٢٠ - كتاب مصعب وولاية العراق.
- ٢١ - كتاب مقتل عبد الله بن الزبير.
- ٢٢ - كتاب مقتل سعيد بن العاص.
- ٢٣ - كتاب حديث يا حميراء.
- ٢٤ - كتاب مقتل ابن الاشعث.
- ٢٥ - كتاب بلال الخارجي.
- ٢٦ - كتاب نجدة ابي قبيل.

- ٢٧ - كتاب حديث الازارقة.
- ٢٨ - كتاب حديث روستقبان.
- ٢٩ - كتاب شبيب الخارجي وصالح بن مسرح.
- ٣٠ - كتاب مطرف بن معير.
- ٣١ - كتاب دير الجماجم وخلع عبد الرحمن بن الاشعث.
- ٣٢ - كتاب يزيد بن المهلب ومقتله بالعقر.
- ٣٣ - كتاب خالد بن عبد الله القسري ويوسف بن هشام وولاية الوليد.
- ٣٤ - كتاب يحيى.
- ٣٥ - كتاب الضحاك الخارجي.
- ٣٦ - كتاب خطبة الزهراء لأمير المؤمنين(عليه السلام).
- ٣٧ - كتاب فتوحات الاسلام.
- ٣٨ - كتاب أخبار ابن الحنفية.
- ٣٩ - كتاب أخبار زياد.
- ٤٠ - كتاب مقتل الحسن السبط.
- ٤١ - كتاب أخبار الحجاج.
- ٤٢ - كتاب فتوح خراسان.
- ٤٣ - كتاب الحكمين.
- ٤٤ - كتاب آل مخنف بن سليم(٢١).

٣ - ابن الكلبي (ت ٢٠٤ هـ):

أبو المنذر هشام بن محمد، أبي النصر بن السائب بن بشر الكلبي. مؤرخ، عالم بالانساب وأخبار العرب وأيامها كثير التصانيف، له نيف ومئة وخمسون كتاباً، من أهل الكوفة ووفاته فيها(٢٢).

يقول ابن خلكان: «كان من أعلم الناس بعلم الانساب وكان من الحفاظ المشاهير»(٢٣).

وقال أيضاً: «تصانيفه تزيد على مئة وخمسين تصنيفاً، وأحسنها وأنفعها كتابه المعروف بالجمهرة في معرفة الانساب، ولم يصنف في بابيه مثله»(٢٤).

وقال عنه الباحث المصري احمد زكي باشا: «إنه من مشاهير علماء المسلمين في القرن الهجري الثاني. سكن الكوفة في البداية، واكتسب العلوم على يد أبيه وعلماء تلك الديار، وأصبح متبحراً في تاريخ العرب والمعارف الإسلامية المنقولة، ثم أصبحت له مكانة مرموقة في بغداد حتى وثق به معاصروه والمؤرخون من بعده كالطبري وابن سعد ونقلوا الحديث عنه» (٢٥).

وعرف هشام بذكائه وقوة ذاكرته، وكتب في التاريخ والجغرافيا للاقوام التي سبقت الاسلام، وللأحداث التي مرت على العرب بعد الاسلام، كما كتب في الأديان والعقائد لعرب الجاهلية، لكن حوادث الدهر أنت عليها، ولم يبق منها إلا ثلاث:

١ - جمهرة النسب، في معرفة انساب العرب وقبائلهم.

٢ - أنساب الخيل، في علم الانساب.

٣ - الاصنام، في أوضاع المجتمع الديني لعصر المؤلف.

وقام بتحقيق هذه الكتب الثلاثة الباحث المصري المعروف احمد زكي باشا (٢٦).

الجدير بالذكر أن ما ورد عن ابن الكلبي على رغم أهميته لا يخلو من إشكالات، إما بسبب تنوع الموضوعات التي طرقتها، مما أدى إلى عدم توحيده الدقة في بعض الأمور، أو أن بعض المغرضين تلاعبوا في مؤلفاته وأضافوا إليها ما ليس منها.

هذه الملاحظة، مضافة لكونه إمامياً، دفع الدارقطني وابن حنبل إلى سلب الثقة عنه مطلقاً، وعدم النقل عنه (٢٧)، ولكن هذا الحكم بعيد عن الانصاف ونابع عن التعصب.

٤ - الواقدي (ت ٢٠٧ هـ):

أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلمي بالولاء المدني من أقدم المؤرخين في الاسلام وأشهرهم، ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ وانتقل إلى العراق سنة مئة وثمانين للهجرة. وولي القضاء في بغداد، واستمر إلى أن توفي فيها (٢٨).

قال فيه الخطيب البغدادي ذاكراً دقته في تدوين الوقائع: «كان الواقدي كلما ذكرت له وقعة ذهب إلى مكانها فعابته» (٢٩).

وقال ابن النديم: «خلف الواقدي بعد وفاته ستمئة قمطر كتباً، كل قمطر منها حمل رجلين، وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار، وقبل ذلك بيع له كتب بألفي دينار» (٣٠).

وثمة آراء مختلفة حول انتماء الواقدي المذهبي، فمنهم من قال بتشييعه، ومنهم من اعتبره من اتباع فرق إسلامية أخرى. ويعتقد ابن النديم أنه متشيع حسن المذهب يلزم التقية، وهو الذي روى أن علياً (عليه السلام) كان من معجزات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كالعصا لموسى (عليه السلام) (٣١).

واعتبر الشيخ المفيد الواقدي عثمانياً لكنه يميل إلى علي (عليه السلام) (٣٢).

وما يعزز رأي الشيخ المفيد أن الواقدي أخذ عشرة آلاف درهم جائزة من الرشيد، وكان يقضي حياته منعماً برعاية يحيى البرمكي (٣٣).

كما يؤيد رأي الشيخ كون كاتب الواقدي (ابن سعد) من موالى العباسيين (٣٤).

ومع ذلك لا يمكن الجزم بأنه لم يكن إمامياً؛ لأنه كان يمارس التقية حسب قول ابن النديم، ويقول العلامة المامقاني إنه ليس من المستبعد أن يكون تولى القضاء في بلاط هارون الرشيد بإذن من الامام الرضا(عليه السلام)(٣٥).

ومن كتبه:

- ١ - كتاب التاريخ والمغازي والمبعث.
- ٢ - كتاب أخبار مكة.
- ٣ - كتاب الطبقات.
- ٤ - كتاب فتوح الشام.
- ٥ - كتاب فتوح القرآن.
- ٦ - كتاب الجمل.
- ٧ - كتاب مقتل الحسين(عليه السلام).
- ٨ - كتاب السيرة.
- ٩ - كتاب أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).
- ١٠ - كتاب الردة والدار.
- ١١ - كتاب حرب الاوس والخزرج.
- ١٢ - كتاب صفين.
- ١٣ - كتاب وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).
- ١٤ - كتاب أمر الحبشة والفيل.
- ١٥ - كتاب المناكح.
- ١٦ - كتاب السقيفة وبيعة أبي بكر.
- ١٧ - كتاب ذكر القرآن.
- ١٨ - كتاب سيرة أبي بكر ووفاته.
- ١٩ - كتاب مدعى قریش والانصار في القطائع ووضع عمر الدواوين وتصنيف القبائل ومراتبها وأنسابها.
- ٢٠ - كتاب الرغيب في علوم القرآن وغلط الرجال.
- ٢١ - كتاب مولد الحسن والحسين ومقتل الحسين.

٢٢ - كتاب ضرب الدنانير والدراهم.

٢٣ - كتاب تاريخ الفقهاء.

٢٤ - كتاب الاداب.

٢٥ - كتاب التاريخ الكبير.

٢٦ - كتاب غلط الحديث.

٢٧ - كتاب السنة والجماعة ودم الهوى وترك الخوارج في الفتن.

٢٨ - كتاب الاختلاف (٣٦).

٥ - نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ) :

أبو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار المنقري التميمي الكوفي (٣٧) يرجع نسبه إلى المنقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم، ويعد من الرواد في علم التاريخ وكتابه. وقال الشراح إن نسبه ينتهي إلى الكوفة رغم أنه سكن بغداد (٣٨).

قال عنه الشراح والمؤرخون إنه كان عطاراً، وكان يعالج الاحداث التاريخية بذوق انتقادي، وقد نقل أحداث وقعة صفين ومشاهدها بدقة خاصة (٣٩).

ووضعه المؤرخون في طبقة واحدة مع أبي مخنف (٤٠). يقول عنه العقيلي: «شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كبير» وقال ابو حاتم وهو من محدثي أهل السنة أيضاً إنه «زالغ الحديث متروك» (٤١). لكن ابن حبان اعتبره من الثقات (٤٢) وقال عنه ابن ابي الحديد: «نحن نذكر ما أورده نصر بن مزاحم في كتاب صفين في هذا المعنى، فهو ثقة ثبت، صحيح النقل، غير منسوب إلى هوى ولا إدغال؛ وهو من رجال أصحاب الحديث» (٤٣).

وعده جماعة من كبار علماء الشيعة إمامياً صادقاً ثقة (٤٤)، ولهذا السبب اعتبره بعض كتاب السنة مؤرخاً من الغلاة (٤٥).

يقول عنه ياقوت الحموي إنه شيعي كان عارفاً بالتاريخ والاحبار (٤٦).

(٤٠) لسان الميزان ٦: ١٥٧.

(٤١) المصدر السابق.

(٤٢) المصدر السابق.

(٤٣) شرح نهج البلاغة ١: ١٨٣.

(٤٤) تأسيس الشيعة: ٢٣٧، فهرست الطوسي: ١٧١، رجال الحلي: ١٧٥، الذريعة ١: ٣٤٧.

(٤٥) الاعلام ٨: ٢٨، تاريخ بغداد ١٣: ٢٨٢.

(٤٦) معجم الادباء ٢: ٢٣١.

ومن كتبه:

- ١ - الجمل.
- ٢ - صفين.
- ٣ - مقتل الحسين.
- ٤ - عين الورد.
- ٥ - اخبار المختار بن ابي عبيد.
- ٦ - المناقب.
- ٧ - النهروان.
- ٨ - الغارات.
- ٩ - مقتل حجر بن عدي.
- ١٠ - أخبار محمد بن ابراهيم طباطبا وأبي السرايا (٤٧).

٦ - الجهمي (ت ٢٣٢ هـ) :

أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان بن عبد الله بن ابي جهم بن حذيفة العدوي، من بني عدي بن كعب، ويعرف بالجهمي نسبة إلى جده، أبي الجهم، ويكنى أبا عبد الله.

دخل العراق وبه تعلم، وكان أديباً راوية شاعراً، ويذكر النسب والمثالب وله في ذلك كتب.

أمر المتوكل بضربه مئة سوط، لانه رد على أعداء الامام علي(عليه السلام).

توفي سنة مئتين واثنين وثلاثين للهجرة وقيل سنة مئتين وسبع وأربعين.

وله من الكتب:

- ١ - أنساب قریش وأخبارها.
- ٢ - المعصومين.
- ٣ - المثالب.
- ٤ - الانتصار في الرد على الشعوبية.
- ٥ - فضائل مصر (٤٨).

(٤٧) رجال النجاشي: ٣٠١، تأسيس الشيعة: ٢٣٧، فهرست ابن النديم: ١٣٧، منتهى المقال: ٣١٧، فهرست الطوسي: ١٧١.

(٤٨) فهرست ابن النديم: ١٦٢، تأسيس الشيعة: ٢٤٧، الذريعة ١٩: ٧٣.

٧ - البرقي (ت ٢٧٤ هـ) :

أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي، من الكوفة (٤٩)، وهو من كبار علماء الشيعة ومن أصحاب الامامين الكاظم والرضا (عليهما السلام)، وبقي حياً حتى عهد الامام الجواد (عليه السلام) (٥٠) له كتب كثيرة في مختلف العلوم.

أما مؤلفاته في التاريخ فهي:

- ١ - الطبقات.
- ٢ - التاريخ.
- ٣ - الرجال.
- ٤ - الشعر والشعراء.
- ٥ - الارضين.
- ٦ - البلدان.
- ٧ - الجمل.
- ٨ - المغازي.
- ٩ - التعازي.
- ١٠ - التهاني.
- ١١ - المآثر والانساب.
- ١٢ - أنساب الامم.
- ١٣ - مغازي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
- ١٤ - بنات النبي وأزواجه.
- ١٥ - الاوائل.
- ١٦ - الطب.
- ١٧ - ذكر الكعبة (٥١).

وقد اكتفينا بذكر هذه المؤلفات للاختصار، وإلا فهي تبلغ المئة تقريباً.

(٤٩) الاعلام ١: ٢٠٥، منهج المقال: ٤٢.

(٥٠) رجال النجاشي: ٥٥، فهرست الطوسي: ٢٠.

(٥١) تأسيس الشيعة: ٢٦١، فهرست الطوسي: ٢٠، الاعلام ١: ٢٠٥؛ أعيان الشيعة ٩: ٣٩٩، رجال النجاشي: ٥٥، فهرست ابن النديم: ٣٠٩.

٨ - اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ):

أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (٥٢): مؤرخ جغرافي كثير الاسفار من أهل بغداد (٥٣).

عاصر أبا حنيفة الدينوري المتوفى نحو سنة مئتين وتسعين للهجرة والبلاذري المتوفى سنة مئتين وتسعة وسبعين للهجرة، ويعتبر من الجغرافيين المعروفين في العصر العباسي (٥٤).

كان جده واضح من المتشيعين لاهل البيت (عليهم السلام)، وقد ضحى بنفسه في سبيل ذلك، ولا يوجد أي شك في كون اليعقوبي شيعياً، وثمة دلالة على تشيعه، ومنها أنه فسر الثقلين في الحديث المعروف يوم الغدير بأنهما كتاب الله والعترة (٥٥)، كما اعتبر آية (اليوم أكملت لكم دينكم) (٥٦) نازلة في الغدير، وقد صرح بتنصيب الامام علي (عليه السلام) من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير لامامة المسلمين (٥٧)، فضلاً عن أنه لم يطلق لقب أمير المؤمنين على غير الامام علي (عليه السلام).

يقول المستشرق الهولندي هوكسما (١٨٥١ - ١٩٤٣م):

إن اليعقوبي كان - دون شك - شيعياً ومن أتباع المذهب الجعفري.

كما يقول المستشرق سارتن بعد أن قدم تعريفاً لليعقوبي وأنه جغرافي ومؤرخ شيعي: «إن لتاريخ اليعقوبي ميزة خاصة لضبطه الحقائق التاريخية دون انحياز» (٥٨).

ويرى جرجي زيدان أن من خصائص تاريخ اليعقوبي أنه كتب عن العباسيين ما لم يتناوله الآخرون (٥٩).

وقد أشارت المصادر الشيعية إلى تشيع اليعقوبي بصراحة تامة (٦٠).

أما ولادته ووفاته فلم يصلنا عنهما شيء، وهناك اختلاف في تاريخ وفاته، فقد قيل إنه توفي سنة مئتين وثمان وسبعين للهجرة، وقيل أيضاً سنة مئتين واثنين وثمانين، ومئتين وأربع وثمانين، ومئتين واثنين وتسعين، إلا أن صحيحها على ما يعتقد هو سنة مئتين وأربع وثمانين (٦١).

(٥٢) الاعلام ١: ٩٥؛ معجم الادباء ٥: ١٥٣؛ الكنى والالقب ٣: ٢٩٦؛ معجم المؤلفين ١: ١٦١، الذريعة ٣: ٢٩٦، أعيان الشيعة ١٠: ٣٣٠.

(٥٣) الاعلام ١: ٩٥.

(٥٤) معجم الانساب: ٣٩، مقدمة ترجمة البلدان: ٩.

(٥٥) البلدان: ٤٨، تاريخ اليعقوبي ١: ٥٠٨ و ٥١٢ و ٥٢٢ و ٥٢٧.

(٥٦) المائدة: ٣.

(٥٧) تاريخ اليعقوبي ١: ٤٠٢.

(٥٨) المصدر السابق: مقدمة وتصحيح سارتن، الكنى والالقب ٣: ٢٩٦.

(٥٩) تاريخ آداب اللغة العربية ٢: ١٦٧.

(٦٠) الذريعة ٣: ٢٩٦، الكنى والالقب ٣: ٢٩٦، مقدمة تاريخ اليعقوبي ١: ٢٠.

(٦١) الاعلام ١: ٩٥، تاريخ آداب اللغة العربية ٢: ١٦٧ و ١٧٦ و ٢٢٩، معجم الادباء ٥: ١٥٣، أعيان الشيعة ١٠: ٣٣٠.

ومن مؤلفاته:

- ١ - كتاب في الفتوحات واجراءات الطاهر بن الحسين.
- ٢ - جغرافية امبراطورية بيزنطة.
- ٣ - تاريخ فتوحات إفريقيا.
- ٤ - أخبار الأمم السالفة.
- ٥ - المسالك والممالك.
- ٦ - ملوك الروم.
- ٧ - مشاكل الناس لزمانهم.
- ٨ - تاريخ اليعقوبي.
- ٩ - البلدان (٦٢).

وتحدثت كتب التاريخ بالتفصيل عن اليعقوبي تركناه اختصاراً، ويمكن لمن اراد المزيد الرجوع إلى المصادر (٦٣).

٩ - الغلابي (ت ٢٩٨ هـ):

أبو عبد الله محمد بن زكريا بن دينار مولى بني غلاب الجوهري البصري، وبنو غلاب قبيلة بالبصرة من بني نصر بن معاوية، وهم بطن من هوازن، وقيل إنه ليس له بغير البصرة منهم أحد (٦٤).

وكان وجهاً من وجوه الشيعة بالبصرة، وكان واسع العلم، صنف كتباً كثيرة (٦٥).

وقال عنه ابن النديم إنه أحد الرواة للسير والاحداث والمغازي وغير ذلك، وكان ثقة صادقاً (٦٦).

(٦٢) دائرة المعارف الاسلامية ٤: ١١٥٢، معجم الادباء ٥: ١٥٣، أعيان الشيعة ١٠: ٣٣٠، ترجمة البلدان: ١٤، معجم المؤلفين ١: ١٦١، إيضاح الكنوز ١: ٢١٩ وج ٢: ٢٧٩، المقتبس ٦: ٥٤٧.

(٦٣) نهاية الأرب ٢: ٣٠، مفتاح الاسرار للشهرستاني، دائرة المعارف الاسلامية ٧: ١٣، بيتيمة الدهر ٣: ١٢٥، دائرة المعارف الاسلامية ٤: ١١٢٥، مروج الذهب ١: ١٦، كشف الظنون ١: ٢٨٣، خطط المقرئ ٢: ١٠٦، مجمع التواريخ والقصص: ٢٧١ و ٢٧٨، عيون الأنباء ٢: ٨٧، تقويم البلدان: ٣٨٧، معجم المطبوعات ٢: ١٩٤٨، مختصر كتاب البلدان: ٢٩٠، مقدمة ترجمة البلدان: ١١.

(٦٤) فهرست الطوسي: ١٥٧، قاموس الرجال ٨: ١٧٣، تأسيس الشيعة: ٢٥٢، الاعلام ٦: ١٣٠.

(٦٥) رجال الطوسي: ٤٤٢.

(٦٦) فهرست ابن النديم: ١٥٧.

وله من الكتب:

١ - الجمل الكبير.

٢ - الجمل الصغير.

٣ - صفين الكبير.

٤ - صفين الصغير.

٥ - مقتل الحسين.

٦ - الاجواد.

٧ - النهر.

٨ - الوافدين.

٩ - مقتل أمير المؤمنين.

١٠ - اخبار زيد.

١١ - أخبار فاطمة ومنشأها ومولدها.

١٢ - الخيل (٦٧).

١٠ - ابن الاعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ):

أبو محمد أحمد بن اعثم الكوفي (٦٨)، من مؤرخي الشيعة ورواتها وشعرائها، وليست هناك معلومات دقيقة عن مولده وحياته، بل اختلف المؤرخون في اسمه أيضاً (٦٩)، وكان باقوت الحموي (٧٠)، أول من كتب باختصار عن حياة ابن الاعثم، ثم تبعه الآخرون (٧١).

وتؤيد كتب الرجال والتاريخ تشيع الرجل (٧٢)، وقد عده بعض كتاب السنة من الضعفاء (٧٣)، الامر الذي لا يمكن أن يُعتد به، لان ابن الاعثم لم يكن الاول الذي احيطت وثاقته بالشكوك لتشيعة، وإنما نثار الشكوك حول كل محدث ومؤرخ شيعي لمجرد كونه شيعياً.

(٦٧) تأسيس الشيعة: ٢٥٢، رجال النجاشي: ٢٤٤، رجال الطوسي: ٤٤٢، الاعلام ٦: ١٣٠.

(٦٨) الذريعة ٣: ٢٢٠، الوافي بالوفيات ٦: ٢٥٦، معجم الادباء ٢: ٢٣٠، معجم المؤلفين ١١: ٣٧.

(٦٩) معجم الادباء ٢: ٢٣٠، لسان الميزان ١: ١٣٨، دائرة المعارف الشيعية ١: ٣٠٣.

(٧٠) معجم الادباء ٢: ٢٣٠.

(٧١) لسان الميزان ١: ١٣٨.

(٧٢) الذريعة ٣: ٢٣٠، كشف الظنون ٢: ١٢٣٩.

(٧٣) الوافي بالوفيات ٦: ٢٥٦، معجم الادباء ٢: ٢٣٠، الكنى والالقاب ١: ٢١٥، مجالس المؤمنين ١: ٢٧٨.

اما مؤلفاته فهي:

١ - فتوحات الشام، ويعتبر أحد أهم النصوص التاريخية القديمة، ذكر فيه مواضيع قيمة منذ وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حتى خلافة هارون الرشيد، وتحدث عن العراق وفتح خراسان واربينيا وأذربيجان ومعارك العرب، وانتشار الاسلام في إيران والروم الشرقية(٧٤).

٢ - كتاب التاريخ، بدأ فيه من عهد المأمون وانتهى بأيام المقتدر(٧٥).

ويقول ياقوت الحموي إنه رأى الكتابين ويوشك أن يكون الثاني ذيلًا على الاول(٧٦).

وهذا مجمل لما ذكر عن كتب ابن الاثم في التاريخ(٧٧).

١١ - ابن عماد الثقفي (ت ٣١٩ هـ) :

أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عماد الثقفي الكاتب. توفي سنة ثلاثمئة وتسع عشرة للهجرة(٧٨)، وهو من المؤرخين الشيعة.

وله من الكتب:

١ - المبيضة في أخبار مقاتل آل ابي طالب.

٢ - الانواء.

٣ - مثالب أبي خراش.

٤ - أخبار سليمان بن ابي شيخ.

٥ - الزيادات في اخبار الوزراء.

٦ - اخبار حجر بن عدي.

٧ - رسالة في بني امية.

٨ - اخبار ابي نواس.

٩ - اخبار ابن الرومي والاختيارات من شعره.

١٠ - رسالة في تفضيل بني هاشم واوليائهم وذم بني امية واتباعهم.

١١ - رسالة في امر ابن المحرز المحدث.

(٧٤) كشف الظنون ٢: ١٢٣٧، الذريعة ٣: ٢٢٠.

(٧٥) ربحانة الادب ٧: ٣٨٦، دائرة المعارف الاسلامية الكبرى ٢: ٢٦.

(٧٦) معجم الادباء ٢: ٢٣٠.

(٧٧) راجع: تاريخ الادب العربي ٣: ٥٥، مجلة المجمع العلمي العربي ٢: ١٤٢، الذريعة ٣: ٢٢٠، مقدمة مصحح الفتوح.

(٧٨) فهرست ابن النديم: ٢١٢.

١٢ - اخبار ابي العتاهية.

١٣ - المناقضات.

١٤ - اخبار عبد الله بن معاوية بن جعفر (٧٩).

١٢ - الجلودي (ت ٣٣٢ هـ):

أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي الأزدي البصري، مؤرخ وأديب. كان شيخ الامامية بالبصرة (٨٠). قال عنه ابن النديم: «أخباري صاحب سير وزادات» (٨١).

ويقول الشيخ الطوسي: «من أهل البصرة إمامي المذهب. له كتب في السير والاخبار، وله كتب في الفقه» (٨٢). وذكر ابن شهر آشوب تعابير مماثلة في حق الجلودي (٨٣).

وقال عنه العلامة الحلي إنه رجل ثقة (٨٤).

وقال السيد حسن الصدر إن الجلودي من مشايخ البصرة وائمتهم في التاريخ، وهو من علماء القرنين الثالث والرابع ومن طبقة جعفر بن قولويه والكليني. جده الأعلى عيسى الجلودي من أصحاب الامام الباقر (عليه السلام). ثم تطرق إلى مؤلفاته وعدّها منها ١٨٩ مؤلفاً (٨٥).

كما اشار النجاشي في رجاله إلى كثرة المؤلفات التي تنسب للجلودي (٨٦) وعدّ الزركلي بعضها (٨٧).

وقد توفي يوم الاثنين السابع عشر من ذي الحجة سنة ثلاثمئة واثنين وثلاثين للهجرة، وجرى تغسيله ودفنه يوم الغدير (٨٨).

١٣ - المسعودي (ت ٣٤٦ هـ):

أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود مؤرخ رحالة باحث (٨٩)، وقد شهد على تشييعه العامة والخاصة، رغم أن البعض اعتبره معتزلي المذهب (٩٠).

(٧٩) المصدر السابق، تأسيس الشيعة: ٢٥٢، الذريعة ١: ٣١٨.

(٨٠) الاعلام ٤: ٢٤.

(٨١) فهرست ابن النديم: ١٦٧.

(٨٢) المصدر السابق: ١١٩.

(٨٣) معالم العلماء: ٨١.

(٨٤) رجال الحلي: ١١٦.

(٨٥) تأسيس الشيعة: ٢٤٤ - ٢٤٧.

(٨٦) رجال النجاشي: ١٦٧.

(٨٧) الاعلام ٤: ٢٩.

(٨٨) هامش فهرست الطوسي: ١١٩.

ويرد ابن عماد على هذه الشبهة ويقول إن المسعودي الشافعي هو غير المسعودي المؤرخ صاحب مروج الذهب، ولعل شبهة الاعتزال التي حامت حوله جاءت بسبب التشابه بين كلام المعتزلة وأصول عقائد الشيعة في الكثير من أصول الكلام (٩١).

واجمع علماء الشيعة الرجاليون على كون المسعودي إمامياً، ومنهم صاحب روضات الجنات الذي نفى أي شك وشبهة حول انتماء المسعودي إلى المذهب الاثني عشري (٩٢).

وصرح بذلك السيد ابن طاووس عند ذكر العلماء العالمين بالنجوم حيث قال: «ومنهم الشيخ الفاضل الشيعي علي بن الحسين بن علي المسعودي مصنف كتاب مروج الذهب» (٩٣).

وقال ابو علي في رجاله: «المسعودي هذا من أجلة علماء الامامية ومن قدماء الفضلاء الاثني عشرية، ويدل عليه ملاحظة اسامي كتبه ومصنفاته» (٩٤).

وقال الميرزا عبد الله افندي: «الشيخ ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي الفاضل العالم الكامل الجامع المؤرخ... المعروف بالمسعودي الشيخ الجليل المتقدم من اصحابنا الامامية المعاصر للصدوق وصاحب كتاب مروج الذهب وغيره من المؤلفات الكثيرة» (٩٥).

واعتبر العلامة المجلسي في مقدمة بحار الانوار المسعودي من الممنوحين، وجعل كتبه من مصادر البحار، وأشار إلى كتابيه إثبات الوصية ومروج الذهب، وقال إنهما لعلي بن الحسين بن علي المسعودي من علماء الشيعة (٩٦).

وقال الشيخ عباس القمي: «علي بن الحسين بن علي الهذلي، شيخ أجل، عالم كامل، ماهر خبير، بصير سائح في اقطار العالم وعالم مطلع مسلم، أبو الحسن المعروف بالمسعودي مؤرخ امين ومعتد عند الفريقين، اسكنه الله في اعلى عليين، صاحب تصنيفات رائعة نافعة، مثل مروج الذهب ومعادن الجواهر... واعلم أن المسعودي أطلق على جماعة من الخاصة والعامة، لكن المعروف عندنا هو هذا الشيخ المعتمد الجليل، وقيل إنه لقب بالمسعودي لان نسبه يتصل بالصحابي عبد الله بن مسعود» (٩٧).

ونقل صاحب روضات الجنات قولاً للمسعودي اعتبر فيه قيد العصمة وبعض القيود الاخرى شروطاً في الامام، واستدل بذلك على تشيعه (٩٨).

(٨٩) الاعلام ٤: ٢٧٧، فوات الوفيات ٢: ٤٥، سير أعلام النبلاء ١٥: ٥٦٩، أعيان الشيعة ٨: ٢٢٠.

(٩٠) سير أعلام النبلاء ١٥: ٥٦٩، لسان الميزان ٤: ٢٢٥، الاعلام ٤: ٢٧٧، روضات الجنات ٤: ٢٨٣.

(٩١) شذرات الذهب ٢: ٣٧١، مقدمة ترجمة مروج الذهب ١: ٦.

(٩٢) روضات الجنات ٤: ٢٨٦، تأسيس الشيعة: ٢٥٣.

(٩٣) فرج المهموم: ٤٨، أعيان الشيعة ٨: ٢٢٠.

(٩٤) أعيان الشيعة ٨: ٢٢٠، تأسيس الشيعة: ٢٥٣، روضات الجنات ٤: ٢٨٦.

(٩٥) رياض العلماء ٦: ١٨٧، أعيان الشيعة ٨: ٢٢١، الفوائد الرضوية: ٢٧٨.

(٩٦) بحار الانوار ١: ٣٦.

(٩٧) الفوائد الرضوية: ٢٧٧.

(٩٨) روضات الجنات ٤: ٢٨٥.

ونقل ابن حجر أيضاً كلاماً عن المسعودي، ثم قال: «وكتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً... ومن كلامه في حق علي ما يدل على تفضيله لعلي على بقية الصحابة» (٩٩).

وقال السيد محسن الامين إنه يستنتج من دراسة كتاب إثبات الوصية للمسعودي أنه من كبار الشيعة وخواصهم (١٠٠).

ومن أبرز الأدلة على تشيع المسعودي كتاباه مروج الذهب والتنبيه والاشراف، اللذان يكشفان صريحاً عن عقيدته. وقد ورد في المسعودي كلام كثير في كتب الرجال والتاريخ يطول بنا المقام لو خضنا فيه (١٠١).

وقد التقى المسعودي بالكثير من علماء زمانه، وسمع عنهم روايات كثيرة، واكتسب معارف جمة، ومن الجدير بنا هنا أن نشير إلى كتبه القيمة التي تكشف عن همّة رفيعة في تدوين القضايا التاريخية والعلمية:

١ - أخبار الزمان.

٢ - الاوسط.

٣ - مروج الذهب.

٤ - فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف.

٥ - ذخائر العلوم، وما كان في سالف الدهور.

٦ - التنبيه والاشراف.

٧ - المقالات في أصول الديانات.

٨ - القضايا والتجارب.

٩ - سر الحياة.

١٠ - رسالة البيان في أسماء الائمة القطعية من الشيعة.

١١ - الزلف.

١٢ - المبادئ والتراكيب.

١٣ - الانتصار.

١٤ - نظم الجواهر في تدبير الممالك والعساكر.

(٩٩) لسان الميزان ٤ : ٢٢٥.

(١٠٠) أعيان الشيعة ٨ : ٢٢٠.

(١٠١) راجع: فهرست ابن النديم: ٢١٩، جمهرة انساب العرب: ١٩٨، معجم الادباء ١٣ : ٩٠، تذكرة الحفاظ ٣ : ٨٥٧، العبر ٢ : ٢٦٩، سير أعلام النبلاء ١٥ : ٥٦٩، لسان الميزان ٤ : ٢٢٤، دول الاسلام ١ : ١٦٧، فوات الوفيات ١٣ : ١٢، طبقات الشافعية ٣ : ٤٥٦، النجوم الزاهرة ٣ : ٣١٥، كشف الظنون ١ : ٧٨ و ١٦٦، وج ٢ : ١٦٥٨ و ١٦٦٤، شذرات الذهب ٢ : ٣٧١، معجم المؤلفين ٧ : ٨٠، ايضاح المكنون ١ : ١٨٣، أعيان الشيعة ٨ : ٢٢٠، هدية العارفين ١ : ٦٧٩، قاموس الرجال ٦ : ٤٦٩، الذريعة ٣ : ٣٤٧، منتهى المقال: ٢١٢، منهج المقال: ٢٣١، تأسيس الشيعة: ٢٥٣، رجال النجاشي: ١٧٨، الاعلام ٤ : ٢٧٧، روضات الجنان ٤ : ٢٨٣.

- ١٥ - الاستذكار لما جرى في سالف الاعصار.
- ١٦ - طب النفوس.
- ١٧ - نظم الادلة في أصول الملة.
- ١٨ - الصفوة في الامامة.
- ١٩ - الاستبصار في الامامة.
- ٢٠ - الدعوات الشنيعة.
- ٢١ - حدائق الازهان في أخبار أهل بيت النبي وتفرقهم في البلدان.
- ٢٢ - الواجب في الفروض واللوازم.
- ٢٣ - وصل المجالس بجوامع الاخبار ومخلط الاثار.
- ٢٤ - مقاتل الفرسان العجم.
- ٢٥ - تقلب الدول وتغيير الاراء والملل.
- ٢٦ - المسائل والعلل في المذاهب والملل.
- ٢٧ - خزائن الدين وسر العالمين.
- ٢٨ - نظم الاعلام في أصول الاحكام.
- ٢٩ - الابانة عن أصول الديانة.
- ٣٠ - النهي والكمال.
- ٣١ - الروس السبعية.
- ٣٢ - الاسترجاء في الكلام.
- ٣٣ - مظاهر الاخبار وطرائف الاثار في أخبار آل النبي.
- ٣٤ - الاخبار المسعودية.
- ٣٥ - الزاهي.
- ٣٦ - التاريخ في أخبار الامم من العرب والعجم.
- ٣٧ - الخوارج.
- ٣٨ - الرسائل.
- ٣٩ - إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

٤٠ - في أحوال الإمامة.

٤١ - المسالك والممالك (١٠٢).

١٤ - إبراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣ هـ):

إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي الكوفي، عالم من أهل الكوفة، انتقل إلى أصفهان فمات فيها. كان يرى رأي الزيدية ثم انتقل إلى مذهب الامامية (١٠٣). وقد برز في عصره مؤرخاً كبيراً، نشير فيما يلي إلى آراء بعض الباحثين والعلماء فيه.

قال ابن النديم: «إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد ابن مسعود الثقفي، وسعد بن مسعود أخو أبي عبيد بن مسعود عم المختار» (١٠٤).

وقال عنه ابو نعيم الاصفهاني إن علماء أهل السنة والحديث تركوا إبراهيم ابن محمد الثقفي، لانه إمامي (١٠٥).

وقال عنه السمعاني: «إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي الكوفي، قدم إصبهان وأقام بها، وكان يغلو في الترفض» (١٠٦).

أما ياقوت الحموي فقد قال فيه: «إبراهيم بن محمد الثقفي... وكان جباراً من مشهوري الامامية» (١٠٧).

وقال صلاح الدين الصفدي: «كان أخبارياً من مشهوري الامامية» (١٠٨).

وقال عنه ابن حجر: «كان غالباً في الرفض، ترك حديثه» (١٠٩).

ووصفه عمر رضا كحاله بأنه محدث ومؤرخ وفقيه له مؤلفات لا تحصى (١١٠).

وقال فيه الشيخ محمود حسن إنه من كبار مشايخ الشيعة وفضلائهم، ولد بالكوفة، وكان على المذهب الزيدي ثم تشيع وأصبح من كبار علمائهم (١١١).

(١٠٢) راجع: تأسيس الشيعة: ٢٥٣، معجم الادباء ١٣: ٩٠، فهرست ابن النديم: ٢١٩، رجال النجاشي: ١٧٨، أعيان الشيعة ٨: ٢٢٤، معجم المؤلفين ٧: ٨٠

(١٠٣) الاعلام ١: ٦٠، أعيان الشيعة ٢: ٢١٠.

(١٠٤) فهرست الطوسي: ٨٩.

(١٠٥) تاريخ أصفهان: ٢١٦.

(١٠٦) الانساب ١: ٥١١.

(١٠٧) معجم الادباء ١: ٢٩٤.

(١٠٨) الوافي بالوفيات ٦: ١٢١.

(١٠٩) لسان الميزان ١: ١٠٢.

(١١٠) معجم المؤلفين ١: ٩٥.

(١١١) معجم المصنفين: ١٧٢.

من مؤلفاته:

- ١ - المغازي.
- ٢ - السقيفة.
- ٣ - الردة.
- ٤ - مقتل عثمان.
- ٥ - الشورى.
- ٦ - بيعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام).
- ٧ - الجمل.
- ٨ - صفين.
- ٩ - الحكمين.
- ١٠ - النهروان.
- ١١ - الغارات.
- ١٢ - مقتل أمير المؤمنين (عليه السلام).
- ١٣ - رسائل أمير المؤمنين وأخباره وحروبه.
- ١٤ - قيام الحسن بن علي.
- ١٥ - مقتل الحسين.
- ١٦ - التوابين وعين الورد.
- ١٧ - أخبار المختار.
- ١٨ - فدك.
- ١٩ - الحجة في فعل المكرمين.
- ٢٠ - السرائر.
- ٢١ - المودة في القربى.
- ٢٢ - المعرفة.
- ٢٣ - الحوض والشفاعة.
- ٢٤ - الجامع الكبير في الفقه.

- ٢٥ - الجامع الصغير.
- ٢٦ - ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين.
- ٢٧ - فضل الكوفة ومن نزلها من الصحابة.
- ٢٨ - كتاب في الإمامة.
- ٢٩ - الجنائز.
- ٣٠ - الوصية.
- ٣١ - المبتدأ.
- ٣٢ - اخبار عمر.
- ٣٣ - اخبار عثمان.
- ٣٤ - الدار.
- ٣٥ - الاحداث.
- ٣٦ - حروراء.
- ٣٧ - الاستنفاذ والغارات.
- ٣٨ - اخبار يزيد.
- ٣٩ - ابن الزبير.
- ٤٠ - التفسير.
- ٤١ - التاريخ.
- ٤٢ - الرؤيا.
- ٤٣ - كتاب الاثرية الكبير والصغير.
- ٤٤ - محمد وإبراهيم.
- ٤٥ - كتاب من قتل من آل محمد.
- ٤٦ - معرفة فضل الافضل.
- ٤٧ - المتقين (١١٢).

(١١٢) تأسيس الشيعة: ٢٤١، فهرست ابن النديم: ٨٩ .

١٥ - الشمشاطي (توفي في القرن الهجري الرابع):

أبو الحسن علي بن محمد العدوي الشمشاطي، كان شيخاً بالجزيرة وفاضل أهل زمانه وأديبهم (١١٣).
وشمشاط مدينة بالروم نسب إليها قوم من أهل العلم، منهم أبو الحسن الشمشاطي المترجم له، وكان شاعراً وله تصانيف في الأدب، وكان في عهد سيف الدولة بن حمدان (١١٤).

من مؤلفات الشمشاطي:

- ١ - الأنوار والأثمار.
- ٢ - النزّه والابتهاج.
- ٣ - فضل أبي نواس والرد على الطاعن في شعره.
- ٤ - شرح الحماسة الأولى التي عملها أبو تمام لعبد الله بن طاهر.
- ٥ - ما تشابهت مبادئه وتخالفت معانيه في اللغة.
- ٦ - المثلث في اللغة على حروف المعجم.
- ٧ - المجزي في النحو.
- ٨ - المقصور والممدود.
- ٩ - المذكر والمؤنث.
- ١٠ - الواضح.
- ١١ - الموثق.
- ١٢ - غريب القرآن.
- ١٣ - مختصر فقه أهل البيت.
- ١٤ - رسالة البرهان في النص الجلي على أمير المؤمنين.
- ١٥ - مختصر تاريخ الطبري.
- ١٦ - تمم كتاب الموصل لأبي زكريا بن محمد.
- ١٧ - نسب ولد معن بن عدنان ولمع من أخبارهم وأيامهم.
- ١٨ - الشبهات.

(١١٣) رجال النجاشي: ١٨٦، الذريعة ٢: ٤١٢؛ تأسيس الشيعة: ٢٤٧.

(١١٤) معجم البلدان ٣: ٣٦٢.

١٩ - رسالة في الشعر.

٢٠ - رسالة في إبطال أحكام النجوم.

٢١ - الرسالة الجامعة.

٢٢ - الرسالة الكاشفة عن خطأ العصبية المخالفة.

٢٣ - رسالة المعاتبة.

٢٤ - رسالة الانتصاف من ذوي البغي والاقتراف.

٢٥ - رسالة في كشف تمويه حليف الكذب.

٢٦ - رسالة نقد شعر أبي نُضلة وشعر النامي والحكم بينهما.

٢٧ - رسالة تتعلق بأبي نضلة.

٢٨ - رسالة البيان عما موّه به الخالديان.

٢٩ - رسالة الايضاح عما اتيا به من الافك الصراح.

٣٠ - رسالة التنبيه عما اخطأ الاعمى فيه.

٣١ - رسالة جواب مسألة سئل عنها.

٣٢ - رسالة في الذي قابل الجميل بالقبیح.

٣٣ - رسالة في الرد على من خطأ أبا سعيد السيرافي.

٣٤ - عدة رسائل إلى سيف الدولة.

٣٥ - اخبار ابي تمام والمختار من شعره.

٣٦ - المثلث الصحيح.

٣٧ - العلم (١١٥).

ما ذكرناه كان نبذة عن بعض مؤرخي الامامية الذين برزوا في القرون الهجرية الاربعة الاولى، وليس بوسعنا هنا إلا أن نذكر الباحثين - وهم في مقام تقييم الاثار التاريخية والعلمية والروائية - بلزوم تناول الظروف الاجتماعية والسياسية العسيرة التي مرت على الشيعة بعين الاعتبار، كما نشير إلى أن الكثير من مؤرخي الامامية برزوا في اكثر من حقل، وألفوا في اكثر من موضوع، منطلقين رغم القيود السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي فرضت عليهم في رحاب مختلف العلوم، مسجلين دوراً مشرفاً في تدوين الثقافة والعلوم الاسلامية بالاستلھام من أنمتهم(عليهم السلام).

(١١٥) فهرست ابن النديم: ٢٢٠، تأسيس الشيعة: ٢٤٧، رجال النجاشي: ١٨٦.

تقرير

ندوة حقوق الانسان فى الاسلام

* الشيخ محمد صادق الابراهيمى

(التحرير)

تركز البحث فى ندوة حقوق الانسان على اربعة محاور اساسية هى:

١ - الجانب التاريخى لحصر ودراسة حقوق الانسان.

٢ - النظرة التحليلية لحقوق الانسان.

٣ - تطور النظرة لحقوق الانسان.

٤ - التطورات المعاصرة والمستقبلية لحقوق الانسان.

وبالاضافة لهذه المحاور فقد تم عرض ومناقشة إعلان القاهرة بشأن حقوق الانسان فى الاسلام، كما عرضت ونوقشت بعض الموضوعات الاخرى بشكل فعال من قبل وفد الجمهورية الاسلامية فى ايران. وقد ادلى سماحة الشيخ التسخيرى رئيس الوفد بحديث عن توصيات الجمهورية الاسلامية الايرانية حول دور المرأة فى تنمية المجتمع الاسلامى التى تمخضت عن الندوة التى اقيمت فى طهران بين ١٧ - ١٩ من ذى القعدة سنة ١٤١٥هـ حول دور المرأة فى عملية التنمية، وطلب من السادة المشاركين دراسة هذه التوصيات وتقديم نتائج ذلك إلى مؤتمر وزراء الخارجية القادم للمصادقة عليها، ولاهمية هذا الحديث نذكر مقتطفات من بعض نصوصه المهمة حيث جاء فيه: «لقد حظى موضوع المرأة باهتمام لا يكاد يذكر من قبل منظمة المؤتمر الاسلامى منذ انشائها فى بداية السبعينات وقد عرض هذا الموضوع بشكل دائم على كافة مؤتمرات القمة الاسلامية ووزراء الخارجية، وقد تقدمت جمهورية باكستان الاسلامية خلال المؤتمر الثالث عشر لوزراء

الخارجية باقتراح حول انشاء منظمة دولية للنساء المسلمات، وقد تمت دراستها واحيلت إلى المؤتمر الاسلامى الرابع عشر لوزراء الخارجية الذى اصدر بدوره قراراً بالموافقة على تشكيل فريق من الخبراء من ثلاث عشرة دولة من الدول الاعضاء لدراسة الاقتراح مجدداً، وظل هذا الاقتراح يُتداول بين المؤتمرات بالدعوة المكررة لمزيد من الدراسة حتى اصدر مؤتمر القمة السادس قراراً يطلب من الامانة العامة عقد ندوة على مستوى الخبراء لوضع آليه مناسبة تكفل مشاركة نسوية فعالة فى حقول التنمية الاجتماعية. ورحبت الجمهورية الاسلامية فى ايران باستضافة اعمال لجنة الخبراء وعقدت الندوة بطهران لتدرس قضية دور المرأة فى عملية تنمية المجتمع الاسلامى، وقد اشتركت فى هذه الندوة اربع وثلاثون دولة. كما اشتركت الامانة للمنظمة وكذلك مجمع الفقه الاسلامى.

اما مسألة انشاء منظمة نسوية فكأنى المح انها طويت فى ملف النسيان».

واشار كذلك سماحة الشيخ التسخيرى فى حديثه إلى التوصيات التى صدرت عن الندوة والتى ستطرق اليها فى هذا التقرير بشيء من التفصيل فى محلها، كما اشار سماحته إلى أن ندوة الخبراء اصدرت اعلاناً بمبادئ يراد الاسترشاد بها لدى المؤتمر العالمى الرابع ببيكين.

وفى ختام الحديث الذى ادلى به سماحته قال: «أود أن اسجل وللأسف نوعاً من التخلف حتى عن اعطاء رأى الاسلام العظيم فى هذا المجال من قبل المنظمة، رغم ما تجده من تقدم عالمى بل وهجوم صاعق على مختلف الصعد لضرب قدسية المرأة ودور العائلة ونشر الاباحية بشكل قانونى كما رأينا فى القاهرة وبيكين.

اما التنسيق فى بكين فاشهد أنه كان بمنتهى الضعف مع الاسف».

هذا وقد درست التوصيات الصادرة عن ندوة الخبراء وتمت الموافقة على اكثرها واحيلت للجنة خاصة فى مجمع الفقه لاستكمال دراستها.

اما على هامش ندوة حقوق الانسان فقد اقيمت جلسة حول الصحوة الاسلامية وكيفية توجيهها، حيث شارك فيها اكثر من خمسين شخصية اسلامية وقد طرحت فيها افكار وآراء رائعة بالاضافة إلى قيام المشاركين في الندوة من وفد الجمهورية الاسلامية بزيارة مركز الاقتصاد الاسلامي في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وقد تم اللقاء باساتذة المركز وجرت معهم مناقشات طيبة انتهت بالاتفاق على تقوية الاواصر مع المراكز العلمية الايرانية في هذا المجال.

اما البحوث المهمة التي قدمت إلى الندوة من قبل وفد الجمهورية الاسلامية في ايران فكانت عبارة عن بحث قدمه سماحة الشيخ محمد علي التسخيري قارن فيه بين الميثاق العالمي لحقوق الانسان وحقوق الانسان في الاسلام، وأشار فيه إلى اوجه الاشتراك والنقاط الايجابية والسلبية في البيان العالمي لحقوق الانسان، كما قدم السيد زنگنه بحثاً تحت عنوان حقوق الانسان تطورها مبادئها، تطبيقاتها، مع شرح لمفهوم الحرية والمعتقدات الدينية والعقل، واستخدامها من وجهة نظر العلماء المسلمين والمفكرين الغربيين.

ويمكن تقسيم هذه البحوث والموضوعات التي نوقشت في جدول اعمال الندوة إلى ملاحق كالتالي:

الملحق الاول: حقوق الانسان بين الاعلانين الاسلامي والعالمي

ويقع البحث في ثلاثة فصول:

الفصل الاول: حقوق الانسان وتطور مفهومها.

الفصل الثاني: مقارنة بين الاعلانين العالمي والاسلامي لحقوق الانسان.

الفصل الثالث: حقوق الانسان بين النظرية والتطبيق في الماضي والحاضر.

«وقد قامت مجلة رسالة الثقلين بنشر هذا البحث على مدى ثلاثة اعداد (٦، ٧، ٨)؛ لذلك نرى أن نشير بشكل مجمل جداً إلى هذا البحث بما يتناسب مع المقام باقتباس النكات المهمة والاساسية لهذا البحث».

الفصل الاول: حقوق الانسان وتطور مفهومها:

إن من الغريب حقاً لمن يستعرض مفاهيم الاعلان العالمى لحقوق الانسان أنه يجد استعمالاً لكثير من المصطلحات دون توضيح لحقيقة القصد فيها؛ من هو الحق؟ ومن هو الانسان الذى نتحدث عنه؟ وما هى الحيثية الذاتية للانسان؟ وما المقصود بالاخوة والتساوى وامثال ذلك؟

فينبغى أن نعرف أولاً ما هو الحق؟ وما هو الانسان؟ حتى نسير بشكل منطقى لمعرفة ما حدث من تطور فى مجال حقوق الانسان؛ فالحق يعنى الثبوت الذى لا يقبل التغيير حين الاستعمال على الاقل؛ فالله تعالى هو الحق ولا يمكن تصور التغيير فيه جل وعلا، والخبر المطابق للواقع حق حين الاخبار ولا معنى لتصور التغيير فى الحقيقة هذه رغم ادعاءات النسبيين الواهية، وهذا معنى واقعى لا معنى للاعتبار الذهنى أو التشريعى فيه، ولكن على هذا الغرار انتزع مفهوم اعتبارى وثبوت اعتبارى وأطلق عليه هذا اللفظ واستعمل فى مجال العلاقات الاجتماعية والسلوك الفردى كحق الحرية.

فالحق اذن حاجة ثابتة بشكل طبيعى اكدها وحولها الاعتبار إلى حالة قانونية.

اما الانسان الذى يمكن أن نتصور له حقوقاً فهو الموجود الذى يمتلك بطبيعته عناصر فطرية تولد معه وتبقى معه، وهى تتطلب - فى الواقع - مسيرة معينة إذا خرج عنها خرج عن الصفة الانسانية، وإذا عومل معاملة تخالف فطرته كانت تلك الممارسة ممارسة لا انسانية.

هذا هو الانسان كما نعرفه، ولا يمكن لاي لائحة أو اعلان منطقى ان يتحدث عن حقوقه إن لم يقبل هذا التعريف.

ملاكات تشخيص الحقوق الانسانية:

يجب قبل تعيين الملاك لتشخيص كون هذا الامر حقاً انسانياً أو عدمه ان نلاحظ الامرين التاليين:

أولاً: ما اشرنا إليه من معنى الحق ومعنى الانسان.

ثانياً: أن نرجع إلى مقياس يتوفر لدى الانسان بغض النظر عن تلونه بالاشكال والطبائع الاجتماعية، والا فقدنا صفة التعميم والشمول التي هي مقتضى طبيعته كون الحق انسانياً محضاً.

ما هو إذن المقياس الذى يكشف عن الحاجة الثابتة للموجود الانسانى المتكامل عن طريق الفطرة؟

إننا لا نجد امامنا إلا الوجدان المتوفر عند كل انسان بذاته وذلك بمعناه الاعم من الوجدان الفكرى والوجدان الاخلاقى. ولكن ما هو الوجدان نفسه؟ ربما لا نستطيع أن نعرف الوجدان لا لخفائه بل لوضوحه؛ إنه الحقيقة التى نتعامل معها ولا نستطيع أن نستدل عليها إلا بها، ومن أنكر الوجدان وحكمه فلن نقدر على اقناعه مطلقاً.

بالوجدان نصل إلى ما نقطع به من احكام عقلية تشكل اساساً لمعرفتنا كلها، وبه أيضاً نصل إلى ما نؤمن به جميعاً من حسن فى الافعال وقبح فيها لتبنى عليها كل البنى الاخلاقية والاجتماعية.

اما كيفية الوصول إلى المصاديق التفصيلية للحقوق فلا نجد لها إلا سبيلين:

الاول: الاستقراء الكامل للسلوكيات الانسانية وطرح كل الطوارئ واكتشاف المشتركات.

والثانى: الدين باعتبار الوجدان دليلاً على اسسه التصورية من خلال القدرة العقلية التى تقود الانسان إلى اكتشاف سر هذا النظام الكونى الرائع والوجود المطلق الكامل الذى خلق الكون؛ هذا الوجود الغنى العليم الحى اللطيف، وهو بمقتضى لطفه يرسل انبياء بالدين ليوضحوا للبشرية الصورة التفصيلية لحقوقها الفردية والاجتماعية.

إلى هنا نكون قد اقتبسنا بعض النكات المهمة والحساسة من الفصل الاول من البحث والتى يتركز عليها البحث.

بعد ذلك يستعرض البحث الترجمة الكاملة لنص الاعلان العالمى لحقوق الانسان المتكون من مقدمة وثلاثين مادة، ثم يستعرض البحث نص الاعلان الاسلامى لحقوق الانسان مستهلاً النص بالاية الكريمة: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) مشيراً إلى أن فكرة كتابة هذا الاعلان رسمياً بدأت فى عام ١٩٧٩م إذ قرر المؤتمر الاسلامى العاشر لوزراء الخارجية تشكيل لجنة مشاورة من المتخصصين الاسلاميين لاعداد لائحة بحقوق الانسان فى الاسلام، وبعد أن مرت هذه اللائحة بمراحل عديدة تمت الموافقة عليها نهائياً فى المؤتمر التاسع عشر لوزراء الخارجية فى القاهرة بعد أن اعدت الصيغة النهائية لها فى طهران عام ١٩٨٩م، ويشتمل النص على مقدمة وخمس وعشرين مادة.

الفصل الثانى: مقارنة بين الاعلانيين العالمى والاسلامى لحقوق الانسان:

يبتدى هذا الفصل بعرض مقارنة مجدولة بين الحقوق المقررة فى الاعلانيين الاسلامى والعالمى، ثم يبين المبادئ والاسس التى بنيت عليها حقوق الانسان فى كل من الاعلانيين مشيراً إلى أن الاعلان العالمى - مع الاسف - لم يربط مطلقاً بين المسألتين الواقعية والاجتماعية، فى حين أن الاعلان الاسلامى اكد هذا الربط تماماً؛ لذلك كان منطقياً مع ذاته وذات الحقوق المقررة.

إلا أن الاعلان العالمى على أى حال يمثل بلا ريب نقلة كبرى على صعيد الاعتراف الرسمى الدولى بحقوق الانسان، الامر الذى لا يمكن انكاره رغم كل نقاط الضعف فيه التى يشير لها البحث بعد ذلك، بعد ذلك يستعرض البحث موارد الاتفاق وموارد الافتراق بين الاعلانيين الاسلامى والعالمى بشكل مفصل ومن خلال هذا الاستعراض ينتهى إلى موارد النقص فى الاعلان العالمى.

الفصل الثالث: حقوق الانسان بين النظرية والتطبيق فى الماضى والحاضر:

ربما كان هذا الفصل بحثاً تبعياً باعتباره يعبر القانون إلى التطبيق، إلا أننا نراه بحثاً اساسياً معبراً عن نقص فى القانون نفسه سواء فى ذلك الاعلان العالمى أو الاعلان الاسلامى - مع الاسف - ، فلا الاعلان احتاطا لنفسيهما بوضع ما يضمن التطبيق، ولا الدول الموقعة ألزمت نفسها بالعمل به. أما الاعلان العالمى فإنما تمت

الموافقة عليه باعتباره هدفاً سامياً مشتركاً بين البشرية لا قانوناً الزامياً. وعلى هذا النمط جاء الاعلان الاسلامى مع الاسف الشديد؛ ولم أجد لهذا الاعلان أى اثر فعلى عاجل على مجمل اوضاع عالمنا الاسلامى.

ولكن هل ترك الاعلان العالمى اثره؟ لا ريب فى أنه وجد له صدًى كبيراً فى التطبيق فى كثير من المجالات؛ إلا أن النقص الكبير كان يكمن فى دوافع الذين طرحوه أو الذين تولوا تطبيقه، واعنى بهم القوى الغربيه الكبرى؛ إنهم يفتكون بالانسان بشتى انواع الصور ويهتكون كرامته ويسلبون شعوباً كامله اعز ما تملك، ثم يتجهون بحقوق الانسان والحرية وامثالهما.

الملحق الثانى: حقوق الانسان، تطورها، مبادئها، تطبيقاتها:

ما يهمنى فى هذه الدراسه هو بعض مبادئ كيفيه الحكم الاسلامى وما يرتبط بها من مبادئ حقوق الانسان الفرديه والاجتماعيه، وخاصه فى ظل التطورات الدوليه المعاصره، ثم نأتى إلى بيان الناحيه التاريخيه لحقوق الانسان وخاصه الجوانب الثلاثه الرئيسيه مثل الحرية السياسيه والاقتصاديه والفكرية وآثارها ونتائجها، وبعد ذلك نرجع على بحث العلاقة بين الحكومه الدينيه المعاصره وافكار ومبادئ حقوق الانسان، والعقل وموقعه فى الاسلام، والغرائز والشهوه ونظريه الاسلام والافكار الوضعيه تجاهها، وكيفيه تطبيقات مبدأ الشورى فى الحياه السياسيه الاسلاميه المعاصره، ثم ننهى البحث بقراءه فى اهداف حركه حقوق الانسان المعاصره وتضاربها مع التطبيقات.

حقوق الانسان ومنعطفات التاريخ:

مرت فترات مظلمه فى حياه الانسان وخاصه فى القاره الاوربيه جعلته شيئاً لا يعتنى به، وإذا ركزنا على فتره القرون الوسطى التى تعتبر حاسمه فى بحث حقوق الانسان نرى أنها تميزت بجانبين مهمين:

الاول: هو الجانب السلبي والمحرك الا وهو الظلم والعبث والتعديات.

الثانى: هو الجانب الايجابى من ظهور الافكار التى تدعو إلى حقوق الانسان ووسائل ساعدت على انتشار هذه الافكار.

فمن الناحية التاريخية كانت هناك حكومات تسيطر على الناس وتفرض ارادتها باسم الكنيسة أو الدين أو باسم الملك والامبراطور، ولم تكن تقم للفرد الانسانى احتراماً وكانت تعبت به كيفما تشاء؛ فإما أن يكون الانسان جزءاً من دعائم ثروتها أو لا يكون له وجود اساساً؛ ومن هنا فإن الدعوة إلى إنقاذ الفرد الانسانى واستيفاء حقوقه، يمكن اعتبارها ردة فعل على التجاوزات والتعدييات التى اصابته الانسان على يد الحكومات المستبدة (كنسية كانت أو ملكية)، أو على يد الحكومات الديكتاتورية الجماعية. وهنا لابد من التنويه بالجانب الثانى وهو ظهور الافكار والحركات التى ساعدت على انتشار الدعوة إلى حقوق الانسان مثل الثورة الفرنسية والثورة الصناعية، لكن الفكرة الاساسية التى كانت تدعو إلى شعارات الحرية والمساواة والاخوة فى القطاعات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية بقيت مثلاً اعلى يرنو إليه الانسان ويعمل من اجله.

اخطبوط الاقتصاد:

فالحرية الاقتصادية التى نادى بها الثورة الفرنسية نتيجةً للتطور الاقتصادى وزعزعة الاركان السياسية بدلاً من المساواة، ولدت ما تسمى بالبرجوازية الاقتصادية والثراء فى جانب والفقر والادقاع فى جانب آخر.

وفى ظل التطور الجديد، اخذت الحرية السياسية الفردية تتقلص وذهبت الفرص المتساوية ادراج الرياح؛ إذ إن القدرة الاقتصادية بدأت تؤثر على مجريات الاحداث، فإذا بالثروة تسيطر على الارادة السياسية وتسيرها أو على الاقل تحددها، وأصبح حق الانسان فى تعيين مصيره السياسى ومن يحكمه ومن يسن له القوانين حبراً على ورق ونفخة فى رماد.

ظاهرة الفكر والاعلام:

إن الحرية التي كانت ركيزة أساسية من ركائز الثورة الفرنسية، وعلى الرغم من صيانتها في فقرات اعلان حقوق الانسان، فإنها ابعد ما تكون عن الحياة والوجود، فالحرية الفكرية تتجلى في صور منها حرية المعتقد ومنها حرية التعبير ومنها حرية تشكيل الاحزاب وحرية الصحافة وغيرها؛ فمنذ سيطرة القوة الاقتصادية على القدرة السياسية وسخرتها لصالحها بدأت بوادر الهيمنة على السلطة الفكرية؛ وعن طريق الصحف والاعلام قاموا بصناعة الفكر وسيروا ارادة الافراد والجماعات واطلق العنان للغرائز من اجل دعم النمو الاقتصادي.

ومن يتصور أن حريته الاقتصادية والسياسية والفكرية مصنوعة، وهو في خضم الامواج والتيارات الاعلامية من اذاعة وتلفزيون وصحف ومجلات ومدارس، فهو اشبه بمن ألقى في اليم وقد ظن أنه لم ينله البلل.

الحكومة الدينية واسس الديمقراطية والحرية:

يمكن أن نقسم نوع الحكومات تقسيماً اجمالياً كما يلي:

١ - الحكومات الدينية السابقة (من عهد البابوات الكاثوليك) وكانت تتصور أن مرضاء الله تتناقض ورضا الناس فهي تعمل بما يوجب عليها فهمها للدين، ولا تعنى برضا الناس.

٢ - الحكومات الديمقراطية: وهي نقيضه للنوع الاول.

٣ - الحكومات الدينية المعاصرة: وهذه تواجه مسألة مهمة وهي كيفية التوفيق بين حق الله وحق الناس.

وفي هذه الانواع الثلاثة نجد أن قضية الخالق تبرز مباشرة، فهل لهذا الخالق حقوق واجبة الرعاية؟ فالتفكير بحقوق الانسان ليس اكثر قدسية من التفكير بحقوق الخالق؛ ومن هنا يبرز دور العقل فهو الحكم كما تدعى الحكومات الديمقراطية، وهو الذى يحل المشكلات ويرفع النزاع الدائر بين اتباع الفكر العلماني الديمقراطي واتباع الفكر الديني؛ ولا نجد في هذه المرحلة اختلافاً عميقاً في تحكيم العقل لامين:

أولاً: أن الاسلام دين يحض على العقل والتعقل واستعمال العقل فى الحياة.

ثانياً: أن الفهم والادراك الدينين عمل عقلانى، والعقل فى مقامه لادراك الدين ينسق بين استيعابه للدين واستيعاباته الاخرى.

ولابد من الاشارة إلى موقف الاسلام من العقل فى بضع نقاط:

أ - العقل ومفهومه فى القرآن والسنة ورفض الخرافة والالوهام، فالقرآن الكريم يرفض الخرافة والالوهام وجميع سقطات وانحرافات الفكر البشرى، ويردّ الانسان إلى العقل الفطرى السليم، وجاءت السنة الشريفة كذلك لتكمل هذه المسيرة التربوية، وقد نقل عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن آله الاطهار عشرات الاحاديث التى تؤكد أهمية العقل وموقعه وأفضليته على سائر المواهب والخصال.

ب - العقل بمبادئه العقلية يقضى بمبدأ العلية ولا يطبق التناقض، ويؤكد البديهيات ويستخلص النتائج من المقدمات ويحلل نتائج الحس من سمع وبصر وغيره.

ج - العقل ودوره فى استنباط الاحكام الشرعية؛ وقد ظهرت آثار الاستفادة من الاسس العقلية فى تنظيم وتطوير علم اصول الفقه، وضبط صحة اساليب الاستنباط من حقائق اللفظ ومجازه إلى الحقيقة الشرعية والتعادل والتراجيح وغيرها. ويمكن أن نقول: إن العقل ينسق بين ما استوعبه من التفاصيل من الكتاب والسنة بشأن واقعة معينة، وبين ما استوعبه من التجارب والعلوم وقضايا الساعة والمتغيرات الاخرى؛ وإذا انكر العقل حالة واعتبرها منافية لكرامة الانسان، أو وجد فيها انعدام التأثير المطلوب لحكم شرعى ما، فإنه بلا شك سيؤثر على فهمه لذلك الحكم، وسيقرأ معانى جديدة من النصوص الموجودة.

المسؤولية والحرية:

والاسلام حين يقرر كرامة وشرف الانسان ويعلن حريته واستقلاله فى الاختيار، وينطلق بهذه الحرية إلى حدود حرية الآخرين «لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام» فإنه يجعل من هذه الحرية ارضية لنمو المسؤولية ورعاية

مصلحة الفرد لذاته ولمجتمعه ومحيطه. وعلى هذا الاساس نصل إلى مفترق الطريق مع الليبرالية التي لا تهتم إلا بالحقوق.

الحكومة الاسلامية وشؤون الحرية الفردية:

إن الحكومة الاسلامية، وخاصة المعاصرة، لابد أن تبدى رأيها في قضية الحرية لا على مستوى النظرية فحسب، بل على مستوى التقنين الواضح المعلن، وفي المرحلة الثانية على مستوى التنفيذ العملي؛ فالحكومة الاسلامية تنظر إلى الفرد باعتباره اللبنة الاولى في صرح المجتمع، وأنه اشرف المخلوقات وأن له حق الاختيار والانتخاب، وتقرر له حقوقاً وحريات منها:

أ - فى السلوك الخاص: لا تتدخل الحكومة الاسلامية فى المنازل أو الشؤون الخاصة.

ب - اثر السلوك والحرية الخاصة فى المجتمع: حرية الفرد مضمونة ما لم تضر بالفرد نفسه أو بحقوق الآخرين.

ج - فى التفكير والعقيدة: الافراد احرار (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي).

د - برامج التربية والاعلام: تساعد على الوصول إلى مرحلة تبين الرشد من الغي ليكون الفرد على بينة من امره.

هـ - التعصب القبلى والقومى والعرقى واختلاف اللغة واللون: تساوى الحكومة بين الافراد وترفض التعصب والتمييز.

و - الاديان السماوية: تمنح الحكومة الاسلامية اتباع الاديان السماوية حرية العبادة والعمل على اساس اديانهم فى احوالهم الشخصية والاجتماعية مع مراعاة شؤون وحقوق المسلمين.

ز - اعتماد مبدأ الشورى فى الحياة السياسية: فى انتخاب مجلس التشريع، أو مجلس الخبراء، أو رئيس الدولة.

وفى الخاتمة نقول: إن الاسلام دين الحاضر والمستقبل يدعو إلى الخير والمحبة واحترام الانسان ولو أن اعداء الله واعداء الاسلام لا يريدون هذا وهم يعملون بكل ما أوتوا من اجل تشويه سمعة الاسلام. ويكفى أن نلقى نظرة إلى مقالات الصحف الغربية كالواشنطن بوست والنيوزويك التى تروج أن الاسلام والشرق منبع العنف والارهاب وتضييع حقوق الانسان، والمؤسف أكثر من ذلك أن بعض أبناء المسلمين يصغون لهذه الايحاءات ويرددونها وهم عما يحاك ضدهم غافلون.

(يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) صدق الله العلي العظيم.

الملحق الثالث: توصيات ندوة الخبراء حول دور المرأة فى تنمية المجتمع الاسلامى:

عقدت ندوة منظمة المؤتمر الاسلامى حول «دور المرأة فى تنمية المجتمع الاسلامى» فى طهران بالجمهورية الاسلامية الايرانية فى ١٧ - ١٩ / ذى القعدة / ١٤١٥، وبموجب القرار ١٠ / ٧ - ث (١) الصادر عن مؤتمر القمة الاسلامى السابع. وبعد أن ناقشت المسألة بعناية فى ضوء تقرير امانة منظمة المؤتمر الاسلامى، والمقترحات والاوراق التى قدمها الخبراء والاراء التى ابدتها مختلف الوفود، قدمت توصيات للمؤتمر الاسلامى الثالث والعشرين لوزراء الخارجية تتلخص فى ديباجة تؤكد التزام الدول الاعضاء بالميثاق الدولى والميثاق الاسلامى وحقوق المرأة، واقتناعها بأن الدين الاسلامى يقدم اشمل الحلول وانجحها لكافة المشاكل الانسانية، والحاجة المتزايدة لايجاد مجتمعات تركز على المبادئ الاسلامية، ولزوم مشاركة كل القطاعات فى تحقيق الاهداف الاجتماعية ودور المرأة فى عملية التنمية ويوصى بالاعتراف بالدور البارز لها وضرورية مشاركتها النشيطة فى مختلف المجالات وتعزيز الصورة الاسلامية لها ولدورها الحقيقى عبر مختلف الوسائل، وفتح المجال لها للتضلع فى امور الشريعة وايجاد بيئة اخلاقية وثقافية واجتماعية مناسبة لها، ورفض كل أنماط الغزو الثقافى وضمان احترام الحقوق الاساسية للاقلييات والجماعات الاسلامية، والقضاء على كافة اشكال العنف واستغلال النساء فى مختلف الظروف ونشر الوعى فى صفوف النساء بشأن حقوقهن وتشجيع التخطيط واعتماد الموارد اللازمة فى اطار برامج التنمية، ودعم مراكز محو الامية ودعم الاليات القانونية لتمكينهن من اداء مهامهن، وتوفير فرص العمل التقليدية والمتقدمة، وتقديم العون المالى وتشجيع التعاون الوطنى والدولى

للقضاء على الفقر. وهناك تركيز خاص على المرأة الريفية وعلى الرعاية الصحية والانشطة المختلفة وتبادل الخبرات وغير ذلك.

المبادئ المقدمة حول المرأة للاسترشاد بها لدى مؤتمر بكين للمرأة:

قدمت ندوة منظمة المؤتمر الاسلامى الاولى حول «دور المرأة فى تنمية المجتمع الاسلامى» الذى انعقد فى طهران فى ١٧ - ١٩ / ذى القعدة / ١٤١٥هـ، ١٧ - ١٩ أبريل / ١٩٩٥م، مبادئ يراد الاسترشاد بها لدى المؤتمر العالمى الرابع للمرأة الذى انعقد فى بكين نشير اليها بشيء من الاجمال؛ فبعد أن أكد ممثلو الدول الاسلاميه المشاركون فى ندوة طهران الالتزام بميثاق الامم المتحدة وميثاق منظمة المؤتمر الاسلامى وضرورية الثقة واحترام التعاليم السماويه والقيم الاسلاميه فى قرارات المؤتمر العالمى الرابع فى بكين، اوصوا بأن تسترشد الدول الاعضاء بالمبادئ والتدابير التالية من خلال المؤتمر العالمى الرابع للمرأة:

- ١ - حماية وتعزيز كرامة المرأة والاعتراف بأن التنمية المستمرة تتطلب المشاركة المتساوية للنساء والرجال.
- ٢ - اتخاذ كافة التدابير للقضاء على كافة اشكال التفرقة ضد النساء.
- ٣ - اعتبار الاسرة بمثابة النواة للمجتمع والتأكيد للدور الهام للمرأة من حيث الواجبات والحقوق فى الاسرة.
- ٤ - إقامة آليات مساندة اجتماعية واقتصادية لتكوين الاسرة.
- ٥ - الاخذ فى الاعتبار لدور الديانات السماوية فى تعزيز القيم الانسانية فى اطار ترقية دور المرأة.
- ٦ - احترام ومراعاة القيم الدينية والهوية الثقافية وسيادة الدول وعدم فرض اى نموذج مجتمعى دخيل.
- ٧ - القيام بدراسات وبحوث حول الممارسات والمواقف التى نسبت بغير حق للدين لازالة آثارها السلبية التى تنال من وضع المرأة.

٨ - اتخاذ التدابير المناسبة لمنع ومكافحة جميع اشكال العنف ضد المرأة بما فيها استغلالها الجنسي والمتاجرة بها.

٩ - ضمان حقوق اقتصادية واجتماعية وسياسية منصفة للنساء في برامج التنمية.

١٠ - ادراك أن منع العدوان وحل النزاعات المسلحة ذات اهمية بالغة لحماية المرأة.

١١ - تبني اجراءات لتأمين الحماية الاجتماعية والاقتصادية والقانونية للمرأة اللاجئة والنازحة.

١٢ - زيادة الاستفادة من الخدمات الصحية والتنظيم الاسرى، مع ادراك أن الاجهاض يجب أن لا يكون فى أى حال من الاحوال أداة فى التخطيط الاسرى.

١٣ - اتخاذ التدابير اللازمة لتوفير الفرص التعليمية المتساوية للبنات والاولاد.

بالاضافة إلى هذه البنود طلب المشاركون من الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامى تسهيل التنسيق فى مواقف الوفود الاسلامية التى ستحضر المؤتمر واتخاذ خطوات لانشاء فريق عمل خاص فى مقر الامم المتحدة على اساس خطة عمل مؤتمر بكين من اجل ضمان توافقها مع المبادئ الاسلامية.

الملحق الرابع: التوصيات التى خرجت بها الندوة حول حقوق الانسان:

١ - التأكيد لاهمية مشاركة العالم الاسلامى بواسطة ممثليه وخبرائه فى الملتقيات التى تتناول موضوع حقوق الانسان؛ للاسهام فى صياغاتها بصورة اساسية دون الاكتفاء بالنقد أو التعليق على التصورات الدولية بشأنها.

٢ - عقد ندوات بين خبراء المسلمين وبين نظرائهم من غير المسلمين للتعريف بحقوق الانسان فى الاسلام، وأن يتزامن بعضها مع انعقاد لجنة حقوق الانسان بجنيف.

٣ - تأصيل حقوق الانسان وبيان مصادرها الشرعية من الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين، اثباتاً لسبقها وتأكيذاً لتأثيرها فى المواثيق الدولية.

٤ - مطالبة الفقهاء والعلماء ببلورة آليات محددة لتطبيق حقوق الانسان من المنظور الاسلامى وترتيب الاجراءات المناسبة لمتابعة ذلك.

٥ - التنمية حق من حقوق الانسان أينما كان لاستحداث ظروف أفضل للبشرية، لما للتنمية من علاقة وثيقة بالتقدم، وبالرغم من تأرجح بعض الاتجاهات بين تقديم التنمية ومنح الحقوق المدنية والسياسية فإنه لا يتسنى مواكبة التطورات الحضارية المعاصرة إلا بالاقبال الجاد على التنمية فى الاقطار الاسلامية على وجه الشمول للمجالات المتنوعة الفردية والاجتماعية.

٦ - إدانة الممارسات المخالفة لحقوق الانسان التى تقع على المسلمين وغيرهم، انطلاقاً من المبادئ الاسلامية القائمة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودرء الظلم.

٧ - إدانة استغلال حقوق الانسان وتحميل المفهوم الغربى لها على المفهوم الاسلامى باتخاذها ذريعة للتدخل فى شؤون العالم الاسلامى، وتمير المخططات الثقافية والاجتماعية والسياسية المنافية لمبادئ الاسلام، ولمصالح الشعوب الاسلامية.

٨ - الاستفادة من المواثيق الدولية الخاصة بحقوق الانسان فى مجال الاقليات للعمل من أجل رفع الضيم عن الاقليات الاسلامية وغيرها، وتمكينها من الالتزام بخصائصها الحضارية.

٩ - دعوة منظمة المؤتمر الاسلامى إلى النظر فى استصدار ملحقات لاعلان القاهرة الذى صدر عن المؤتمر الاسلامى لوزراء الخارجية سنة ١٩٩٠م، والذى حظى بالموافقة فى مؤتمر القمة الاسلامى السادس بدار، ومؤتمر القمة الاسلامى السابع بالدار البيضاء، تتناول تلك الملحقات الاليات والحقوق التى لم ترد فيه ولا فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان، مما يثبت تميز الاسلام وشموله واستيعابه لمراعاة الحقوق الانسانية كافة.

١٠ - سعى أولى الامر فى الدول الاسلاميه لتعزيز ما جاء به الاسلام من حقوق، والتزامها وتطبيقها، وذلك للتصدى للهجمات الموجهة ضد المنهج الاسلامى، ولتلافى ما قد يقع من شروخ وتوجهات سلبيه فى المجتمع، وذلك رعايه لمصالح الشعوب الاسلاميه.

خاطرة:

رغبة تحت الرماد

* أبو كرار الاسدى (العراق)

« قصة حقيقية عاش تفاصيلها أحد أبطال العراق المجاهدين ...سُجن على عهد البكر المشؤوم ، وخرج على يد المنتفضين في ١٥ شعبان ١٤١١هـ ضد طاغية زمانه صدام » .

ارهاصات الليل المقيت يخترق صداها أشباح الظلمة المرعبة. الجدران المتأكّلة تنبئ بموت قادم ... لكنّه بعيد ... بعيد بخطى الزمن . أسئلة تدور ... وتدور ... ليس أكثر من أنّ عالماً آخر وراء هذه الجدران ، كان يزرع في قلبه السكينة ، ويستعيد قواه الخائرة بما يُلقى إليه من شباكّه العالى. ذاكرته المضبّبة بالسنين المتراكمة بدأت تجهل أو تتجاهل ما يمرّ خلال هذا الجدار الاصمّ ... كلّ ما يسمعه هو أنين ينعصّ نومه ... كان يشتاق لسوط الجلاّد لأنّ به معاشره الناس.

هكذا هي الحياة؛ اغتراب بين جدران أربعة تضيق مثلما يضيق صدره عندما يتذكر ثورة الاحرار التي طالما حلم بها.

بان نورٌ ضئيل اعتاد رؤيته ليعرف من خلاله فاصلة الزمن ... هو العشاء ؛ إذن عليه أن يصلّى ... تلقى كُسيرات الخبز المتيّسة ، لكن عينيه كانتا تلتهمان الضوء قبل كل شيء ، خُيل إليه أنه بدأ ينتفخ ليملأ تلك الفتحة البخيلة ... سمعه كان يسرق بين آونة وأخرى صوت اطلاقات بعيدة ... كان هذا الصوت يقترب ... ويقترب ، فتتبعه شفتاه بالدعاء ظناً منه بأنه موت قادم يلقّه دوىّ بنادق الاوغاد ... حشرات كادت تخنقه لانه سيودّع الحياة ، لكنّه تبسّم حينما خالجه طيف الشهادة ... ضوضاء غريبة تكسر أطواق الصمت القابع معه كلّ هذه السنين الطويلة . كانت تشتعل فيه رهبة لقاء الموت ... نبضه تناسب طردياً مع

تصاعد الضوضاء . ألقى ظهره بإحدى زوايا طامورته الموحشة ... (الله اكبر) ...! كانت تقترب ... هذا باب ... شبّاك ... لا تقتلوا أحداً ، كونوا حذرين إخوة الايمان !

كانت هذه الجمل تخرج من أفواه القادمين ... تقدّم حينها مجازفاً بروحه هاتفاً من باب زنارته : (لا إله إلا الله محمد رسول الله... يسقط البكر ... ويعيش الصدر) ... عندها تعانقت ثورة مليونية مع أخرى انفجرت وفاءً لها بعد حفنة من الاعوام .

أتباع آل البيت(ع) فى قرقيزيا مهدى

* محمد بخت آور

ترجمة: عباس الاسدى

الشيء الذى يذكر به أتباع آل البيت(عليهم السلام) فى قرقيزيا، هو حالة النفي التى تعرضوا لها قبل عدة عقود من موطنهم الاصلى إلى بلاد بعيدة غريبة. إنهم الاذريون الذين انصب عليهم غضب ستالين قبل ستين عاماً، وأرغموا على الاستيطان فى قرقيزيا بعد طي مسافات طويلة وطرق عسيرة.

وتفيد المعلومات المأخوذة عن إحصائيات مضت عليها اربع سنوات، أن عدد هؤلاء الاذريين يبلغ سبعة عشر ألف نسمة، وبطبيعة الحال فإن الرقم المذكور لا يكشف عن العدد الدقيق؛ لان هناك قوميات أخرى انخرطت فى القومية الاذرية لمصالح كانت تنشدها.

معظم الاذريين ينتمون إلى مذهب أهل البيت(عليهم السلام)، ولهم نفوذ ومكانة خاصة فى جمهورية قرقيزيا لاسيما فى الجانب الاجتماعى، ويتبوأون منزلة مميزة عند المسؤولين، مثال ذلك أن أحدهم يشغل منصب رئيس تحرير صحيفة واسعة الانتشار فى قرقيزيا تسمى «فيجونى بيشكك عصر بيشكك» وهو صحفى ماهر وبارع.

يعيش الشيعة منتشرين فى قرقيزيا، ويقال إن نحو ألفين منهم يسكنون العاصمة بيشكك فى محلات متباعدة عن بعضها، كما يقطن فى مدينة «كانت» التى تبعد نحو ٢٠ كيلومتراً عن العاصمة مجموعة منهم.

ويمكن تقسيم الشيعة الاذريين فى بيشكك إلى مجموعتين:

الاولى، وهى التى قدمت إلى العاصمة من منطقة «چو» التى تبعد ١٢٠ كيلومتراً عن بيشكك وتقع فى كازاخستان، حيث أبعدت هذه المجموعة فى أول الامر إلى «چو» سنة ١٩٣٧م من جمهورية أذربيجان، وكانت تمارس شعائرها الدينية حتى فى العهد الشيوعى، وتقيم مجالس العزاء على الامام الحسين (عليه السلام)، ويلاحظ الطابع الدينى على هذه المجموعة بوضوح حتى فى عصرنا الحاضر، وقد هاجرت هذه المجموعة قبل نحو ٣٠ عاماً من «چو» إلى بيشكك هجرة طوعية فردية.

أما المجموعة الثانية فهى التى سكنت مدينة كانت (١)، حيث لاقت هذه المجموعة مصيراً آخر ملؤه المحن والالام والمآسى؛ فلقد اعتقلت هذه المجموعة فى احدى ليالى عام ١٩٣٣م حينما امتنعت عن العمل فى المزارع الاشتراكية (كالخوز)، وتم نفيها إلى منطقة سيبيريا، حيث لاقت ما لاقت من صنوف الاذى وهى فى طريقها إلى هذه المنطقة الثلجية وأرغمت على الإقامة فيها، إذ يروى الشيوخ منهم ذكريات مريرة جداً عن تلك البرهة الزمنية من حياتهم.

ويقال إن هذه المجموعة المؤلفة من عشرة آلاف نسمة نقلت إلى سيبيريا بعربات خاصة لنقل الحيوانات، وما إن وصلت حتى داهمها فصل شتاء بارد جداً بحيث توفى سبعة آلاف منهم من شدة البرد، ولم يتسنّ للاحياء منهم دفن موتاهم لكثرة عددهم ولبرودة الجو، إذ وصل مستوى الثلوج المتراكمة فى شتاء ذلك العام إلى متر واحد فوق الارض، وتم دفنهم حينما رحل الشتاء وحل فصل الربيع.

بعد مضى هذه المحنة الاليمة لم يبق من الشيعة الاذريين المنفيين سوى ثلاثة آلاف نسمة، قامت السلطات الحاكمة فى السنة التالية بنقلهم إلى «بيشكك» وإسكانهم فى منطقة «كانت».

والملاحظ أن هذه المجموعة من الشيعة حافظت على معتقداتها فى ارض المنفى، ومنذ اليوم الاول الذى وطئت فيه هذه الارض أقامت شعائرها الدينية خفية، فكانت تقيم - على سبيل المثال - مراسم عزاء سيد الشهداء (عليه السلام) كل سنة بسريّة تامّة وفى ظل ظروف شديدة. ومن ناحية ثانية كانت هذه المجموعة

(١) اللفظ مأخوذ من لفظ قند لكثرة انتاج السكر فى هذه المنطقة.

تتألف من شخصيات أذربيجان بحيث سرعان ما اكتسبت مكانتها الاجتماعية ثانية. وبطبيعته الحال فإن العيش في منطقة بعيدة عن الوطن الام يولد نوعاً من الشعور الذى يحث على العمل وبذل الجهد المضاعف لاستعادة المزايا الضائعة، فكان الاباء يحثون ابناءهم على الدراسة وتلقى العلم لارتقاء مدارج الثقافة والمعرفة، ولهذا السبب فإنه لم تمر فترة من الزمن حتى حصلت المجموعة على مكانة اقتصادية واجتماعية لا بأس بها.

وفى خطوة أخرى أقدمت هذه المجموعة على تهيئة مكان خاص لعقد اجتماعاتها الدينية، ففي سنة ١٩٤٦م من العهد الستالينى المظلم استغلت المجموعة فرصة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وقامت ببناء مسجد لازال قائماً حتى يومنا هذا، وقد بنى هذا المسجد فى البدء تحت مسمى آخر خشية معارضة الدولة، إلا أنه جعل وقفاً للشؤون الدينية، وكانت تقام فيه سنوياً على مدى خمسين عاماً مراسم العزاء على الامام الشهيد الحسين بن على (عليهما السلام)، سراً.

وثمة مسجد آخر شُيد فى منطقة «كانت» حديثاً لم يستكمل بناءه بعد؛ بسبب قلة الامكانيات رغم أن الجمهورية الاسلامية الايرانية وعبر سفارتها فى بيشكك قدمت مابوسعها لبناء هذا المسجد.

ويلاحظ فى صفوف هذه المجموعة من الشيعة ظمناً شديداً للمعارف الاسلامية، وحاجة ماسة لعلماء الدين والمرشدين؛ ولهذا تراهم يستدعون العلماء عند مراسم الختان أو قراءة القرآن من مدينة «چو» وهى منطقة شيعية فى كازاخستان.

هذا الغياب العلمائى فى تلك المنطقة أدى إلى انتشار الجهل بمعارف وأحكام الدين الاسلامى فى ضوء مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فى صفوفها، وتلاحظ هذه الظاهرة أيضاً بين أتباع أهل البيت (عليهم السلام) القاطنين فى مدينة بيشكك نفسها، مع فارق واحد هو أن التزام القرويين بأحكام الدين اكثر من سكان المدينة، كما أن الشيعة من سكان العاصمة لا تجمعهم تشكيلات دينية كما هو فى شيعة كانت، ومن ثم فإن شيعة بيشكك يعيشون فى مناطق متفرقة لا يعرف بعضهم بعضاً، ولكن انطلقت بارقة امل مؤخراً للم شمل هذه المجموعة من خلال إقامة مراسم العزاء فى شهر محرم الحرام على سيد الشهداء (عليه السلام) كل عام، وقد

تقرر إقامتها فى منزل أحد الشيعة فى قرية «الأرچا» على مسافة سبعة كيلومترات من بيشكك؛ لعدم وجود مركز فى العاصمة لمثل هذه الاجتماعات.

ويمكن من خلال نظرة عابرة لهذه المراسم التى أقيمت هذا العام عاماً ثانياً، ملاحظة الرغبة الشديدة لدى هؤلاء الشيعة للارتواء من المعارف الإسلامية؛ فقد شارك نحو مئة شخص رجالاً ونساءً فى مجلس عزاء الامام الحسين (عليه السلام)، وهم يلطمون الصدور على صدى اشعار مكتوبة باللغة الروسية كان يتلوها أحدهم تلاوة غير متقنة.

أقيمت هذه المراسم طوال العشرة الاولى من شهر محرم، وكان يتولى الاطعام فيها كل ليلة أحد المشاركين فيها. وقد كان للنساء حضور فعال، حيث كن يرتدين الحجاب احتراماً للمناسبة ويجلسن فى غرفة منفصلة عن الرجال. ومن المعتقد أن مثل هذا التحرك الذاتى يمكن أن يوفر الارضية المناسبة لتنمية الميول الدينية عند هؤلاء الاشخاص الذين تتوفر فيهم الفطرة السليمة وبالطبع فإن ذلك يحتاج إلى الدعم والمساندة.

واللافت للنظر فى مراسم عزاء الامام الحسين (عليه السلام) هو حضور الاذريين من أهل السنة واشترآكهم فى هذه المراسم فى بيشكك وفى كانت على حد سواء، حيث تربط بين الاذريين ولاسيما فى بلاد الغرب ألفة ومودة خاصة ويتبادلون مشاعر الود والاحترام، وهذه مسألة حساسة يجب أن تؤخذ فى الاعتبار.

والجدير بالذكر أن المسلمين الاذريين يراودهم شعور بالغربة مع القوميات الاخرى، ولاسيما الروس، حيث يعتبرون الارتباط الاسرى معهم - على سبيل المثال - ارتباطاً شائناً، ولا يتزوجون إلا فيما بينهم، الامر الذى ترك تأثيره الكبير فى حفظ تراثهم وثقافتهم وتقاليدهم.

واخيراً لابد من القول إنه يجب القيام بسلسلة من النشاطات التى تنمى فى هذه المجموعة ارتباطها الدينى، ومن جملة تلك النشاطات ارسال المبلغين المحنكين للعمل من أجل تقوية الركائز الدينية؛ وتعتبر مراسم العزاء على الامام الحسين (عليه السلام) ارضية مناسبة جداً لتحقيق هذا الهدف المقدس.

كما أن من الضروري إقامة دورات تربوية وتعليمية تتناول التاريخ الإسلامى والعقائد والاحكام على المستوى الابتدائى، ويعتبر توزيع الكتب الدينية باللغة التركية الاذرية وبالحروف الروسية ذا اهمية كبرى.

والعمل على التحاق مجموعة الشباب المتميزين بالحوزات العلمية لتلقى الدروس التخصصية فى العلوم الاسلامية وملء الفراغ العلمى والتبليغى مستقبلاً فى بلدانهم.

فنون وآداب

مثل البحر

* الشيخ محمد على الاوردبادى الغروى

قد عاد مصر للحفيظة مغربا فسنا ذكاها واضح لن يغربا
بملكه حسبا زكت فيه ولم يعقد عليه غير صنوبها الحبا
ومن النبوة فى أسره وجهها بلج كمثل الشمس يجلو الغيها
وتضوع منها للخلافة عقبه تطوى بنفحتها الصحاح والربى
بجلال أحمد فى مهابة حيدر قد أنجبت أم الائمة زينبا
فبمجمع الشرفين بضعة فاطم حصلت على أكرومه عظمت نبا
وسرت مع الدنيا مكارمها كما يسرى لها أرج الثناء مع الصبا
حشدت مناقبها جحافل فاغتدت من كل منقبة تحشد مقنبا
ولها بمنقطع الفخار منصة كرمت بها حسبا وفاقت منصبا
وربيبة الخدر المقدس زانها علم حوته حبوه لا مكسبا
وندى كمثل البحر دون نفاده الـ سيم الخضم ولجه أن ينضبا
ومآثر كثر النجوم عدادها زهواً على كرّ الليالى ما خبا
ورجاحة فى اللب تهزأ بالنهى تقفو وقاراً يستخف الاخشبا
وبآية التطهير والقربى لها خطران قد خصا بأصحاب العبا
وعن الوصى بلاغة خصت بها أعيت برونقها البلغ الاخطبا

ما استرسلت إلا وتحسب أنها تستل من غرر الخطاب مفضيا

أو أنها اليزنى فى يد باسل أخلى به ظهراً وأوهى منكبا

أو أنها تقتاد منها فيلقا وتسوق من زمر الحقائق موكبا

أو أن فى غاب الامامه لبوه لزيورها عنت الوجوه تهيا

أو أنها البحر الخضم تلاطمت أمواجه علماً حجى بأساً إبا

أو أن من غضب الاله صواعقاً لم تُلغ عنها آل حرب مهربا

أو أن حيدرة على صهواتها يفنى كراديس الضلال ثابثا

أو أنه ضمته ذروة منبر فأناز نهجاً للشريعة ألجا

أو أن فى اللاوا عقيلة هاشم قد فرقت شمل العمى أيدى سبا

وبجأش ذى لبْد وقلب أخى حجى أولت صروف الدهر ثغراً أشنبا

وتشاطرت هى والحسين بدعوة حتم القضاء عليهما أن يندبا

هذا بمشتبك النصول وهذه فى حيث معترك المكاره فى السبا

بدم الشهادة إذ أريق ومدمع أذرى مذار القلب دمعاً صيبا

نهضاً بأعباء الهدى ما بين منـ سحطم الوشيح وبين محترق الخبا

مضيا ولاين المصطفى زج القنا عن باحه التذكير أصبح محتبى

وتلا الكتاب بموقف راموا به إطفاء نور الله لكن قد أبى

ولزينب شهد الحزوم بمثله إذ يمت قفراً وأمت سبسبا

فبصدرها ثقل الامامه مودع وبنتطقها زهت الهداية مذهبا

وعلى الاسارى من بنات محمد من بأسها العلوى منصوب الخبا

وغداة جَلَقَ كم لها من وقفه يزور عنها الغي مفلول الشبا
في حيث قد عقد الزعانف من بنى صخر ورهطهم لفيفا مرهبا
فرمتهم من لفظها بقوارع قد أوقعت بهم البلاء المكربا
فكأن من جمل الكلام بوارقا وكان منها في المرائر منها
هدأت لها الانفاس مثل فريسه قد أنشبت فيها الضياغم مخلبا
ودهوا بفاقرة تبلىد حولا ثبت الجنان لدى الهزائر قلوبا
من عظم ما اجترحوا هناك فناحب أو حائر منع الشجا أن ينحبا
وبعين جبار السما عمل لها أملا لنوكي آل حرب خيبا
إذ زعزت سلطانها بظلامه لبنى على جمرها قد ألها
هذا ولكن الصدور بما بها حرى وصدع نالها لن يرأبا
وعيون آل محمد عبرى لما غمزوا لهم من قبل عودا أصلبا
ونساء آل أمية مجبورة وعقائل المختار ترسف فى السبا
وإليكم آل النبى قصيدة أمضى على الخصماء من حد الظبا
وعليكم صلى المهيمن كلما يشؤ شذى عليا كم نشر الكبا

* * *

أهل البيت (عليهم السلام) في روايات الصحابة

روايات أبي سعيد الخدرى

* ناصر البیدهندي

هو سعد بن مالك بن سنان الخزرجي كان من أصحاب رسول الله من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان من ملازمي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وروى عنه احاديث كثيرة وكان مستقيماً.

قيل: لم يكن احد من احداث الصحابة افقه من أبي سعيد، وكان دقيقاً في الحديث.

وعن ابن عبد البر قال: «كان أبو سعيد من الحفاظ الكثيرين والعلماء العظام العقلاء، واخباره تشهد له بصحيح هذه الجملة». انتهى

وحكى أنه استصغر بأحد فرد، ثم شهد ما بعدها وغزا اثنتي عشرة غزوة، وحارب مع علي (عليه السلام) الخوارج في النهروان، وورد المدائن في زمان حذيفة.

قال ابن قتيبة في ذكر واقعة الحرة في الامامة والسياسة: «ولزم أبو سعيد الخدرى في بيته فدخل عليه نفر من أهل الشام فقالوا: أيها الشيخ، من انت؟ قال: أنا أبو سعيد الخدرى صاحب رسول الله. فقالوا: مازلنا نسمع عنك فبحظك اخذت في تركك قتالنا وكفك عنا ولزوم بيتك، ولكن أخرج الينا ما عندك. قال: والله ما عندى مال، فنتفوا لحيته وضربوه ضربات، ثم اخذوا كل ما وجدوا في بيته حتى الثوم وحتى زوج حمام كان له». انتهى.

وقال الكشي في ترجمته (١٠) أبو سعيد الخدرى:

حمديه، قال: حدثنا ايوب عن عبد الله بن المغيرة، قال: حدثني ذريح عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: ذكر أبو سعيد الخدرى فقال: كان من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان مستقيماً، فقال: فترع ثلاثة ايام فغسله اهله ثم حملوه إلى مصلاه فمات فيه.

وله ١١٧٠ حديثاً (١) ومات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل غير ذلك.

مسند الامام أحمد بن حنبل روى بسنده عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزوجل وعترتي. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروني بم تخلفوني فيها» (٢).

(١) الاعلام ٣: ٨٧ .

(٢) كنز العمال ١: ٤٧، تفسير الفخر الرازي في ذيل تفسير قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً) في سورة آل عمران، فضائل الخمسة ٢: ٤٧.

عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن أهل بيتي سيلقون من بعدى من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم» (٣).

عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسماً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً» (٤).

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «تملا الأرض جوراً وظلماً فيخرج رجل من عترتي» (٥).

عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن يكون عطاؤه حثياً» (٦).

سنن أبي داود، روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): المهدي مني أجلي الجبهة أقتنى الأنف يملأ الأرض قسماً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. يملك سبع سنين» (٧).

عن أبي سعيد الخدري قال: «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: يخرج رجل من أمتي يقول بستي. ينزل الله عز وجل له القطر من السماء وينبت الله له الأرض من بركتها. تملأ الأرض منه قسماً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. يحمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس» (٨).

عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار» (٩).

عن أبي سعيد الخدري قال: «كنا عند بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفر من المهاجرين والأنصار إلى أن قال ومر على بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: الحق مع ذا، الحق مع ذا» (١٠).

(٣) مستدرک الصحيحین ٤ : ٤٨٧. قال: «هذا حديث صحيح الاسناد» كنز العمال ٦ : ٤٠.

(٤) مستدرک الصحيحین ٤ : ٥٥٧. قال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، حلية الأولياء ٣ : ١٠١ باختلاف يسير في اللفظ.

(٥) مستدرک الصحيحین ٤ : ٥٥٨.

(٦) الدر المنثور في تفسير سورة محمد.

(٧) سنن أبي داود ٢٧ : ١٣٦.

(٨) مجمع الزوائد ٧ : ٣١٧.

(٩) مستدرک الصحيحین ٣ : ١٥٠. قال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم»، صواعق ١٤٢.

(١٠) مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٤.

عن أبي سعيد الخدري قال: «اشتكى علياً الناس. قال: فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فينا خطيباً، فسمعتة يقول: أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله انه لا خشن في ذات الله، (أو في سبيل الله)» (١١).

عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نسايتهم، إلا ما كان لمريم بنت عمران» (١٢).

أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: «لما دخل علي (رضي الله عنه) بفاطمة رضي الله عنها جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعين صباحاً إلى بابها يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) أنا حرب لمن حاربتهم. أنا سلم لمن سالمتم» (١٣).

تفسير ابن جرير الطبري روى بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نزلت هذه الآية في خمسة: في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)» (١٤).

عن أبي سعيد الخدري عن عمران بن حصين قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: النظر إلى علي عبادة» (١٥).

عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي (عليه السلام) - وضرب بين كتفيه - : يا علي، لك سبع خصال لا يحاجك فيهن أحد يوم القيامة: أنت أول المؤمنين بالله إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله وأرأفهم بالرعية، وأقسمهم بالسوية، وأعلمهم بالتقية، وأعظمهم مزية يوم القيامة» (١٦).

عن أبي سعيد الخدري قال: «أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الراية فhezها ثم قال: من يأخذها بحقها؟ فجاء الزبير فقال: أنا، فقال: امضي، ثم قام رجل آخر فقال: أنا، فقال: امضي، ثم قام آخر فقال: أنا، فقال: أمط، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): والذي أكرم وجهه محمد لا أعطينها رجلاً لا يفر. هاك يا علي، فقبضها ثم انطلق حتى فتح الله عليه فذك وخير، وجاءه بعجوتهما وقديدهما» (١٧).

(١١) مسند أحمد ٣: ٨١، ط. الميمنية.

(١٢) مسند أحمد ٢: ٦٤ و ٨٠ وإسناده صحيح.

(١٣) فضائل الخمسة ١: ٢٢٩، الدر المنثور في تفسير آية التطهير في سورة الاحزاب، مجمع الزوائد ٩: ١٦٩.

(١٤) ذخائر العقبى: ٢٤، مجمع الزوائد ٩: ١٦٧.

(١٥) مستدرک الصحيحين ٣: ١٤١.

(١٦) حلية الاولياء ١: ٦٦.

(١٧) رواه أبو يعلى وأخرجه أحمد في مسنده ٣: ١٦، مجمع الزوائد ٩: ١٢٤.

عن أبي سعيد الخدري قال: «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: الاثمة بعدى اثنا عشر، تسعة من صلب الحسين (عليهم السلام) والتاسع قائمهم، فطوبى لمن أحبهم والويل لمن أبغضهم» (١٨).

عن أبي سعيد الخدري قال: «صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، صلاة الأولى، ثم أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: معاشر أصحابي، إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطّة في بني إسرائيل، فتمسكوا بأهل بيتي بعدى والاثمة الراشدين من ذريتي، فإنكم لن تضلوا أبداً. فقيل: يا رسول الله، كم الاثمة بعدك؟ فقال: اثنا عشر من أهل بيتي (أو قال: من عترتي)» (١٩).

عن أبي سعيد الخدري قال: «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول للحسين (عليه السلام): انت الامام ابن الامام واخو الامام، تسعة من صلبك اثمة أبرار والتاسع قائمهم» (٢٠).

عن أبي سعيد الخدري قال: «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء. قيل: يا رسول الله، فالاثمة بعدك من أهل بيتك؟ قال: نعم، الاثمة بعدى اثنا عشر، تسعة من صلب الحسين أماناء معصومون، ومنا مهدى هذه الامّة، ألا إنهم أهل بيتي وعترتي من لحمي ودمي. ما بال اقوام يؤذونني فيهم؟! لا انالهم الله شفاعتي!» (٢١).

عن أبي سعيد الخدري قال: «كنا جلوساً ننظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فخرج إلينا قد انقطع شسع نعله، فرمى به إلى علي (عليه السلام) فقال: إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله قال ابو بكر: أنا؟ قال: لا. قال عمر: أنا؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل» (٢٢).

عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أعطيت في علي خمساً، أما إحداها فيواري عورتى، والثانية يقضى دينى، والثالثة أنه متكئ في طول الموقف، والرابعة فإنه عونى على حوضى، والخامسة فإنى لا أخاف عليه أن يرجع كافراً بعد ايمان ولا زانياً بعد إحصان» (٢٣).

عن أبي سعيد الخدري أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل على فاطمة (عليها السلام) فقال: «إني وإياك وهذا النائم - يعنى علياً (عليه السلام) - وهما - يعنى الحسن والحسين - لفي مكان واحد يوم القيامة» (٢٤).

(١٨) كفاية الاثر: ٣٠.

(١٩) كفاية الاثر: ٣٣ و ٣٤.

(٢٠) كفاية الاثر ٢٨.

(٢١) كفاية الاثر ٢٩.

(٢٢) خصائص النسائي: ٤٠، مستدرک الصحيحين ٣: ١٢٢، مسند الامام احمد ٢: ٨٢، حلية الاولياء ١: ٦٧، مع اختلاف يسيّر.

(٢٣) حلية الاولياء ١٠: ٢١١.

عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة قالت: «كانت ليلتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاتته فاطمة (عليها السلام) ومعها علي (عليه السلام)، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أنت وأصحابك في الجنة، انت وشيعتك في الجنة» (٢٥). الحديث.

عن أبي سعيد الخدري ، قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، إلا ما كان من مريم بنت عمران» (٢٦).

عن أبي سعيد الخدري قال: «لما نزلت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (فأت ذا القربى حقه) قال: دعا النبي فاطمة (عليها السلام) فأعطاهما فداً، فقال: هذا لك ولعقبك من بعدك» (٢٧).

عن أبي سعيد الخدري قال: «قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» (٢٨).

صحيح البخاري في كتاب التفسير في باب قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي) روى بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: «قلنا: يا رسول الله، هذا التسليم فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم» (٢٩).

عن أبي سعيد الخدري قال: «كنا نتحدث عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يميل مرة عن يمينه ومرة عن شماله، فلما رأينا ذلك قمنا عنه.

فلما خرجنا إلى الباب إذا نحن بفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال لها علي: يا فاطمة، ما أزعجك هذه الساعة من رحلك؟ قالت: إن الحسن والحسين فقدتهما منذ أصبحت فما احسبتهما وما كنت اظنهما إلا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قال علي: هما عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فارجعي ولا تؤذين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإنها ليست ساعة إذن.

فسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلام علي وفاطمة فخرج في إزار ليس عليه غيره، فقال: ما أزعجك هذه الساعة من رحلك؟ فقالت: يا رسول الله، ابناك الحسن والحسين خرجا من عندي فلم أرهما حتى الساعة، وكنت احسبهما عندك، وقد دخلني وجل شديد،

(٢٤) مستدرک الصحيحین ٢: ١٣٧.

(٢٥) تاريخ بغداد ١٢: ٣٥٨، مجمع الزوائد ١٠: ٢١، فضائل الخمسة ٣: ١١٩.

(٢٦) مستدرک الصحيحین ٣: ١٥٤، الاستيعاب ٤: ١٨٩٤، كشف الغمة ١: ٤٥٠.

(٢٧) تفسير فرات: ١١١٨.

(٢٨) جامع الاصول ٩: ٣٠، ح ٦٥٥٨.

(٢٩) فضائل الخمسة ١: ٢١٠.

قال: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا فاطمة، إن الله عزَّ وجلَّ وليهما وحافظهما ليس عليهما ضيعة إن شاء الله. ارجعي يا بنيَّة فنحن أحقَّ بالطلب.

فرجعت فاطمة إلى بيتها، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في وجهه وعلى في وجهه، فابتغياهما فانتھيا اليهما وهما في اصل حائط قد احرقتهما الشمس وأحدهما يستتر بصاحبه، فلما رآهما على تلك الحال خنقته العبرة، وأكب عليهما يقبلهما، ثم حمل الحسن على منكبه الايمن وحمل الحسين على منكبه الايسر، ثم اقبل بهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يرفع قدما ويضع أخرى ممَّا يكابد من حرِّ الرمضاء، وكره أن يمشيا فيصيبهما ما أصابه فوقاهما بنفسه» (٣٠).

(٣٠) مناقب ابن المغازلي: ٣٧٧ - ٣٧٨ .

من غرر حكم أهل البيت (عليهم السلام)

حب الله تعالى وحب نبيه

* اعداد

عبد القادر فرج الله

في هذا الباب نحاول أن نوجه أنظار القراء الكرام الى مفهوم أو فكرة معينة عن طريق التركيز عليها والتجميع الموضوعي لما أثر من نصوص كلمات المعصومين (عليهم السلام) فيها، لما تمتاز به تلك النصوص من رؤية واقعية صادقة وبيان شمولي بليغ يرتبط بمعين القرآن الكريم الذي لا ينضب، تصديقاً لقولهم (عليهم السلام): «شرقاً أو غرباً فن تجدنا علماً صحيحاً إلا شيناً يخرج من عندنا أهل البيت».

(التحرير)

علام حبّ العبد لربه

• قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «علامة حبّ الله تعالى حبّ ذكر الله، وعلامة بغض الله تعالى بغض ذكر الله عز وجل» ([١]).

• وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «حبّ الدنيا وحبّ الله لا يجتمعان في قلب أبداً» ([٢]).

• قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «حبّ الله إذا أضاء على سرّ عبد أخلاه عن كلّ شاغل وكلّ ذكر سوى الله... والمحبة أخلص الناس سرّاً لله، وأصدقهم قولاً، وأوفاهم عهداً، وأزكاهم عملاً، وأصفاهم ذكراً وأعبداهم نفساً...» ([٣]).

• وعنه (عليه السلام): «كيف يدعي حبّ الله من سكن قلبه حبّ الدنيا؟!» ([٤]).

• قال الصائقي (عليه السلام): «والله ما أحبّ الله من أحبّ الدنيا ووالى غيرنا» ([٥]).

• وعنه (عليه السلام): «دليل الحبّ إثبات المحبوب على من سواه» ([٦]).

حبّ النبي وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين

• قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحبّ إليه من نفسه، وأهلي أحبّ إليه من أهله، وعترتي أحبّ إليه من عترته، ونزيتي أحبّ إليه من ذريت» ([٧]).

• وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» ([٨]).

• وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أحبّنا أهل البيت فليحمد الله على أول النعم. قيل: وما أول النعم؟ قال: طيب الولادة. ولا يحبّنا إلا من طابت ولادته» ([٩]).

[١] ميزان الحكمة ٢: ٢٢٦.

[٢] ميزان الحكمة ٢: ٢٢٨.

[٣] البحار ٧٠: ٢٣٠.

[٤] غرر الحكم ٢: ٩٤.

[٥] البحار ٧٨: ٢٢٦.

[٦] البحار ٧٠: ٢٢.

[٧] ميزان الحكمة ٢: ٢٣٦.

[٨] ميزان الحكمة ٢: ٢٣٦.

[٩] ميزان الحكمة ٢: ٢٣٧.

- وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): «من رزقه الله حبّ الامة من أهل بيته فقد أصاب خير الدنيا والاخرة...»([١٠]).
- وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): «حتىّ وحبّ أهل بيته تافع في سبعة مواطن أهوالهنّ عظيمة: عند الوفاة وفي القبر وعند التشور وعند الكتاب وعند الحساب وعند الميزان وعند الصراط»([١١]).
- وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): «أول ما يُسأل عنه العبد حيناً أهل البيت»([١٢]).
- وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): «من أحبنا أهل البيت حشره الله آمناً يوم القيامة»([١٣]).
- وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): «أثبّتكم قدماً على الصراط أشدكم حباً لأهل بيته»([١٤]).
- قال أمير المؤمنين(عليه السلام): «عليكم بحبّ آل نبيكم؛ فإنّه حق الله عليكم والموجب على الله حكمكم. ألا ترون إلى قول الله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)؟»([١٥]).
- وعنه(عليه السلام): «أشدّ الناس عُمى من عمي عن حبنا وفضلنا، وتناصبنا العداوة بلا ذنب سبق منا إليه...»([١٦]).
- وعنه(عليه السلام): «أحسن الحسنات حبنا وأساء السيئات بغضنا»([١٧]).
- وعنه(عليه السلام): «أسعد الناس من عرف فضلنا، وتقرب إلى الله بنا، وأخلص حبنا وعمل بما إليه تدبنا، وانتهى عنّا عنه نهينا. فذاك منا وهو في دار المقامة معنا»([١٨]).
- وعنه(عليه السلام): «من أحبنا بقلبه وكان معنا بلسانه وقتل عدونا بسيفه فهو معنا في الجنة في درجتنا»([١٩]).
- وعنه(عليه السلام): «من أحبنا فليعمل بعملنا وليتجلبب الورع»([٢٠]).
- وعنه(عليه السلام): «لو ضربتُ خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صبيتُ الدنيا بجماتيها على المنافق على أن يحبني ما أحبني: وذلك أنه قضى فأتقضى على لسان النبي الامي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: يا عليّ، لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق»([٢١]).
- ومن خطبة له(عليه السلام): «ناصرنا ومحبتنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة»([٢٢]).
- من حديث للامام الحسين(عليه السلام) لبشر بن غالب الاسدي قال: «من أحبنا لا يحبنا إلا الله جننا نحن وهو كهاتين [وقدر بين سيّأتيه]...»([٢٣]).

([١٠]) ميزان الحكمة ٢: ٢٣٧.

([١١]) البحار ٧: ٢٤٧.

([١٢]) البحار ٢٧: ٧٩.

([١٣]) البحار ٢٧: ٧٩.

([١٤]) البحار ٢٧: ١٥٨.

([١٥]) غرر الحكم ٢: ٢٦.

([١٦]) غرر الحكم ١: ٢٠٦.

([١٧]) غرر الحكم ١: ٢١١.

([١٨]) غرر الحكم ١: ٢٠٦.

([١٩]) غرر الحكم ٢: ١٧٥.

([٢٠]) غرر الحكم ٢: ١٩٤.

([٢١]) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥.

([٢٢]) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

• وعنه(عليه السلام) قال: «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): الزموا مودتنا أهل البيت؛ فإنه من لقي الله وهو يودتنا أهل البيت دخل الجنة يشفا عنتا. والذي نفسي بيده لا ينتفع عيد بعمله إلا بمعرفة حقنا»([٢٤]).

• قال الباقر(عليه السلام) لجابر الجعفي: «يا جابر، بلغ شيعتي عني السلام وأعلمهم أنه لا قرابة بيننا وبين الله عز وجل، ولا يتقرب إليه إلا بالطاعة له. يا جابر، من أطاع الله وأحبنا فهو ولينا، ومن عصى الله لم ينفعه حبنا»([٢٥]).

• وعنه(عليه السلام): «بني الاسلام على خمسة(*)([٢٦])دعائم: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان وحج البيت، والولاية لنا أهل البيت»([٢٧]).

• وعنه(عليه السلام) عن أبيه قال: «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي(عليه السلام): ما ثبت الله حبك في قلب امرئ مسلم فزلت به قدم على الصراط إلا ثبت له قدم حتى أدخله الله بحبك الجنة»([٢٨]).

• قال الصادق(عليه السلام): «لكل شيء أساس وأساس الاسلام حبنا أهل البيت»([٢٩]).

• وعنه(عليه السلام): «إن فوق كل عبادة عبادة، وحبنا أهل البيت أفضل عبادة»([٣٠]).

نقاط مضيئة

• قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «أحبوا الله لما يفتوكم به من نعمة(*)([٣١])، وأحبوني لحب الله عز وجل، وأحبوا أهل بيتي لحبي»([٣٢]).

• وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): «أمرني ربي بحب المساكين المسلمين»([٣٣]).

• وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): «أحبوا الله من كل قلوبكم»([٣٤]).

• وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): «من أثر محبة الله على محبة نفسه كفاه الله مؤنة الناس»([٣٥]).

• وسأله(صلى الله عليه وآله وسلم) رجل عن الساعة فقال: «ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كبيراً، إلا أني أحب الله ورسوله. قال: فأنت مع من أحببت»([٣٦]).

• قال أمير المؤمنين(عليه السلام): «أحب في الله من يجاهدك على صلاح دين ويكسبك حسن اليقين»([٣٧]).

[٢٣] المحاسن ١: ١٣٤.

[٢٤] المحاسن ١: ١٣٤.

[٢٥] البحار ٧١: ١٧٩.

(*) هكذا في المصدر، والصواب «خمس دعائم».

[٢٧] البحار ٢٧: ١٠٣.

[٢٨] البحار ٢٧: ١٥٨.

[٢٩] البحار ٢٧: ٩١.

[٣٠] البحار ٢٧: ٩١.

(*) في بعض المصادر «من نعمه».

[٣٢] البحار ٧٠: ١٤.

[٣٣] البحار ٧٨: ٢١٧.

[٣٤] ميزان الحكمة ٢: ٢١٣.

[٣٥] ميزان الحكمة ٢: ٢١٣.

[٣٦] ميزان الحكمة ٢: ٢٤٢.

ـ وعنه(عليه السلام): «إياك أن تحب أعداء الله، أو تصلي وتك لغير أولياء الله: فإن من أحب قوماً حشر معهم»([٣٨]).

ـ وعنه(عليه السلام): «لا تمنحنّ ذلك من لا وفاء له»([٣٩]).

ـ وعنه(عليه السلام): «المودة نسب مستفاد»([٤٠]).

ـ وعنه(عليه السلام): «من أحب الدار الباقية لها عن لذات»([٤١]).

ـ وعنه(عليه السلام): «من أحب لقاء الله سبحانه وتعالى سلا عن الدنيا»([٤٢]).

ـ وعنه(عليه السلام): «من أحب فوز الآخرة فعليه بالتقوى»([٤٣]).

ـ وعنه(عليه السلام): «من أحب نيل الدرجات العلى فليقلب الهوى»([٤٤]).

ـ وعنه(عليه السلام): «من أحب أن يعلم كيف منزلته عند الله فليتنظر كيف منزلة الله عنده، فإن كلّ من خيّر له أمران: أمر الدنيا وأمر الآخرة، فاختار أمر الآخرة على الدنيا، فنّلك الذي يحبّ الله، ومن اختار أمر الدنيا فنّلك الذي لا منزلة الله عنده»([٤٥]).

ـ من رجل في المسجد وأبو جعفر(عليه السلام) جالس وأبو عبد الله(عليه السلام)، فقال له بعض جلسائه: «والله إني لأحبّ هذا الرجل، قال له أبو جعفر(عليه السلام): ألا فأعلمه: فإنه أبقى للمودة وخير في الألفة»([٤٦]).

ـ قال الصادق(عليه السلام): «من وضع حبه في غير موضعه فقد تعرّض للقطيعة»([٤٧]).

ـ وعنه(عليه السلام): «ثلاث من علامات المؤمن: علمه بالله ومن يحبّ ومن يبغض»([٤٨]).

ـ عن الكاظم(عليه السلام) عن أبياته قال: «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): إذا أحبّ أحدكم أخاه فليعلمه: فإنه أصلح لذات البين»([٤٩]).

[٣٧] غرر الحكم ١: ١٣١.

[٣٨] غرر الحكم ١: ١٦٤.

[٣٩] غرر الحكم ٢: ٣١٩.

[٤٠] غرر الحكم ١: ٣٥.

[٤١] غرر الحكم ٢: ٢٠١.

[٤٢] غرر الحكم ٢: ١٩١.

[٤٣] غرر الحكم ٢: ٢٢٢.

[٤٤] غرر الحكم ٢: ٢٢٢.

[٤٥] البحار ٧٠: ٢٥.

[٤٦] المحاسن ١: ٤١٥.

[٤٧] المحاسن ١: ٤١٥.

[٤٨] الكافي ٢: ١٢٦.

[٤٩] البحار ٧٤: ١٨٤.

من انباء القرى

مع قراء الثقلين

باب نفتح منه على عوالم قراء مجلة «رسالة الثقلين» بكل ما تزخر به هذه العوالم من آراء، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلتهم فكراً وثقافة ومعرفة. وفيما يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم الكريمة :

(التحرير)

I صداقتنا قائمة على

نشر الوعي الاسلامي

تحية غالية نرفها إلى أصدقائنا المخلصين في مجلة رسالة الثقلين بمناسبة مولد الامام علي (عليه السلام)، مع أحر التهاني وأزكى الدعوات. وسلام عليكم ورحمة من الله وبركات من أخيكم وصديقكم. إن صداقتنا ستكون دائمة إن شاء الله لأنها قائمة على نشر الوعي الاسلامي. إخوتى الاعزاء أرجو منكم إرسال الكتب الاسلامية القيمة التي نحتاج إليها، خصوصاً وأننا قد افتتحنا مدرسة دينية علمية تعنى بعلوم أهل البيت (عليهم السلام)، ونقوم بتدريس وتعليم أبناء بلدتنا. نتمنى لها التوفيق والمثابرة، وننتهز هذه الفرصة لطلب منكم مد يد العون وإرسال الكتب والمجلات، وما يتيسر من وسائل الدعوة والتبليغ للاسلام، مثل الافلام السينمائية وأشرطة الكاسيت وغيرها.

منصور سالم بادى

اليمن

* * *

I رسالة الثقلين من أروج المجلات الاسلامية

الحمد لله الذى أمرنا بالاخوة الصالحة.

وبعد، فإن هذه المجلة «رسالة الثقلين» من أروج المجلات الاسلامية الهادفة لتوفير المنافع الفكرية، وبيان الاوضاع السياسية للمسلمين فى العالم، وفضح الاساليب المتنوعة للدول الكافرة المستخدمة ضد الدول الاسلامية، وعلى رأسها الجمهورية الاسلامية الايرانية التى تهوى إليها القلوب لكونها صادقة فى دعواها ومبادئها الاسلامية قولاً وفعلاً. وأقولها بقوة: إن النصر من عند الله العزيز الحكيم، وقد تحقق فى الجمهورية الاسلامية الايرانية، وإن انتقامه ويطشه سينال الاعداء المكفرة. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين والعاقبة للمتقين.

وآخر كلامي هو أنني أرغب باستمراركم في إرسال المجلة وغيرها من الاصدارات، كما أرغب أن تشركونا في برامجكم الدعوية والتبليغية، مثل الدورات والمؤتمرات العالمية وتبادل الزيارات.

نسأل الله أن يوفقكم لما فيه صلاح هذه الامة.

على عمر انغيت

أمين جمعية الصحوة الاسلامية

وامام مسجد كونكوجان الغربى

غامبيا

* * *

١ لا تحرمونا من إصداراتكم

بعد التحية الاخوية العطرة.

ندعو الله تعالى أن يؤيدكم بنصره العزيز، ويكثر أمثالكم الطيبين، ويبارك في جهودكم المبذولة في سبيل نشر رسالة الثقلين، وتراث الائمة المعصومين (عليهم السلام). وبهذه المناسبة نودّ إخباركم أننا شرعنا في إنشاء المكتبة الاسلامية العامة، لذا نرجو من حضراتكم ألا تحرمونا من إرسال مجلدات مجلة رسالة الثقلين وجميع الاصدارات المتعلقة بمجلة رسالة الثقلين، مثل كتاب الدعاء عند أهل البيت (عليهم السلام) وحقوق الانسان بين الاعلانين الاسلامى والعالمى وغيرهما وكذلك إصداراتكم باللغة الروسية ان وجدت.

ولكم منا جزيل الشكر ودمتم بخير وسلام.

مديرية التوجيه الاسلامى

منظمة أتباع أهل البيت (عليهم السلام)

قزان - جمهورية تنزانيا

* * *

١ فى «رسالة الثقلين»

خيرٌ ومنفعةٌ للمغتربين

تشرفنا بالاطلاع على مجلتكم الموقرة فأعجبنا موضوعاتها القيمة، والاقلام الخيرة التي ساهمت فيها، ووجدنا فيها خيراً ومنفعةً للمغتربين، خصوصاً من المسلمين الذين يريدون الاطلاع وتوضيح ونشر مبادئ العقيدة الاسلامية.

لذلك نرجو أن تدرجوننا في قائمة المشتركين في مجلتكم الموقرة، وأن ترسلوا لنا منشوراتكم باستمرار وحذا لو ارسلتم لنا بعضاً من الاعداد السابقة من المجلة ونحن لكم شاكرون.

وإن شاء الله سيكون لمجلكم وما يصلنا من الكتب والمنشورات الاسلامية الاثر والوقع الجيد في تطوير مكتبتنا المتواضعة، التي تسعى وترغب أن تكون في خدمة طلابنا، وكذلك كل الراغبين في الاطلاع على حقيقة الدين الحنيف، سيما في نيجيريا حيث يحتاج المسلمون وأبناؤهم أكثر من غيرهم إلى التوعية والنصيحة.

حفظكم الله وسددنا وإياكم في خدمة دينه الحنيف.

حمد عمر

مدير مدرسة الدعوة الاسلامية

نيجيريا

I اسلوب المجلة هو الارقى من

بين الدوريات الصادرة باللغة العربية

الاخوة الكرام في مجلة رسالة الثقلين الغراء.

أرجو من المولى العلى القدير أن تكونوا بخير، وأن تستمر خدماتكم العلمية الثقافية في سبيل نشر المذهب الحق في كل بقاع الدنيا، موطئين وممهدين لظهور صاحب الامر عجل الله تعالى فرجه، وأرواحنا لمقدمه الفداء.

وبعد، فقد أهدى إلينا شاب مؤمن مهذب دمث الاخلاق من المجمع العالمى لاهل البيت (عليهم السلام) اعداداً من مجلة رسالة الثقلين منذ مدة، وعلمنا أنكم أصدرتم كتاباً تابعاً للمجلة «كتاب الثقلين» يصدر في سلسلة تبعاً، وللاسف لم نره لحد الان. ولما كنا في «مؤسسة كوثر الاسلامية» الشيعية في موقع يرجع إلينا كل أتباع أهل البيت (عليهم السلام) في السودان، وكثير ممن يريد التعرف على مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، أو يريد الله تعالى به هدى، فإننا نرجو ونحب أن تكون مجلتكم الممتازة جداً متوفرة لدينا للاستفادة منها من قبل الاخوة في المؤسسة، ثم للاخوة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بشكل عام، ثم لمن يراجعنا للتعرف والبحث عن فكر أهل البيت (عليهم

السلام)ممن يريد الاستبصار. فكثير من موضوعات المجلة بل أغلبها مهم ومباشر ومعاصر ويوجب على أغلب التساؤلات المطروحة بأسلوب هو الأرقى من بين الدوريات الصادرة باللغة العربية، حسب تتبعنا.

فخرجو إرسال آخر ما صدر من المجلة ثم إرسال كتاب الثقلين.

مجاهد أحمد النور الزاكي

أم درمان - السودان

* * *

I مجلتكم تعرفنا بمكانة

أهل البيت (عليهم السلام) السامية

مدير المجلة الغراء «رسالة الثقلين» حفظه الله، اكتب إليكم هذه الاسطر لأول مرة، ولقد سررت كثيراً حين وقع بصري على نسخة من المجلة «رسالة الثقلين» عند احد الاصدقاء ونالت مني الاعجاب والتقدير لما فيها من المقالات والمواضيع الرائعة مثل نظم الدرر ومن جانب آخر أنا في أمس الحاجة إلى هذه المجلة التي تعرفني أهل البيت (عليهم السلام) ومكانتهم السامية. وكذلك إلى مؤلفات أخرى مثل مؤلفات العلامة الطباطبائي وروح الله الخميني (قدس سره) مثل كتاب الحكومة الإسلامية وتحرير الوسيلة، ولأجل ذلك وجهت الالتماس ألا تنصرفوا عن التفضل بإرسال كل أعداد «رسالة الثقلين» السالف والخالف.

ولكم مني الشكر الجزيل والودّ الجميل

محمد رمزي بن عبد الغفور

سريلانكا

* * *

I لقد تركت المجلة أثرها في نفوسنا

إنه لشرف كل الشرف لنا أن نشكركم باسم جمعية الدعوة والارشاد الاسلامي في غينيا كوناكري بغرب إفريقيا، على التفاتتكم الكريمة تجاهنا، الالتفاتة المتمثلة في إهداء جمعيتنا العدد الثالث عشر من مجلتكم الاسلامية الجامعة القيمة.

لقد تركت الافكار والتحليلات الدقيقة الواردة فيما آثارا عميقة في نفوسنا، مما يدفعنا إلى الطلب بالحاح من حضراتكم أن تزودوا جمعيتنا بما يمكن من نسخ «مجلة رسالة الثقلين».

ونتوجه إلى العلى القدير أن يجزيكم خيراً. وفقنا سبحانه وتعالى وإياكم لما يحب ويرضى.

جمعية الدعوة والارشاد الاسلامى

الامين العام - يوسف باه

كوناكرى - غانا

* * *

I ألف شكر وامتنان إلى مجلتكم الغراء

يا أخوتى فى الله نحن بحاجة ماسة إلى المواضيع الدينية القيمة فى ارض مدغشقر لنشر الدين الاسلامى هناك، حيث تقوم مدرسة المنتظر عجل الله فرجه بتوعية المدغشقرين من المسلمين وغيرهم، وكذلك تقوم بتدريس اللغة العربية والقرآن الكريم والتعاليم الدينية.

وبمناسبة وصول نسخة من «مجلة رسالة الثقلين» انتهز الفرصة وأقدم لكم ألف شكر، وأقدم امتناني إلى مجلتكم الغراء، وارسل لكم طلبى أن تسعفوني بما يتوفر لديكم من منشورات دينية ومصادر لتعليم اللغة العربية، حيث إننى بحاجة إلى مواضيع مهمة منها الاخلاق الاسلامية، وتربية الطفل تربية دينية صحيحة، وتفسير القرآن، وقاموس مختص بتفسير مفردات القرآن الكريم.

وأكون شاكرة لكم إذا تفضلتم بإعطائى عناوين المؤسسات الاسلامية التى تدعم المبلغين والعاملين فى سبيل الله.

بارك الله فى عملكم ووفقكم لما يحب ويرضى.

اختكم فى الله

منى محمد عبود

مدغشقر - ماجنكا

* * *

I رسالة للقائد عبر رسالة الثقلين

أى قلب كالحجارة قاس بل أشد قسوة لا تهزه كلماتك التامات؟ بل كيف لا يسمعونك وكلماتك تسمع من ختم الله على قلوبهم وأسماعهم وابصارهم فلا يفقهون حديثاً؟ فما راعنى إلا وكلماتك تنساب تناشد الحوزات سيل النور من بين شفتيك يتدفق يغطى الافاق يرسم لكل من ركب السفينة طريق الشموخ أفتراهم يشمخون؟ أفترانا نسمع رنات صوتك فنناجى بإخلاصك رب السموات؟ أفتراه يسمع

من باخلاصه ناجينا ربَّ السموات والاسحار؟ والدمعة مهراقة، فُبعد المسير بيننا يمنع الدمعة وصاحبها أن ينحنيا على قدميك ليمسحا غبار الهموم.

يا ولى الامور، عبر رسالة الثقلين أبعث لك رسالتى فتقرأها، وتقرأها الامة، ويقرأها عبرك صاحب الزمان.

فياخامنثى سلام الورى

سلام المطيعين للقائد

بسام - لندن

* * *

I لتسلح بعلوم آل

محمد(ص) لمواجهة اعدائنا

«اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه فى هذه الساعة وفى كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً، ودليلاً وعيناً، حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً».

أخوتى الاعزاء، سلام من الله عليكم. نسأل البارى عزّوجلّ أن يرعاكم ويوفّقكم بتوفيقه لخدمة الاسلام والمسلمين.

إننا ننتمى إلى أشرف مذهب على وجه الارض، ألا وهو مذهب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ونحن شيعة على(عليه السلام) ونريد أن نكون بحق شيعة له ولابنائه وأنصاراً لهم، وذلك باتباع منهجهم والسير على طريقهم دون ان تأخذنا فى الله لومة لائم، فيجب ان نتسلح بعلومهم لمواجهة أعداء الاسلام والائمة(عليهم السلام)، وكذلك لرفع مستوى ثقافتنا الاسلامية. لذلك نرجو منكم دعمنا ثقافياً وامدادنا ببعض الكتب الاسلامية الفكرية والعقائدية لتسلح بها.

ندعو الله أن يحفظكم ويبقيكم لخدمة الاسلام والمسلمين ولخدمة هذا المذهب الاصيل بحق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

ابو على الشريفي

مخيم الشهيد غريبى - آراك

* * *

I إرسال مجلتكم سيكون

دعماً لمشروعنا الاسلامى

يسر جمعية الدعوة الاسلامية فى مدينة پرى رى أن تقدم لكم هذه الكلمات مع بالغ الاحترام والتقدير.

لقد وصلت مجموعة من أعداد مجلة رسالة الثقلين إلى الجمعية الخيرية الاسلامية، وهى إحدى المراكز الاسلامية العاملة تحت رعاية جمعية الدعوة الاسلامية فى پرى رى، وقد وزعت على الطلبة والدارسين هناك للاستفادة منها، كما نرجو الاستمرار بإرسال ما يتوفر لديكم من المطبوعات والكتب الاسلامية، ونحن سنقوم بدورها بتوزيعها وإيصالها إلى الراغبين مع حفظ نسخة منها فى مكتبتنا.

هذا وقد تم افتتاح مركز لتحفيظ القرآن الكريم، وحلقة لتعليم النساء تعاليم ديننا الحنيف، لذلك نطلب منكم المشاركة فى دعم هذه الجمعية التى تم تأسيسها عن طريق جمع التبرعات من المؤمنين، وحبذا لو تكون مشاركتكم عن طريق تزويدنا بأعداد من مجلتكم الغراء رسالة الثقلين، وما يصدر عنكم بشكل منتظم.

وستكون مشاركتكم هذه دعماً ومساعدةً لنا فى إتمام هذا المشروع المبارك.

وجزاكم الله خيراً.

رئيس جمعية الدعوة الاسلامية

سليمان إبراهيم يوسف آل تورى

پرى رى - غرب إفريقيا

* * *

I مجلتكم تحمل اسم اعظم

حديث للنبي الهادى(ص)

وعليه نتوكل وبه نستعين، وصلاته وسلامه على خير خلقه وحافظ سره ومبلغ رسالاته، هادى البشرية إلى طريق الحق ومنقدها إلى شاطئ السعادة، المصطفى الامجد أبى القاسم محمد، وعلى آله مصابيح الدجى وأعلام الهدى، عليه وعليهم افضل التحيات والسلام.

إخوتى فى مجلة رسالة الثقلين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسرنى ويسعدنى أن أبعث برسالتى هذه إليكم مقرونة بالاخوة والايمان والحب والاخلاص لهذا الدين المحمدى الاصيل، وهذا المذهب القويم، والمعبرة عن ودى واعتزازى بهذه المجلة المباركة التى تحمل اسم أعظم حديث للنبي الهادى(صلى الله عليه وآله وسلم).

وإني حينما تصفحت هذه المجلة حيث كانت عند صديق لي ازدادت همّة في أن أرسل اليكم هذه الرسالة.

إخوتي، أود أن أكون أحد المشتركين في هذه المجلة، فأرجو منكم أن ترسلوا إلى نسخة منها مع قسيمة الاشتراك.

في ختام رسالتي أدعو العلي الاعلى أن يوفقكم في أعمالكم في خدمة هذا الدين الحنيف.

هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

طاهر عبد العظيم المنصوري

هوية - اهواز

* * *

رسالة الثقلين ذلك العنوان الرائع

الاخوة الاعزاء والعلماء الافاضل العاملين في المجمع العالمي لاهل البيت (عليهم السلام) حفظهم المولى جميعاً.

استلمت رسالة الثقلين، ذلك العنوان الرائع، فكان المحتوى لا يقل روعة وذوقاً ولغة وثقافة وعلماً عن الاسم، وكان الاسم خير اسم لمجلة تعنى بفكر آل البيت (عليهم السلام) وبمدرستهم، فهي مجلة تنور العقول وتهدي القلوب وتصل الفكر وتهدي إلى الصراط المستقيم.

لقد تعرفت على مجمعكم من خلال كتاب المراجعات، وراستكم للحصول على نسخ إضافية من هذا الكتاب وما يتوفر لديكم من كتب أخرى. ثم ارسلت لي مؤسسه الفكر الاسلامي نسخة من مجلة رسالة الثقلين فكانت فرحتي بها عظيمة، خاصة لما احتوته من موضوعات جيدة ومفيدة حول مسائل الدعوة والتبليغ التي هي من أولى اهتماماتنا في هذه البلاد.

إخوتي الافاضل، نحن بصدد إنشاء مكتبة إسلامية عامة في هذه البلاد؛ لتشجيع مطالعة الكتاب الاسلامي الشيعي الهادف، وتوفيره بأكثر من لغة، لذلك نطلب من مجمعكم المبارك أن يمد يد العون والمساعدة عن طريق تزويدنا بالكتب المناسبة، وباللغات المختلفة الموجودة لديكم.

ختاماً أشكر لكم جهودكم لما تقومون به لخدمة الدين والمذهب، ونأمل التعاون والتواصل معكم لما فيه مصلحة الاسلام والمسلمين.

محمد جمعة

كندا

* * *

نبارك خطاكم ومسيرتكم

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

لقد تعرفنا على مؤسساتكم الإسلامية المباركة ببركة أهل البيت النبوي الشريف عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام. وننتهز هذه الفرصة لنبارك خطاكم ومسيرتكم، ونسأل المولى عز وجل أن يوفقنا لتقوية أواصر التعاون فيما بيننا.

لقد حصلت على عنوانكم من أحد الأخوة المؤمنين، وسرني ذلك مما دفعني من فوري للكتابة لكم، راجياً أن تكون فاتحة خير للتعاون المشترك في سبيل نشر فكر أهل البيت (عليهم السلام).

مطر عبد الله عرْفَج

اليمن

* * *

رسالة الثقلين لها تأثير

على القلوب التي تعي الحق

تحياتنا الخالصة ودعاؤنا لكم بالتوفيق والفوز برضا الباري عز وجل، لما تقدموا من خدمة للإسلام العظيم وأنتم تحيون المعارف الإسلامية من نبع الثقلين، والدفاع عن حريم القرآن الكريم وسنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الشريفة، وخط أهل البيت (عليهم السلام)، فجزاكم الله خير الجزاء وأحسن لكم العاقبة وجعلكم من جنود الامام المهدي المنتظر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

نحن من جنوب شرق آسيا نشكركم جزيل الشكر لارسالكم المجلة لنا، حيث نستلهم منها كل الخير والعطاء لما فيها من غذاء روحي وفكري، ولما لها من تأثير على القلوب التي تعي الحق وتهتدي إلى الخط القويم والصراط المستقيم. هذا ونحن بانتظار كل عدد يصدر من المجلة، وكذلك المؤلفات والنشرات الصادرة عنكم. وجزاكم الله خير الجزاء.

الشيخ غلام علي اباذر التايلندي

مؤسسة الامام الخوئي الخيرية

تايلند

فهرس

كلمة التحرير

مدرسة أهل البيت (ع) رائدة الواحدة الإسلامية..... بقلم رئيس التحرير ٤

من أفاق القيادة الإسلامية

اهداف بعثة الانبياء..... ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي (دام ظله) ١٢

دراسات

نظام العلاقات الاجتماعية العامة في مدرسة أهل البيت (ع)

القسم الثالث..... السيد محمد باقر الحكيم ٢١

الامام علي (ع) ومصلحة الاسلام العليا..... الشيخ فؤاد كاظم المقدادي ٧٠

المرأة التي زوجها الله تعالى «دراسة وثائقية»..... عز الدين سليم (العراق) ١١٤

ثورة ام وثورة شعاع (٢)..... الشيخ عيسى أحمد قاسم (البحرين) ١٥٢

العبد/ المولى/ نقاط التماس «الدعاء نموذجاً»..... محمد كاظم الكرماني ١٨٧

التعائش السلمي في الاسلام..... السيد محمد شفيعي المازندراني

ترجمة: عباس الاسدي ٢٢٢

الشيعة رواد في تدوين التاريخ..... محمد علي جنازاني

ترجمة: عباس الاسدي ٢٣٦

من فقه مدرسة أهل البيت (ع)

الامام الخميني (قدس سره) والفقاهة القائمة على عنصري الزمان والمكان (١).

..... كاظم قاضي زادة ٥١

ترجمة: عباس الاسدي

شبهة ورد

وقفة مع شبهات الدكتور محمد عمارة حول التشيع..... الشيخ عبد الكريم آل نجف ٩٠

مقارنات

توحيد الافعال بين الاشاعرة والعرفاء..... قاسم كاكائي

ترجمة: عباس الاسدي ١٣٦

تحقيقات

الفاطمة حديث «فاطمة تجسّعت مني» وموارد نقله عن النبي (ص) (٢)

..... الشيخ محمد جعفر الطوسي ١٨٢

رأي

المرأة والتنمية الاجتماعية من وجهة نظر الاسلام..... الشيخ محمد علي التسخيري ٢٢٩

فنون وآداب

خاطرة: رغبة تحت الرماد..... ابو كرار الاسدي(العراق) ٢٧٦

قصيدة: البعد الثابت..... جواد جميل(العراق) ٢٢٠

قصيدة: مثل البحر..... الشيخ محمد علي الاورديادي الغروي ٢٨٣

تقرير

ندوة حقوق الانسان في الاسلام..... الشيخ محمد صادق الابراهيمي ٢٦٠

أهل البيت (ع) في روايات الصحابة

روايات أبي سعيد الخدري..... ناصر البيدهندي ٢٨٦

استطلاع

اتباع آل البيت (ع) في قرقيزيا..... مهدي بخت أور

ترجمة: عباس الاسدي ٢٧٨

من غرر حكم أهل البيت (ع)

حب الله تعالى وحب نبيه..... اعداد: عبد القادر فرج الله ٢٩٢

من انباء القرى

انباء و تقارير..... ٢٩٦

مع قراء الثقلين

رسائل القراء..... ٣٤٣

فهرس

فهرست الاعداد من (١٧-٢٠) السنة الخامسة

محرم الحرام - ذى الحجة ١٤١٧هـ /مايس ١٩٩٦-مايس ١٩٩٧م..... ٣٥٢



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol. 5, No. 19 - 20, Dec. 1996 - Apr. 1997